



مدينة المستقبل في الحضارة الصناعية

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء السادس من المجلد الرابع والثمانين

١٧ صفر سنة ١٣٥٣

١ يونيو سنة ١٩٣٤

أيام الخليفة

في بدء الكون كان فضاء كروي أصغر نطاقاً من فضاء اليوم . وكانت المادة في هذا الفضاء منتشرة انتشاراً متسقاً ، بمعدل بروتون واحد ، والكيترون واحد ، في كل لتر منه . وقد يبدو لك أيها القارئ ان تسأل ، لماذا وصفنا الفضاء بالكروي . ولعنتاه بالصغر اذا قيس بفضاء اليوم . ولماذا وزعنا المادة فيه توزيعاً متساوياً . والرد على جميع هذه الاسئلة عند علماء العصر . اما أن الكون كروي ، فلان الحقائق المشاهدة والمعادلات الرياضية اثبتت لهم ان هندسة الكون تفضل افضل لتعليل اذا هم افترضوا ان الكون محدود ب شكل كرة . ولكن لماذا قلنا انه كان اصغر مما هو الآن ؟ لأن الدلائل تدل على ان الكون في مرحلة من مراحله بدأ يتسع وما يزال آخذاً في الاتساع . ولماذا حكمنا بأن المادة فيه كانت موزعة توزيعاً متساوياً ؟ ليس لهذا سند علمي . بل هو في الغالب يستند الى سند من الفلسفة وحس الجمال . فالعقل الانساني يفضل ان يتصور الاشياء على ابسط ما يمكن ان تكون . فاذا افترض ان المادة في ناحية من الفضاء البدائي ، كانت اكثف منها في ناحية اخرى ، اضطر العقل ان يرجع بهذه الحالة الى حالة ابسط منها سبقتها ، لما كانت المادة موزعة توزيعاً متساوياً في انحاء الكون . ولذلك نفترض التوزيع المتساوي للمادة ، قبل ان يختلف التوزيع ، واصبحت المادة في نواح اكثف منها في نواح اخرى . ثم ان الاستاذ ادلغتن قد قال ان لافرق اساسي بين العدم والاتساق الكوني العام في جميع الصفات . فالخليفة الكونية اذن بدأت يوم سري التنوع الى هذا الاتساق او الى هذا العدم

فماذا حدث ؟

لا يعلم احد ما حدث او كيف حدث او لماذا حدث ؟ ولكن ذلك التشابه الكوني الشامل ،

دب اليه ديب التنوع . كان في كل لتر من الفضاء بروتون واحد والكترون واحد . فاذا بعض النواحي قد احتشدت فيها البروتونات والالكترونات ، واذا النواحي الاخرى قد اصبحت فراغاً . ولو ان فعل التجاذب أطلق في تلك الساعة العصبية ، لهاوت مادة الكون بعضها على بعض ، ولتقلص الكون بتجمع مادته واحتشادها ولما نشأت الاحوال المواتية لنشوء الشمس والسيارات وظهور الحياة على بعضها . ولكن ذلك لم يحدث . لان قوة اخرى اطلقت من عقاها . ونحن لانعلم عن هذه القوة الا النزر اليسير ولكننا ندعوها قوة التنافر او قوة التناذب الكوني . فما سرعت المادة تتكثل ، حتى اخذت دقائق تلك الكتلة تتناذب ، فانفجر الكون وتشتت ، بدلاً من ان يتكثل ويتقلص وليست هذه الصور من بنات الخيال الوثناب . بل ثمة من الادلة ما يؤيدها . انها نتيجة للارصاد التي يقوم بها العلماء بالآلات التقريب والتصوير والحل الطبي . فنحن نعلم ان الكون أخذ في الانفجار والتشتت لاننا نراه الآن كذلك

نخرج المجرة التي منها نظامنا الشمسي ، عدد لا يحصى من المجرات . واذا حلل ضوء هذه المجرات بالمطياف (آلة حل الطيف) دل التحليل على انها آخذة في الابتعاد عنا ، وفي ابتعادها بعضها عن بعض على عجل . وسرعة ابتعادها بعضها عن بعض تتزايد بتزايد بُعدها عنا . ولقد قيس سرعة احد السدم البعيدة ، في ابتعادها عنا فاذا هي نحو ١٢ الف ميل في الثانية . فاذا انقضت بضعة ملايين من السنين ، غابت في ابتعادها ، عن انظارنا ، الا اذا استنبط ان نستنبط آلات احد بصر من الآلات التي بين ايدينا الآن . والدليل على ابتعاد هذه السدم عنا ، يترك اثره في نورها ، الذي نلتقطه بالآلات ونحلّه بمطاييفنا (جمع مطياف) . فالقطار الصافر اذا كان مقرباً منا علا صفيره . واذا كان مبتعداً عنا انخفض صفيره . ذلك ان امواج الصوت في الحالة الاولى تتلاحق في مدى يقصر باقتراب القطار ، فتقصر اذا قصر ، فيرتفع الصفير . اما اذا كان القطار مبتعداً فان امواج صفيره تتلاحق في مدى أخذ في الاستطالة بابتعاد القطار عن السامع ، فتطول الامواج ، فاذا طالت انخفض الصفير . وكذلك في الضوء . فلاضواء النجوم خطوط مميزة تظهر في طيوفها . فاذا كانت هذه الخطوط متحركة في الطيف دلّت حركتها على حركة مصادرها . فاذا كانت هذه الخطوط متجهة في حركتها الى اللون البنفسجي ، دلّت على ان امواج الضوء آخذة في القصر . فصدر ذلك الضوء أخذ في الاقتراب اليها . واذا كانت حركة تلك الخطوط متجهة الى اللون الاحمر دلّت على ان امواج الضوء آخذة في الاستطالة واذا فصدر ذلك الضوء أخذ في الابتعاد عنا . وقد دلّت ارصاد السدم على ان معظمها أخذ في الابتعاد عنا ، وقدّرت سرعة ذلك الابتعاد . وما عرف من سرعة الابتعاد ومواقع تلك السدم ، يمكننا من عمل حساب لليوم الذي انطلقت فيه اولاً ، مبتعدة بعضها عن بعض — وهو يوم الخليفة الكونية

فاليوم الاول في الخليفة الكونية ، هو ذلك اليوم الذي انفجر فيه الكون فأخذ يتسع .

اما اليوم الثاني فهو يوم ولادة المجرة ، ونظامنا الشمسي جزء منها . فبعد اليوم الاول انتشرت في الكون قطع من السحاب الكوني - وهي ما نطلق عليها اسم سديم - في كل الجهات . وكل منها يدور على نفسه ، فأخذ يتقلص بفعل التجاذب . واحدى هذه القطع نجاست على مدى الزمان جميع النجوم التي منها شمسنا

كانت هذه القطعة في البدء كروية كالكون الذي نجسها . ولكنها بفعل دورانها على محورها اخذت تتسطح عند قطبيها ، كما تسطحت الارض عند القطبين بفعل دورانها على محورها . ولكن لما كانت تلك القطعة غازية ، كان اثر الدوران في تسطيحها ابعد مدى من اثر دوران الارض في تسطيحها عند قطبيها . ومضت في ذلك السبيل حتى اصبحت كالقرص . والمرصد تمكننا من رؤية السديم في مختلف ادوار نشوئها منذ كان كروية تامة الكروية الى ان تسطحت قليلاً عند قطبيها الى ان زاد تسطيحها عند القطبين الى ان اصبحت كالقرص . غير ان دوران السديم وتقلصه ، جعلنا من المتعذر عليه الاحتفاظ بكل مادته . ففي مرحلة من مراحل نشوئه تكونت حوله حلقات من مادة ، ما لبثت حتى انفصلت عنه ، وتكونت منها النجوم

وبعد انقضاء ملايين السنين على تكوّن النجوم في المجرة تكون نظامنا الشمسي . ولكنه احتاج الى صدفة لكي يتكوّن . وهذا هو اليوم الثالث من الخليقة الكونية

في القرن الثامن عشر تصوّر سويدنبرغ وكانط قطعة سديمية عظيمة في دور التقلّص وقالوا بان السيارات نشأت منها بالانفصال فبقيت كتلتها المركزية وهي الشمس . على ان بوفون الفرنسي رأى ان النظام الشمسي نشأ من اصطدام حدث اتفاقاً بين كتلة الشمس ومذنب كبير . بخالفه لاپلاس ذاهباً الى ان حدوث اصطدام من هذا القبيل بعيد الاحتمال . ومن البحث في الخلاف بين الرأيين خرج لاپلاس بالنظرية السديمية في نشوء النظام الشمسي وملخصها ان قطعة سديمية تسطحت في اثناء دورانها على محورها ثم اخذت تتقلص ، وتقلصها زاد سرعة دورانها ، فلما بلغت سرعة دورانها حدّاً معيناً ، تعذر التماسك بين اجزائها ، فانطلقت منها حلقات وهذه الحلقات تقلّصت فنشأت منها السيارات . فاقبل العلماء على هذا الرأي اولاً . ثم ظهرت الاعتراضات عليه ، وتوالت المذاهب ، الى أن استتب الامر الآن لرأي جينز ومن نحا نحوه وهو ان شمساً ، اقتربت في خلال سيرها في الفضاء ، من شمسنا فأحدثت مدّاً في سطحها ما زال يملو حتى انطلق في شكل ذراع كالطوربيد ثم تقلّصت دقائقها كتلاً كتلاً فنشأت السيارات . وكان جفريز من اتباع جينز اولاً ثم تحوّل الى القول بوجود تماسّ الشمسين . اما فيما خلا ذلك فرائيه ورأى جينز واحد . على ان النجوم بعيدة بعضها عن بعض . وتوزيعها في الفضاء من قبيل توزيع عشرين كرة صغيرة في باطن كرة قطرها ثمانية آلاف ميل . فاحتمال اقتراب احدى هذه الكرات من كرة اخرى حتى تصير على بضعة امتار منها كنسبة واحد الى مائة مليون . ولذلك قلنا ان اليوم الثالث من ايام الخليقة احتاج الى صدفة لكي يكون

في ربيع اليأس

لاديب الربحالي

اليأس ، مثل كل حسٍّ بشري ، يتنوع ويتفاوت في الناس . فقد يأس الفلاح مثلاً من جفاف في الطقس حرق زرعه ، او من وباء ذهب بمواشيه . وقد يأس الفيلسوف من نظرية يعالجها لاستئصال الوباء ، او من آلة يخترعها للسيطرة على الجو والمطر . وكذلك يختلف يأس الشاعر عن يأس البقال . وكذلك قل في يأس المجرمين ويأس الانبياء ، اي في ما تحت وما فوق يأس جميع الناس اعود بك الى امثلة من اليأس الاعلى الذي لايزال نوره يشع في العالم ، الى المسيح في الجثمانية ، والنبي محمد في الكهف ، والرسول بولس في مركب تتقاذفه الامواج ، والشاعر دنسته في المنفى شريداً طريداً ، وابي العلاء المعري في محبسيه - فهل كان يأس هؤلاء ، ياترى ، مثل يأس جيرانهم الفلاحين والنوتيين والعشارين او مثل يأس زملائهم الادباء والشعراء ؟

وهل يأس الاديب الشاعر الذي ينتهي في قصيدة ينظمها ، او تنقيد اشواقه اليوم بتقريظ في جريدة ، او بعشاء على مائدة امير ، او بظفر في حفلة راقصة ، مثل يأس من له سلم لولي من الاشواق والآمال ؟

قد يكون الجوهر واحداً . ولكن الكمية ، واللون ، والبيئة ، وما يتصل بالبيئة من سابق ولاحق في الحياة ، تختلف كلها اختلاف الآمال والاشواق في الناس ، واختلاف الثروة الروحية في الافئدة من الناس

كان ليأسى شتاءً ، وكنت فيه الاديب المجاهد في سبيل - المجد !

ألا في سبيل المجد ما انا فاعل ...

وكنت بين كتبي واوراقي وصورتي وتحفي الفنية كالقائد لجيش عاصٍ متمرد . وما الفائدة من السلاح والذخيرة - من القلم والافكار ، ومن العلوم كلها ؟

ماذا تفيدك الرياضيات وانت لا تدري في اية دورة من الفلك تصل النجدة؟ ولا حرب بلا مال .
وماذا تنفعك الفيزيولوجيا وانت لا تستطيع ان تصلح قلبك المكسور او قلب المحبوب القاسي؟
وماذا تفيدك معرفة البلدان وانت عاجز عن السفر الى حيث تخف تكاليف الحياة وتنعم جنباتها؟
وماذا تنفع الفلسفة وانت في لجج الاحزان من اضعف الناس؟ وما الفائدة في الطب وشرابين قلبك
زداد تصلباً يوماً فيوماً، او المكروب يفتك برئتيك؟ وما نفع الفنون الجميلة كلها والعالم كله في
نظرك هو لوحة تلميذ في مدرسة الفنون العليا؟

كان ليأسى شتاءً ، وكنت فيه الاديب العالم المجاهد في سبيل — المجد والشهرة ! ولكن ذلك
اليأس فتح امامي باباً من ابواب الحياة كنت اجهلها

خرجت ذات يوم من بيتي ، من غرفتي التي كفنت فيها اعز عزيز لدي . بل خرجت من الغرفة
ليلاً لاني لم اطق ان ارى ما كنت اتخيله امامي : تابوت احلامي ، فررت منه في ليلة عاصفة . وكان
النلاج يتساقط عليّ ، ويترامى تحت قدمي ، ويتجمد الماء بين جنبي . وكنت ، لستاره الكثيف
والرياح التي انحنت تحتها رقبتي ، لا ارى غير موطن قدمي . فتصادمت في تلك الساعة وشخصاً
آخر حاله في العاصفة مثل حالي ، فاعتذرت . وكان الصوت الآخر المعتذر صوتاً ناعماً رقيقاً ، انقطع
مرتين في كلمتين : « لا تؤاخذني » . هو صوت فتاة بأسة شريدة ... جمع النلاج والليل بيننا ، وربطت
العاصفة قلبيينا ...

سرت بها الى بيتي ، الى غرفتي التي تركت فيها تابوت احلامي . واجلستها بين كتي وادواتي
وصوري الفنية والذكرية . فقالت فوراً : ليتها تؤكل ! فاخرجت كل ما في الخزانة الصغيرة ، فأكلت
وهي لا تزال ترتعش من البرد . فشبت النار ، ولم يكن عندي ما يكفي من الفحم فأشعلت سفيراً
من الاسفار

وانساني لهيب تلك الصفحات احلامي . وانستني البأسة الشريدة الضالة المنشودة . لله من
الحياة ! أتمثل هذا البؤس وهذه الآلام تكون ، وانا وامثالي ، بين الكتب والاوراق والالاعيب
الفنية ، نشد الشهرة والمجد ، ونود ان نحرق المدينة ، ونعزف بالناي مثل نيرون فوق طلوها ، لانها
لا توالينا ولا تفتح لنا ابواب قصورها ؟

كنت والباءة تلك الليلة كآدم وحواء — آدم وحواء لا في الفردوس ، بل في الجحيم . وفي
تلك الليلة تحول يأسى ، وتضاعفت احزاني . لم افكر بعد ذلك بضالتي المنشودة ، وامحي من مخيلتي
رسم تابوتها . بيد اني انتقلت الى الحياة الكبرى التي تتبارى فيها المحاسن والمآثم ، والذات
والآلام . لله من نير الحياة الذي يقرن العقم بالفضيلة والبؤس بالجمال

تحول يأسى كما تتحول الدودة فتصير فراشة . فوددت لو كان في امكاني ان اخرج حواء وآدمها
— كل امرأة وكل رجل — من جحيم هذا الزمان ، وأعود بهما الى الفردوس الاول . هيهات

هيهات ! وكان هذا اليأس في قلبي احراً من نار الجحيم ، وآلم من كل ما قاسيته من الآلام .
فلا عجب اذا فررت منه . فررت هارباً من آدم وحواء في الجحيم . هربت من المدينة ، ومن
المدينة — جحيمهما

هربت الى البادية ، فنسيت آدم ، ونسيت حواء ، ونسيت الجحيم . وكانت سنة من السياحة
فيها من الابتهاج مثلما فيها من الحرمان ومن المشقات . وكيف يكون ابتهاج مع مشقة ، وكيف
يلتئم الجبور والحرمان ؟ !
ليس من شأني التلاعب بالكلام والافكار . وانه ليؤلمني ان اترك القارئ مخدوعاً بكلمة
واحدة من كلماتي ، كما اني لا اطيع مخادعة النفس

كنت قبل الفرار الى البادية في شتاء اليأس ، بل في باب الربيع منه . ولكني لضعف روحي
او ادبي ، او اجتماعي — وقد يكون الضعف في الثلاثة — لم اثبت في الجهاد . فتقهقرت ،
ثم عدت ادراجي الى الشرق ، الى البادية العربية . فكنت فيها مغتبطاً على ما قاسيت ، محبوراً
على ما حرمت

وكيف ذلك ؟ رأيتني في البادية امشي في ظل الشهرة التي طاردها في المدينة ، ورأيتني مخفوفاً
بالتجلة والاكرام ، ورأيتني مستمتعاً بما كنت اتوق اليه — بالمجد — قبل ان امسح من مخباتي
تابوته ، وقبل ان اجتمعت بحواء في الجحيم

اذاً ، في فراي الى البادية عدت الى وراء ؟ اذا ما نظرنا في الامر نظرة سطحية اقول : نعم .
عدت الى وراء سنة واحدة . وكان من العلم ، ومن الخدمة لقومي ، ومن معرفة الله في تلك الدهناء
وتلك النفود ، ما يبرر هذه السنة التي تتخلل اليأسين ، يأس الشتاء ، ويأس الربيع

ايها القارئ العزيز — وما انت بعزير اذا كنت لا تتفهم كل كلمة اقولها ، وما انا برسول
الحقيقة والخير اليك اذا كنت لا تحرى الصراحة والصدق دائماً في كل ما اقول . راني لذلك افتح
كتاب النفس لاطلعك على صفحة من صفحاته الشخصية الخصوصية . وقد ادركت السر في ابتهاجي
في البادية ، وستدرك المعنى كله في عنوان مقالتي هذا ، فلا تهمني بعد ذلك بالتلاعب
بالاحساسات والالفاظ

سنة في البادية انتهت بعزلة في الجبل ، ولكنها عزلة جثمانية فقط . فهناك الكتب والاوراق
والالاغيب الفنية تشاركني في هذه العزلة . وهالك الجرائد والمجلات تحمل الي اخبار العالم وأبناء
الحياة في العالم

العالم الذي فررت منه هارباً والحياة التي نبذتها ! ترى الاول يجالسني كلما جلست استريح ، فيحدثني وهو يبسم بسمة جنية فظيعة . وترى الثانية تهيئني سامرة ، فتثرثر وهي تقهقه نهقه الفاجرة

العالم يقطع عليّ العزلة ليقول : وما الحق لغير القوة . وما الرجال بغير المال . وما الانتداب غير نوع جديد من الاستعمار . وما الالف والباء والجيم منه غير درجات في الظلم والاستبداد . وهذا حق ما زال الحق للقوة . خلق الضعيف لخدمة القوي . والضعيف من الامم والشعوب ، مثل الضعيف في الناس قسطه النير

وها كم قوياً في العالم الجديد يسيطر على اقوياء العالم القديم . يسيطر بالمال ، بالذهب . وها كم في الشرق الاقصى دولة تقلد دول الغرب بما يود مصلحو هذا الزمان تطهير الغرب منه — بالقوة المادية والشره الاستعماري . وها كم الشرق الصيني يئن بين برائن الحرب الاهلية التي تغذيها سرراً دول الغرب . وها كم الشرق الهندي وفيه الاسد والفيقل يتنازعان الملك ويتصارعان . والى شمال ذاك الشرق دولة تشرئب بعنقها الى الغرب وتود ان يكون لها في جوار الهند ماليليان في جوار الصين وها كم في الشرق الادنى طر في الحقيقة « ان الحق للقوة » : ففي انقرة نخط الحقيقة بأحرفها الكاملة ونلفظها : جمهورية كالمية . وفي طهران نخطها بماء الذهب بالحرف الفارسي ونلفظها : مملكة رضوية . وفي نجد والحجاز نخطها على الرمال بالاحدب البتار فتسفيها الرياح وهي تردد اسم ابن سعود . وفي الشرق العربي لا نكاد نخطها حتى يحوها ببصره الخنوع ويكتب مكانها : لنحي بريطانيا العظمى ! وهذه بريطانيا العظمى بعد ان استعادت شيئاً من الصولة التي فقدتها في الحرب الكونية ، تقلد الطائع في الشرق العربي نيشاناً ، وتهدد بالمدرعات والطيارات ، السيادة الوطنية ، والحرية القومية في وادي النيل وفي فلسطين

وفي هذه البلاد السورية كتبت الحقيقة بعشر لغات — لغات الطوائف — فكان للدولة المنتدبة فيها عشر قراءات مختلفات بعضها عن بعض ، وكلها تعود الى مصدر واحد : الحق للقوة

بذا يحدثني العالم وهو يبتسم بسمته الخبيثة المؤلمة . والحياة تقطع عليّ عزاتي فتجيء سامرة وتقول : انما الحق لمن يحسن الرئاء ، والقوة لمن يبرع في المداجاة . الحق والقوة والوجاهة والثروة والسيادة كلها للأمعين . لاوائك الذين يقفون مطأطي الرؤوس امام كل كبير من السادة الزعماء ، وأمام كل من وقف حولهم في ظلال السلطات الثلاث ، المدنية والدينية والمالية

الحق والقوة والوجاهة والثروة والسيادة لمن يقول ! نعم ، نعم ، على الدوام . ذلك ان القوة الابحائية في الحياة هي القوة الغالبة . ولا يقول لا ، لا ، غير المصايين بعسر الهضم ، والمجانين ، والانبياء . اتبغى المال والرفاه ، والترف والجاه ؟ نعم ، نعم . أتبغى السيادة والقوة والمجد ؟ نعم ،

نعم . سيّارة تنصدر فيها ؟ نعم . عصاً من الذهب وثوباً من الأرجوان ؟ نعم ، نعم . عضوية في
المجمع العلمي ، او رئاسة في البلدية ، او في الرابطة الادبية ؟ نعم ، سيدي نعم . . . وفساطين
يا سيدي من باريس ؟ نعم ، نعم . وأميراً صاحب كيس ؟ كيف لا . والحب لأبليس ؟ نعم ،
لأبليس . . . هي ذي الحياة ، حياة كل يوم ، تجميني في الجرائد ، وهي تثرثر وتقهقه ، ثم تختفي وهي
ترقص الرقصة الجديدة

فاخرج من المنزل لأستنشق الهواء النقي ولأحدث النجوم . وكأني بها ، وهي تدور
في افلاكها تذكر بمن وقف تحتها في غابر الزمان من الانبياء والعلماء ، وهي تقول : نعم ، نعم ،
لكل ما قالوه

وهل من حاجة الى ان اردد على مسمع القارىء ما قاله الانبياء ؟ فقد بدأ احدهم وصايداً « لا ،
لا » . ووقف احدهم امام عروش الظلم وقال : « لا ! » لاربابها . ومشى الآخر مع الفقراء وذوي
القلب الوديع فقال لهم مراراً : انا هو خبز الحياة . ومن اضاع حياته من اجلي يمجدها . واوصى
الآخر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقالوا كلهم بالحب ، والسلام ، والاخاء الانساني .
وجميعهم يتسوا من الانسان

ووقف الانبياء في ربيع اليأس فصرخوا من اعماق قلوبهم قائلين : سمع الانسان كلمة الله
وظلّ عتياً . وآمن الانسان وظلّ ضالاً . ومشى الانسان على الاثنتين وهو لا يزال في كثير
من صفاته مثل ذوي الاربع . وعلمناه التوحيد وهو لا يزال يقول : موسى وعيسى ومحمد
وبوذا وازدرشت . وعلمناه المحبة وهو لا يزال يصنع القنابل والمدافع والبارود . وعلمناه الرحمة
والعدل وهو لا يزال في سبيل شهواته ، يمشي على القلوب البشرية الدامية ، ولا يزال ، في سبيل
مطامعه ، اما ضياعاً او ثلماً

ونقض الانبياء ايديهم من الانسان . ولكن صرخات اليأس ، يأسهم ، سمعتها القرون ، ورددتها
الاجيال . ردها في كل جبل افراد من الناس ، من اولئك الذين يعطون حياتهم ليجدوها ، وكان
لتردادهم فترات من تجديد الصلاح في الناس . وكان لتجديد الصلاح ، ازدياد في صفوف من يقولون :
« لا ! » ومن يؤمنون في قلوبهم ، وفي اعمالهم . ولذلك ترى الواحة في بيداء الحياة تزداد اخضراراً
وتتسع كل مائة من السنين

كذلك يزهر يأس الانبياء . وانا المقيم في هذا الوادي ، في هذا الزمان ، زهرة من يأس الانبياء

زهرة نورّت ، فذوت ، فتناثرت اوراقها ثم انتثرت من قلبها بذور الحياة ، فحملتها الرياح في النواحي الاربع من الارض

زهرة من يأس الانبياء غدت بستاناً ، واضحى البستان ربيعاً ، وكان للربيع صوت ، هو الذي نسمع الآن ! هو صوت صاعد من ربيع اليأس

— الله من ظلم يتجدد في حكومات العالم الحرة . الله من شعوب تنفر الى الماضي لمتنص من عظام الاموات شيئاً من الحياة . الله من حياة تزداد اعباءها كلما ازداد الانسان علماً ونوراً . الله من شعوب في هذا الشرق يرددون كلمات التوحيد وهم في الشرك يعمهون ، وفي الشقاق يهلكون ان في السماء آلهاً واحداً وان تعددت اسماءه . وان على الارض لنا موسه ، مظاهر ، تتجسم كل جيل في افراد من الناس ، فينبرون جادة من جادات الروح ، ويفتحون باباً من ابواب الخلاص — الرقي — للام

ثم ازهار ذاك الربيع ، ربيع يأس الانبياء . ولهم يومهم ، ولهم عملهم ، ولهم يأسهم المزهر النير . لولا ذلك ليئسنا حتى من الله . ولكننا من المؤمنين الذين لا يؤمنون بسواه

ان يأسى لي ربيعه ، وان في هذا الربيع لكل امة من الامم ، ولكل شعب من الشعوب ، زهرة طيبة الريح

ولكني وان قالت أمي : العذراء ، اقول : الله

وان قال اخواني في الغرب : المسيح ، اقول : الله

وان قال اخواني في الشرق : بوذا ، اقول : الله

وان قال اخواني العرب : محمد ، اقول : الله

وان قال اخي الفارسي : آهورا ، اقول : الله

وان قال اخي الصيني : كنفوشيوس ، اقول : الله

وان صوتي ، وان كان من اصوات اليأس ، لمن اصوات الله

ولولا هذه الاصوات ، الرسالة من اليأس أشعة حياة لتجدد الامل والجهاد ، لما مشت الاجيال الى المحجة العليا ، ولما اتسع اخضرار الواحة في البادية ، كل مائة من السنين

الفريكة — لبنان

الري في مصر

وثيقة فنيّة خطيرة

لحسين بك سري وكيل وزارة الأشغال

خطبة الرأسة في الجمع المصري للثقافة العلمية

نظرة تاريخية

لي الشرف ان اتحدث اليكم في موضوع من اهم الموضوعات التي تعني بها مصر لعلاقته الوثيقة بالزراعة اتم مرافق هذا القطر وعماد روثه وينبوع رخائه وأقصد به « الري في مصر »
وأود قبل ان اتكلم عن الري في الوقت الحاضر أن ارجع بذا كرتكم الى العصور الغابرة لنستعرض معاً ما كانت عليه اراضي وادي النيل في ذلك الوقت ثم الادوار التي مرت قبل ان وصلت نظم الري الى حالتها الحاضرة من التقدم وقبل ان يتمكن سكان مصر من التحكم في مياه النيل يطلقونها بقدر معلوم ويستخدمونها وفقاً لرغباتهم . يحبسون ما فاض عن الحاجة منها ليعودوا فيصرفوه في الوقت الذي يقف فيه ايراد النيل عاجزاً عن أن يفي بحاجة الاراضي الزراعية لو اننا القينا بنظرنا على هذا الماضي البعيد ونحيلنا ما تنطق به سطور التاريخ عنه لا يمكننا ان نتصور اراضي مصر في ذلك الوقت مكوّنة من سهول مجذبة لازرع فيها وكشبان من الرمال وأدغال تملؤها المستنقعات ، ولتصورنا مياه النيل تفيض على هذه السهول من عام لا آخر فتغمرها فترة من الزمن ثم تعود فتجسر عنها بعد ان يمر الفيضان ولا تتركها الا وتكون قد خلافت ورائها طبقة من الطمي كان لها الاثر كله في تكوين اراضي مصر الزراعية وفي تجديد خصبها وقوتها عاماً بعد عام . ثم لتصورنا ساكن مصر الاول ينظر فيجد امامه ارضاً رواها النيل بمائه من دون ان يقوم هو في سبيل ذلك بمجهود او يتكبد نفقات فيرمي ببذوره فيها ولا يلبث ان يراها زرعاً يحني ثمره بعد زمن قصير . واذ كان لنا ان نسمي هذه العملية طريقة ري فلها تكون اقدم ما عرفه الانسان من طرق الري
مرت القرون بعد ذلك الى ان فطن قدماء المصريين الى هذه المزايا التي حبت بها الطبيعة وادبهم ورأوا امامهم قوى تضيق دون ان يفكروا في الانتفاع بها فأخذوا ينظمون جهودهم . وتقدم ملكهم « مينا » فرأى ان يقيم للنيل جسرين على طول مجراه ليمنع مياهه من ان تطفئ على شواطئه فتكتسح امامها البلاد . الا أنه وجد هذا العمل شاقاً لا يقوى على تنفيذه ففكر في ان يقصر جهوده على احد الجسرين فقط وبدأ بالجسر الايسر حيث العمار والمدن الكثيرة وترك الضفة اليمنى يطفئ عليها النيل ما سمحت مناسيبه بذلك . وقامت امامه بعد هذه الخطوة صعوبة توصيل مياه

الفيضانات الواطئة الى الاراضي المنخفضة البعيدة عن مجرى النيل فشقّ الترعة خلال اراضي الشواطىء العالية لتوصيل المياه الى تلك الاراضي المنخفضة وأقام جسوراً عمودية على جسر النيل لمنع بها فيضان المياه على مواطىء الاراضي الشمالية وكانت هذه اول خطوة لتنظيم الري الحوضي وقف مجهود القدماء بعد ذلك عند هذا الحد الى ان كان عصر الاسرة الثانية عشرة فأقاموا جسر النيل الايمن الاّ أنهم خشوا بعد انعام الجسرين ان تمزقهما الفيضانات العالية وتغرق البلاد او تكتسح اراضي الدلتا الواطئة فرغبوا في الاحتياط لذلك وقاموا بتوصيل مجرى النيل بالمنخفض الذي كان معروفاً ببخيرة موريس ليصرفوا فيه ما زاد من مياه الفيضانات العالية . وما لبثوا بعد ذلك ان فكروا في العمل على اعادة هذه المياه الى مجرى النيل حتى يمكن الاستفادة بها في الفترة التي يقل فيها ايراد النهر ولعل في ذلك ما يقوم دليلاً على أن فكرة تخزين المياه كانت وليدة العصور الماضية استمرّ نظام الري في مصر على هذه الحال الى ان غزا العرب مصر ورغب ولائهم في زيادة زروعاتهم فلم يجدوا امامهم الاّ الزراعة موروثةً يتعهدون بها بعنايتهم حتى تؤتي ثمارها وورث كل واحد منهم عن سلفه العناية بالشؤون الزراعية حتى نمت وترعرعت وجنت البلاد من ورائها الرمح الوفير فزادت مساحة الاراضي المنزرعة من مليون ونصف في اوائل حكمهم الى ثلاثة ملايين في آخر مدتهم . ولم يتغير نظام الري في عهدهم عنه في العهد السابق بل ظلت اراضي مصر العليا والوسطى ترى بنظام الحياض تغمرها مياه النيل وقت الفيضان وتبقى عليها زمناً ثم تصرف في مجرى النهر وتبذر البذور في الاراضي بعد ذلك وتترك حتى يتم نضج المحاصيل ثم حصادها . واستمرت اراضي الدلتا ترى بهذه الطريقة ايضاً وتحترقها فروع النيل العديدة تمدّها بالمياه اللازمة لها وقت الفيضان وكان للبلاد ان تلمس هذا المغنم الذي لقيته من وراء عنايتها بالشؤون الزراعية وان تعمل على الاحتفاظ به الاّ أنّها منيت بحكم الممالك الذين استولوا على الاراضي الزراعية وخصوا بها انفسهم وتابعيهم وبني الاهالون يعملون في اراض لا يملكونها مما دعاهم الى هجرها وعدم العناية بها فأجذبت وقلّ محصولها ولما ان ولي محمد علي باشا حكم مصر وجد الاراضي ترى بنفس الطريقة التي كانت متبعة مدة حكم العرب . وانها لا تنتج تحت هذا النظام الاّ محصولاً واحداً في السنة مما لا يتفق مع التوسع الزراعي الذي يشهده والذي يرى انه الوسيلة الوحيدة لزيادة ثروة البلاد . فبدأ بأراضي الدلتا وأدخل فيها زراعة بعض محاصيل جديدة أهمها القطن وكان قد استحضره من البرازيل والهند عام ١٨٢٠ — ودعت زراعة القطن الى تغيير نظام الري المتبع وذلك لان هذا المحصول يحتاج الى ريات متتابعة ولا يتفق وقت زراعته مع الفترة التي ترتفع فيها مياه النيل فاضطرّ ساكن الجنان أمام هذه الحال الى اكمال جسور فرعي النيل حتى لا تطفئ المياه وقت الفيضان على الاراضي المنزرعة قطعاً . وعمّق الترعة لدرجة تسمح بدخول مياه الصيف الواطئة فيها وبني عليها القناطر المتعددة ليتمكن بذلك من رفع المياه امامها الى منسوب تقل معه نفقات رفعها الى الاراضي . وكانت اراضي الدلتا بعد

الوثيقة

الغابرة

قبل ان

في مياه

جدة منها

الزراعية

تتصور

تملؤها

الزمن ثم

الطمي

لتصورنا

يل ذلك

صير. واذ

الطبيعة

وتقدم

شواطئه

ن يقصر

فة المني

يل مياه

هذه الخطوة تزرع فيها الحبوب بعد صرف المياه التي تغمرها وقت الفيضان وبعد ان يتم حصاد الحبوب تطهر الترعة مما يكون قد رسب فيها من الطمي لتسمح بأمداد الاراضي المنزرعة قطعاً بالمياه مدة الصيف وفي شهر اغسطس كانت تعمل قطوع في جسور الترعة لري مواطيء الحياض حتى اذا ماتم حصاد القطن في شهر سبتمبر تغمر الاراضي بمياه الفيضان وبعد صرف المياه تبذر فيها بذور الحبوب وهكذا. أي ان اراضي الدلتا كانت تروى بطريقتي الري الحوضية والمستديمة. وهذا اول العهد بأدخل نظام الري المستديم في مصر الا ان الجمع بين نظامي الري على الوجه السابق اقتضى نفقات كثيرة كانت تصرف في حفر الترعة الى منسوب واطىء ثم صيانتها على هذا المنسوب بتطهير مقادير الطمي الكبيرة التي كانت ترسب مدة الفيضان مما دعا محمد علي باشا أمام هذه النفقات وكثرة الايدي التي يتطلبها هذا العمل الى التفكير في تحسين الطريقة المتبعة فكلف مهندسيه البحث عن وسيلة يمكن بها رفع مياه الصيف بحيث تدخل الترعة من غير حاجة الى تعمييقها فعرض عليه مهندسوه مشروع اقامة قنطرتين على فرعي النيل عند قمة الدلتا. ولما صادفت هذه الفكرة قبولا لديه امر بأعداد ما يلزم لذلك ثم اعتمد المشروع وبدأ العمل في تنفيذه عام ١٨٤٣ واستمر بناء القناطر بعد ذلك تعترضه الصعوبات فتوهن من عزيمة القائمين به وتقل ثقتهم بنجاحه ثم يرجعون فيواصلون العمل فيه حتى تم بناء القناطر سنة ١٨٦١ وقبل استعمال القناطر في الموازنات رأى القائمون بالامر في ذلك الوقت اختبارها فعجزت عن تأدية ما طلب منها ولم تتمكن من رفع منسوب المياه امامها الى الدرجة المطلوبة وكان ذلك داعياً لاعادة البحث فيما يمكن تنفيذه لمقابلة احتياجات نظام الري الجديد وبدت لهذا الغرض فكرتان احدهما تقضي باقامة آلات لرفع المياه اللازمة والاخرى بترميم القناطر الا ان الآراء عادت فاقرت الفكرة الثانية وبدى بترميم القناطر ولما فرغوا من ذلك لم يكن الحجز عليها الى المنسوب المطلوب فأعيد ترميمها مرات انتهت باقامة سدود غاطسة خلفها سنة ١٩٠١ وبعد ذلك امكن للقناطر ان تقوم بالغرض الذي بنيت من اجله وباتمام القناطر تم وضع الحاجر الاساسي في نظام الري المستديم في الدلتا وامكن بواسطتها امداد هذه الاراضي بما يلزمها من المياه مدة الصيف مما ساعد على تحويل المساحات الحوضية لتروى بطريقة الري المستديم وكانت مساحة الاراضي التي تزرع فيها بعض المحاصيل الصيفية لا تتعدى المليون فدان وقت البدء في بناء القناطر زادت بعد ذلك الى ثلاثة ملايين تتمتع بنظام كامل من الري المستديم ولا يخفى ما كان لهذا التوسع من أثر في زيادة مقدار المحاصيل وما ترتب عليه من ازدياد موارد القطر وازدياد ثروته بارتفاع ثمن اراضيهِ. وبذلك تكون الجهود المتواصلة التي بذلها المغفور له محمد علي باشا قد اثمرت وتحقق الامل الذي طالما تطلع اليه

وفي اثناء بناء القناطر تم حفر ثلاث ترع كبيرة تأخذ من النيل امامها وهي الزياح التوفيقي والرياح المنوفي ورياح البحيرة ليروي الاول شرق الدلتا والثاني وسطها والثالث غربها ولما تولى الخديو اسماعيل باشا حكم مصر ورأى ثمرة جهود جده التي بذلها في العناية بالشؤون الزراعية

اراد ان يتتبع خطواته فأمر في سنة ١٨٧٣ بحفر الترعة الابراهيمية التي تعد من اكبر الترع في العالم وكان الغرض من انشائها في بادىء الامر امداد مزراع القصب الخديوية بالمياه مدة الصيف واستعملت بعد حفرها في ري مساحة صيفية قدرها حوالي نصف مليون فدان واخرى حوضية مساحتها نحو ٥٠٠٠٠٠ فدان ولقد كان انشاء هذه الترعة الخطوة الاولى لادخال نظام الري المستديم في مصر الوسطى ولما لمس سكان مصر الوسطى أثر محصول القطن في الثروة الزراعية عملوا على زراعته في بعض مساحاتهم الحوضية وكانوا يحيطون هذه المساحات بحجور تقها من طغيان المياه عليها مدة الفيضان ويرفعون اليها ما يلزمها من المياه بالآلات من النيل او من الآبار الارتوازية—ولما ازداد عدد السكان وتطلبت هذه الزيادة حاجتها من المزروعات اتجهت الانظار الى اراضي مصر الوسطى بغية تحويلها الى الري المستديم الا ان زراعة الاراضي مدة الصيف تقتضي ريه في هذا الوقت الذي تقل فيه تصرفات النيل ويعجز ايراده عن ان يمدّها بحاجتها من المياه . لذلك كان على القائمين بأعمال التوسع في كل مرحلة أن يفكروا في توفير المياه اللازمة للمساحات الصيفية ومن هنا عادت فتجددت فكرة التخزين وحجز بعض مياه الفيضان الزائدة عن الحاجة ليتمكن الاستفادة بها مدة الصيف . وسبق ان قلنا ان اول من فكر في تخزين المياه هم ملوك الاسرة الثانية عشرة الفرعونية وبدأت هذه الفكرة من بعدهم لمحمد علي باشا فأمر مهندس لينان باشا بدراسة هذا المشروع وفكر هذا في منخفض بحيرة موديس القديم ولما رأى ان النفقات التي تلزم لتنفيذ فكرته باهظة عدل عنها وفكر في اقامة قناطر عند جبل السلسلة لتخزين المياه امامها الا ان تصدع القناطر الخيرية بعد بنائها لم يشجعه على المضي في تنفيذ فكرته . وفي سنة ١٨٨٠ تجددت فكرة التخزين عند جبل السلسلة وكانت سعة الخزان المقترح انشاؤه عند هذا الموقع سبعة مليارات من الامتار المسكبة . وتقدم اقتراح آخر باستعمال منخفض وادي الريان خزاناً لحجز فيه بعض مياه الفيضان الا ان الحكومة لم تأخذ بأحد الاقتراحين بل نبذت فكرة التخزين ولعل السبب في ذلك ما شاهدته من ضعف القناطر الخيرية

ولما اسفرت اعمال الترميم في هذه القناطر عن بعض النجاح واصبح من الممكن الحجز عليها شجع ذلك الحكومة على المضي في تنفيذ فكرة التخزين واخذت هذه الفكرة تتطور فتتجه احياناً الى جبل السلسلة ثم تنحرف عن هذا الاتجاه لتعود الى منخفض وادي الريان وهكذا الى ان بدت في سنة ١٨٨٩ فكرة استخدام مجرى النيل نفسه للتخزين واخذت الحكومة بعد ذلك في بحث هذا الاقتراح وعهدت الى لجنة من المهندسين الاختصاصيين باختيار الموقع المناسب لهذا الخزان فقررت اللجنة بعد دراسة مجرى النيل بين حلفا والقاهرة ان انسب موقع يبني عنده السد هو شلال النيل الاول عند اسوان شمال أنس الوجود وتم تحضير المشروع بعد ذلك . وكان تصميم السد في بادىء الامر يسمح بالحجز عليه الى منسوب ١١٢ متراً وتبلغ سعة الخزان عند هذا المنسوب ما يربي على المليارين من الامتار المسكبة . الا ان الرغبة في المحافظة على المعبد الذي

يقع في حوض الخزان حالت دون تنفيذ هذا المشروع واقتصر في بناء السد الذي بدأ في سنة ١٨٩٨
 وتم سنة ١٩٠٢ على جعل منسوب التخزين ١٠٦ امتار بدلاً من ١١٢ مترًا وبذلك لم ينشأ الخزان
 الا ليسع ملياراً واحداً فقط من الامتار المكعبة

وللانتفاع بمياه التخزين رأى رجال الري في ذلك الوقت ان يعملوا على رفع منسوب مياه النيل
 عند فم ترعة الابراهيمية ليتمكنوا بذلك من اعطاء مصر الوسطى نصيبها من هذه المياه مدة
 الصيف . وكانت ترعة الابراهيمية تتغذى من النيل بدون قنطرة تساعد على رفع المياه امامها الى
 الدرجة التي تكفي لامداد الزمام المترتب ربه على هذه التربة بالمياه اللازمة له . ولمعالجة هذه الحال
 استقر الرأي على اقامة قنطرة على النيل عند اسيوط وتم بناء هذه القناطر سنة ١٩٠٢ وبذلك امكن لترعة
 الابراهيمية ان تأخذ نصيبها من المياه مدة الفيضان والصيف من دون ان يكون لمناسيب النيل أثر كبير
 عليها . وبعد اقامة هذه القناطر امكن تحويل ٤٥٠ الف فدان من حياض مصر الوسطى الى الري المستديم
 وفي سنة ١٩٠٣ تمت اقامة قناطر زفتى على فرع دمياط وكان الغرض من بناء هذه القناطر رفع
 المياه امامها في اوائل الفيضان لتغذية اراضي شمال مديرية الدقهلية والجانب الشرقي من مديرية الغربية
 في الوقت الذي لا تقوى فيه القناطر الخيرية على امداد الترع التي تأخذ من امامها بالمياه اللازمة

وامتدت الجهود بعد هذه المرحلة الى العناية بتحسين وسائل الري في اراضي مصر العليا التي
 تروى بطريقة الري الحوضية ولما رؤي ان اراضي مديرية قنا تحتاج الى تحسين حالة الري فيها فكر
 في اقامة قناطر اسنا على النيل لترفع امامها مياه الفيضان بحيث تكفي لغمر هذه الحياض وبدء في
 اقامة هذه القناطر سنة ١٩٠٦ وتم بناؤها سنة ١٩٠٨

ولم يكن للقائمين بأمر التوسع ان تقف جهودهم عند هذا الحد بعد ان تم انشاء هذه الاعمال
 الكبيرة في مجرى النيل بل دعتهم قلة الاراد الذي اتت به السنين الشحيحة بعد ذلك الى اعادة
 التفكير في تخزين مقادير اخرى من المياه غير التي تحجز كل سنة في خزان اسوان واتجهت اظارهم
 الى هذا الخزان يفكرون في العمل على رفع منسوب التخزين به لعلهم بذلك يسدون النقص في
 الاراد الطبيعي للنهر مدة الصيف عن احتياجات الاراضي الزراعية التي زادت مساحتها . وانتهى
 تفكيرهم الى البدء في تلية خزان اسوان للمرة الاولى وتمت هذه التلية سنة ١٩١٢ وأصبحت
 سعة الخزان بعدها مليارين ونصف من الامتار المكعبة واستخدم مقدار المياه الاضافية في تحسين
 حالة الري وفي التوسع في جانب من الاراضي البور في الوجه البحري . ولما تم الانتفاع بهذه الزيادة
 كانت مساحة الاراضي المنزرعة بالدلتا ٣٥٠.٠٠٠ فدان ومساحة الاراضي التي تروى ربا
 مستديماً في مصر الوسطى ١٠٥٠.٠٠٠ فدان وبذلك يكون قد امكن الانتفاع بمياه التخزين كلها
 عند اسوان في استصلاح ٣٠٠.٠٠٠ فدان من اراضي الدلتا وفي تحويل حوالي ٤٥٠.٠٠٠ فدان
 من حياض مصر الوسطى

التوسع في الاراضي الزراعية

والآن انتقل بعد الكلام عن تاريخ الري في مصر الى التوسع المقترح في اراضيها الزراعية ثم الاحتياجات التي تتطلبها هذا التوسع والخطوات التي يقترح اتباعها لزيادة الاراد حتى يمكن مقابلة التوسع الجديد في كل مرحلة من مراحل المستقبل.

تبلغ مساحة الاراضي التي تروي رباً مستديماً في الوجهين البحري والقبلي حوالي ٤٠٠.٠٠٠ ر٤٠٠.٠٠٠ فدان ومحتاج هذه المساحة لكي تأتي بالفائدة التي ترجى من زراعتها الى امدادها بكفايتها من المياه مدة الصيف . وفي هذه الفترة من السنة يقل اراد النهر بحيث لا يفي مع ما يضاف اليه من الخزون عند اسوان باحتياجات الاراضي الزراعية ، ويضطر رجال الري أمام قلة الاراد ان يقسموا مدة اطلاق المياه في الترع الى فترات تخصص كل واحدة منها لري جزء من زمام كل ترعة ثم يمنع هذا الجزء من الري طيلة الفترات الباقية . وهم في ذلك يبعون توزيع المياه ما امكنهم على الاراضي الزراعية توزيعاً نسبياً بل تضطرم قلة الاراد في السنين الشحيحة جداً الى اطالة الفترات التي تحرم فيها الاراضي من الري . ولهذا من الاثر في الزراعة ما يقل معه مقدار المحاصيل وخصوصاً محصول القطن مطمح انظار المزارعين وأملهم الذي يترقبونه طول عامهم . وهناك ايضاً من نتائج قلة الاراد ما يتصل بمحصول الذرة عماد غذاء الفلاح المصري وذلك أن شح الاراد يمنع التفكير بطفي الشراقي اعداداً لزراعتها بهذا المحصول . وفي تأخير زرعها الاثر السيء في مقدار ما يحجونه منها

يضاف الى هذا — الازدياد المستمر في عدد سكان مصر وما تتطلبه هذه الزيادة من المزارع ولو اننا رجعنا الى الاحصاءات التي عملت لسكان مصر في السنين الماضية لوجدنا ان عددهم يتكاثر بمعدل ١٤٠.٠٠٠ نسمة سنوياً ومع هذا المعدل زى ان أهالي مصر ينتظر ان يصل عددهم الى ١٨ مليوناً في سنة ١٩٤٨ والى ٣٠ مليوناً في سنة ٢٠٠٠ ولا شك ان هذه الزيادة سوف تتطلع الى الاراضي الزراعية ترجو الحصول منها على ما يقوم باحتياجاتها

ومن الضروري ازاء هذه الحال ان تتجه الانظار الى التوسع في الاراضي الزراعية باستصلاح البور منها وبتحويل الحياض الى الري المستديم حتى تزيد مقادير المحاصيل التي تأتي بها . ولا سبيل لمقابلة هذا التوسع الا الرجوع الى اراد النيل الذي ظل قبلة المصريين في كل عصر يولون وجوههم شطره ويلتمسون من ورائه رزقهم وما يتمتعون به من ثروة . وما شجع دائماً على التفكير في اراد النيل في كل خطوة من خطوات التوسع أن مجموع اراده طول العام يزيد عن احتياجات الزراعة في مجموع فصول السنة الا أنه يأتي باراد يزيد كثيراً عن حاجة الزراعة مدة طويلة من السنة ويعجز عن الوفاء بها مدة الصيف . وهذا ما اوحى الى الاولين فكرة التخزين وما عاد فدما وزارة الاشغال الى أن تعمل على زيادة الخزون من المياه لتمد الزراعة المستقبلية بمطالبها ولو أنه امكن تخزين جميع المياه التي تفيض عن الحاجة من مجموع اراد النيل في السنوات

المتوفرة الايراد للانتفاع بها في السنين الشحيحة وفي الفترات التي يعجز فيها ايراد النهر الطبيعي عن الوفاء بحاجة الاراضي الزراعية لا يمكن بذلك ضمان زراعة ما لا يقل عن ٢٠ مليون فدان أي ما يعادل تقريباً ثلاثة أمثال أقصى مساحة تصل اليها الاراضي الزراعية في الوادي بالقطر المصري في المستقبل اذا لم نعر الصحارى التفاتاً ما

وسارت وزارة الاشغال في سبيل زيادة المخزون وفكرت في تعلية خزان اسوان للمرة الثانية . ولما تأكدت من امكان هذه التعلية شرعت فيها وانتهت اخيراً . وبدأت في بناء خزان جبل الاولياء . وباتمام هذين العملين سيزيد المخزون من المياه بمقدار ٤٨٠٠ مليون مترًا مكعباً منها ٢٨٠٠ مليون من خزان اسوان و ٢٠٠٠ مليون من خزان جبل الاولياء سينتفع بها :-

اولاً - في تحسين حالة المناوبات والتبكير بطني الشراقي في الوجهين البحري والقبلي وضمان زراعة ٢٠٠٦٠٠٠ فدان ارزاً

ثانياً - في استصلاح حوالي ٤٠٠٦٠٠٠ فدان من الاراضي البور في الوجه البحري

ثالثاً - في التوسع في الوجه القبلي بتحويل حياض مساحتها حوالي ٤٥٠٦٠٠٠ فدان واعطاء

مياه لمساحة قدرها حوالي ٥٠٦٠٠٠ فدان من الاراضي البور والسواحل

ولقد بدأ التوسع في هذه المساحات من السنة الحالية وسيستمر حتى يتم استنفاد المخزون

الاضافي بخزان اسوان لمنسوب ١٢١ م وذلك في سنة ١٩٣٨ وفي هذا التاريخ يكون قد تم بناء

خزان جبل الاولياء وأمكن الحجز عليه فبدأ باستخدام مياهه الى ان يتم الانتفاع بها حوالي سنة

١٩٤٦ - ويتبقى بعد ذلك مقدار آخر من المخزون يمكن الحصول عليه برفع منسوب التخزين

بأسوان مترًا فيخصص لاستصلاح بعض المساحات البور في الوجه البحري ابتداءً من سنة ١٩٤٦

الى سنة ١٩٥٣ وبذلك يكون قد تم الانتفاع بمياه الخزنين حوالي سنة ١٩٥٣

ويستلزم الانتفاع بهذه المقادير أن ترجع الوزارة أولاً الى القناطر الرئيسية المقامة على النيل

لتدرس حالتها وتتأكد من انها تقوى على الحجز عليها الى المنسوب الجديد الذي يمكن معه اعطاء

الترع الآخذة من امامها نصيبها من هذه المياه . ولقد انتهت الوزارة الى ضرورة تقوية قناطر اسيوط

حتى تسمح برفع منسوب المياه أمامها بحيث يكفي لتحسين حالة المناوبات على الترعة الابراهيمية

وتحويل بعض المساحات الحوضية بمصر الوسطى الى الري المستديم ولا مكان التوسع في بعض

المساحات البور بمديرية الفيوم . ويحتاج التوسع في الوجه البحري الى زيادة الحجز على القناطر الخيرية

وهذه القناطر لا تقوى بحالتها الحاضرة على تحمل الحجز الجديد لذلك رؤي ضرورة تقويتها او بناء

قناطر جديدة بدلاً منها ولم يستقر الرأي بعد على احد الحلين

وهناك قناطر اخرى يتجه التفكير نحو اقامتها على فرع رشيد بدل السد الترابي الذي يقام كل

عام لمنع به دخول المياه المالحة في الوقت الذي تنخفض فيه مناسيب النيل ولتتجمع امامه مياه الرش

التي يمكن الانتفاع بها في ري جزء من الاراضي الشمالية بمديرتي الغربية والبحيرة . وتستلزم اقامة هذا السد كل عام صرف مقادير من المياه لطرد المياه المالحة قبل قفل السد . وسيكون لهذه المقادير أثر في ملء خزان أسوان في مراحل التوسع المستقبلية وهذا ما دعا الى التفكير في اقامة هذه القناطر ويجدر بي ان اشير الى القناطر التي تم بناؤها على النيل سنة ١٩٣٠ في وسط المسافة تقريباً بين قناطر اسنا وقناطر اسيوط واقصد بها قناطر نجع حمادي وقد اقيمت لضمان الري الحوضي في مديرية جرجا ولا مكان تحويل الاراضي الحوضية بمديرتي اسيوط وجرجا الى الري المستديم بعد اتمام اعمال التخزين . وتم حفر ترعتين تأخذان من امام هذه القناطر وهما التربة الفؤادية بالبر الايسر للنيل والترعة الفاروقية بالبر الايمن . وستحوّل المساحات التي تتحكم فيها هاتان الترعتان الى الري المستديم لتنتفع من مياه خزاني اسوان وجبل الاولياء

وبعد هذه المرحلة لا تكون مصر قد اتمت كامل التوسع في اراضيها الزراعية بل يبقى هناك حوالي ٧٠٠٦٠٠٠ فدان من اراضي الوجه القبلي باقية تحت نظام الري الحوضي وحوالي ٩٥٠٦٠٠٠ فدان بور بالوجه البحري بما في ذلك ما يستجد منها بعد تخفيف الجانب الاكبر من البحيرات الشمالية . وحين يتم هذا التوسع تصل مساحة الاراضي الزراعية في مصر ٧٦١٠٠٦٠٠٠ فدان وتحتاج هذه المساحات زيادة على ايراد الشهر الطبيعي الى حوالي ٨٠٠٠ مليون من الامطار المكعبة مدة الصيف وذلك بخلاف المخزون بخزان اسوان بعد تعليته الثانية وقدره ٥٣٠٠ مليون متر مكعباً — وما سيخزن في جبل الاولياء وقدره ٢٠٠٠ مليون متر مكعباً

ويمكن الحصول على هذه المقادير من الوجوه الآتية : —

١٤٠٠	مليون من خزان بحيرة تسانا
٥٦٠٠	« « البرت بعد انشاء قناة السدود
١٠٠٠	« « « كيوجا
٨٠٠٠	المجموع

ويستلزم الانتفاع بالمقادير التي ستحجز بخزانات تسانا والبرت وكيوجا غير الاعمال العادية تقوية قناطر اسنا . وينتظر ان تبني هذه الاعمال في التواريخ الآتية : —

العمل	تاريخ البدء	تاريخ الانتهاء
تقوية قناطر اسنا	١٩٥٠	١٩٥٤
انشاء خزان تسانا	١٩٥٠	١٩٥٤
انشاء قناة السدود	١٩٥٥	١٩٦٥
انشاء خزان البرت	١٩٦١	١٩٦٥
انشاء خزان كيوجا	١٩٧٥	١٩٧٩

وبنم الانتفاع بهذه المقادير حوالي آخر القرن الحالي . واذا كان لأولي الامر بعد ذلك ان

يتطلعوا الى زيادة التوسع فان عليهم ان يتجهوا الى الصحراء ليصلحوا بعض المساحات فيها . ويمكنهم الحصول على المياه اللازمة لها عن طريق انشاء خزان آخر على بحيرة فكتوريا ويجدون من المياه الغزيرة التي تسقط على هذه البحيرة وحوضها ما يوفر لهم مقادير كبيرة من المياه ويكون الارتفاع بهذه المقادير آخر مدى تقف عنده الجهود في التوسع . والآن انتقل لا تحدث اليكم عن موضوع الصرف والخطوات التي اتبعت لتحسين وسائله وتعميمها في الاراضي الزراعية

❖ الصرف ❖

للسرف ما للري من خطر الشأن اذ يتوقف انتاج الاراضي الزراعية عليهما معاً فلا تجود الارض بمحصولها ولا يبقى لها خصبها الا اذا توفرت لها المياه وتم امدادها بوسائل الصرف اللازمة والاراضي اذا ما رويت تخللت المياه طبقاتها الى اسفل حتى تصل الى منسوب المياه الجوفية فتأخذ هذه المياه في الارتفاع . واذا ما استمر ري الاراضي على فترات متقاربة زاد ارتفاع مستوى المياه الجوفية الى الحد الذي لا يجد النبات معه طبقة من الارض يستطيع ان يرسل بجذوره فيها من دون ان تخنقها المياه . كذلك في الفترات التي يوقف فيها ري الاراضي تعلو المياه التي تتخلل طبقاتها الى السطح بفعل الجاذبية الشعرية ثم تعود فتبهبط الى اسفل ثانية في فترات الري وهكذا تستمر المياه في الهبوط والصعود فتذيب معها كمية من الاملاح المختلطة بطبقات الارض وتسير معها في حركاتها المختلفة . فاذا ما وصلت المياه المحملة بالاملاح اثناء هبوطها الى مستوى منخفض فان كمية الاملاح التي في الطبقة العليا تقل تدريجياً . أما اذا كان مستوى المياه الجوفية عالياً فان هذه الاملاح تعلو الى سطح الارض مع المياه اثناء صعودها بفعل الجاذبية الشعرية حتى اذا ما تبخرت المياه بقيت الاملاح في الطبقة التي تتخللها جذور النباتات فتؤثر فيها وتكون بذلك مهلكة لحياة الزرع ويقل معها خصب الارض ويضعف انتاجها . وترون من ذلك ألا فائدة من توفير المياه للاراضي الا اذا كانت المصارف تخرقها وتعمل دائماً على تخفيض منسوب المياه الجوفية ولقد دلت الابحاث التي عملت سنة ١٩٠٨ لمعرفة الباعث على نقص محصول القطن ان ذلك راجع الى فساد الارض لاستمرار ريهها وعدم امدادها بالمصارف وكان أثر ذلك اوضح في اراضي الدلتا لطول عهدها بنظام الري المستديم

ودعت هذه الحال الى توجيه العناية الى شؤون الصرف واستمرت العناية بها الى أن شبت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ وحال ذلك دون مواصلة تنفيذ مشروعات الصرف إلى أن وضعت الحرب أوزارها فعادت الايدي وتناولت هذه الاعمال واتجهت أولاً الى اراضي الدلتا فبدت مقترحات متعددة في شأن أفضل الوسائل التي تتبع لصرف هذه الاراضي الى ان تم تفضيل احداها وتلخص فيما يأتي:—
قسمت أراضي الدلتا الى الاقسام الثلاثة الآتية : —

(١) القسم الاول — ويشمل أراضي شمال الدلتا وتبلغ مساحتها حوالي مليون فدان . وهذه

الاراضي ذات منسوب واطئ ولا يمكن صرفها إلا بالآلات لذلك تقرر انشاء ثنائي عشرة محطة طلمبات فرعية لصرفها على أن تستمد هذه المحطات التيار الكهربائي اللازم لادارتها من ثلاث محطات رئيسية بالمطف وبلقاس والسرو . ولقد تمت اقامة المحطات الرئيسية وأغلب المحطات الفرعية

(٢) القسم الثاني - ويشمل الاراضي التي تلي المنطقة السابقة جنوباً وتبلغ مساحتها حوالي المليون فدان أيضاً . ومناسب هذه الاراضي أعلى من الاراضي الشمالية وتحترقها شبكة من المصارف الفرعية تصرف مياهها في أخرى رئيسية وهذه تصب بالراحة أما في البحيرات الشمالية أو في البحر . وينبغي لتحسين صرف أراضي هذا القسم زيادة عدد المصارف الفرعية لتتبع جميع الاراضي بطرق صرف وافية

(٣) القسم الثالث - ويشمل أراضي صدر الدلتا العالية . وكان المتفق عليه فيما سبق لها سوف لا تحتاج الى وسائل الصرف . إلا أن استمرار ردها بالراحة أثر فيها وبدأ الفساد يتطرق اليها كما بدأت الاملاح تظهر فوق سطحها . وأظهر الادلة على ذلك ما شوهد من فساد أراضي مديرتي المنوفية والقليوبية وقد كانت حتى سني الحرب أغنى أراضي مصر الى أن عمها نظام الري بالراحة تخفيفاً للعبء الذي كان ملقى على عاتق الاهلين في ري أراضيهم بسبب ارتفاع ثمن الوقود اللازم لادارة طلمباتهم في فترة الحرب . ودعا ري هذه الاراضي بالراحة وعدم وجود المصارف اللازمة لها الى فساد تربتها وقلة غلتها حتى اضطر رجال الري أخيراً الى توجيه جهودهم الى العمل على امداد هذه المناطق بوسائل الصرف اللازمة . ولقد سار تنفيذ مشروع صرف اراضي المنوفية مرحلة طويلة . ولا تلبث ان تتم دراسة مشروع صرف اراضي القليوبية ويبدأ في تنفيذه . ولو أنني اعتقد ان الحل الحقيقي لتحسين حالة اراضي هذا القسم هو ارجاع طريقة الري بالآلة التي كانت متبعة في ري هذه الاراضي حتى سني الحرب

اما اراضي مصر الوسطى فيخترقها مصرف واحد تطلق عليه أسماء متعددة في أحباسه المختلفة وتصب فيه المصارف الفرعية التي تشق هذه الاراضي ويصرف هو مياهه في رياح البحيرة وتصله في بعض طوله وصلات بالنيل ليصب فيه مياهه اذا سمحت مناسب النيل بذلك . كما تصله وصلات أخرى ببحر يوسف لنفس الغرض السابق . وتحتاج أراضي مصر الوسطى الى تحسين وسائل الصرف فيها وهو ما يقوم رجال الري في الوقت الحاضر بدراسته والمأمول أن يبدأ تنفيذه في القريب العاجل

يتبقى بعد ذلك أراضي الحياض في الوجه القبلي وهي التي ستحول الى نظام الري المستديم وهذه الاراضي سيراعى في تنفيذ المشروعات بها أن تسير أعمال الصرف جنباً الى جنب مع اعمال الري حتى لا ياتي ذلك الوقت الذي تبدو عليها فيه آثار الفساد نتيجة استمرار ردها وعدم امدادها بوسائل الصرف

نفقات الاعمال

وأود في هذا الجزء الاخير من محاضرتي أن أذكر لكم المبالغ التي يجب على مصر ان تنفقها حتى تكمل هذا التوسع المقترح في أراضيها الزراعية

تبلغ نفقات الاعمال التي يستلزمها الانتفاع بماء خزاني أسوان وجبل الاولياء ما يأتي :-

جنيه ٤٨٠٠٠.٠٠٠	التعليمة الثانية لخزان اسوان
« ٤٣٠٠٠.٠٠٠	انشاء خزان جبل الاولياء
« ١١٠٠٠.٠٠٠	تقوية قناطر اسيوط
« ٣٢٠٠٠.٠٠٠	تقوية القناطر الخيرية او انشاء قناطر جديدة
« ٧٠٠٠.٠٠٠	انشاء قناطر على فرع رشيد بدل السد الترابي
« ١٣٠٠٠.٠٠٠	تعديل الري والصرف في الوجه البحري
« ٣٢٠٠٠.٠٠٠	استصلاح اراضي بور في الوجه البحري
« ٦٥٠٠.٠٠٠	تحويل الحياض بالوجه القبلي
« ٢٤٠٠٠.٠٠٠	اقامة المحطات الرئيسية والفرعية لصرف شمال الدلتا والخطوط الكهربية اللازمة
« ٨٠٠٠.٠٠٠	اقامة محطات الصرف الاخرى بالدلتا
« ٢٣٠٠٠.٠٠٠	الصرف في مصر الوسطى
٧٠٠٠.٠٠٠	الملاحه
« ٤٣٠٠٠.٠٠٠	

أي ان مجموع نفقات هذه الاعمال يبلغ ٤٣٠٠٠.٠٠٠ جنيه ينتظر ان تصل قيمة ما يصرف منها لغاية السنة المالية الحالية حوالي ١٣ مليون جنهما والباقي هو ما يلزم صرفه في مدى العشرين السنة القادمة بمعدل سنوي متوسطه حوالي ثلاثة ملايين جنيه في الثلاث السنوات الاولى ومليونان في التسع السنوات التالية ثم يهبط هذا المتوسط الى حوالي ٣٠٠٠.٠٠٠ جنيه في السنوات الباقية وتقدر قيمة الاعمال التي يستلزمها التوسع في المرحلة الثانية أي بعد سنة ١٩٥٣ ما يأتي :-

جنيه ٢٧٠٠٠.٠٠٠	انشاء خزان تسانا
« ١٠٠٠٠.٠٠٠	« قناة السدود
« ٣٠٠٠٠.٠٠٠	« خزان بحيرة البرت
« ٢٠٠٠٠.٠٠٠	« « « كيوجا
« ٨٠٠٠.٠٠٠	تقوية قناطر اسنا
« ١١٠٠٠.٠٠٠	استصلاح اراضي بور شمال الدلتا
« ٩٠٠٠.٠٠٠	تحويل باقي الحياض بالوجه القبلي
« ٣٨٥٠٠.٠٠٠	

أي ان مجموع ما ستصرفه الحكومة على اعمال التوسع حتى آخر القرن الحالي تربي على ٨٠ مليون من الجنهيات . ولا شك ان البلاد ستعجز من وراء تنفيذ هذه الاعمال أضعاف ما تنفقه عليها . ولو اننا رجعنا الى ما صرف على خزان أسوان منذ انشائه الى تعليمته الاولى وقدرنا الفائدة منه لوجدنا أنه عاد على البلاد بالربح الوفير . واني أضع أمامكم فيما يلي موازنة بين النفقات التي صرفت على هذا الخزان والفوائد التي جنتها البلاد منه :-

جنيه ٣٠٥٠٠.٠٠٠	بلغت نفقات انشاء الخزان
« ١٥٠٠.٠٠٠	« « تعليمته الاولى
« ٤٥٥٠.٠٠٠	

واستخدمت مياهه لاستصلاح حوالي ٣٠٠٠٠٠ فدان من الاراضي البور في الوجه البحري وتحويل نحو ٤٥٠٠٠٠ فدان من حياض الوجه القبلي الى الري المستديم . فاذا قدرنا ان ما أنفقته الحكومة في عملية تحويل الاراضي الحوضية كان بمعدل ١٢ جنيهاً للفدان . وفي شق الترع والمصارف للاراضي البور خمسة جنيهاً للفدان . وان ما صرفه الاهالي في الاراضي الحوضية كان بمعدل ٤ جنيهاً للفدان وفي الاراضي البور ١٢ جنيهاً للفدان فان جملة النفقات تكون : —

(١) — ما أنفقته الحكومة

نفقات انشاء الخزائ وتعليته الاولى	٤٥٥٠٠٠٠٠ جنية
تحويل الحياض ١٢ × ٤٥٠٠٠٠	٥٤٠٠٠٠٠٠ «
استصلاح البور ٥ × ٣٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠٠ «
	<u>١١٤٥٠٠٠٠ «</u>

(٢) — ما أنفقته الاهالي

تحويل الحياض ٤ × ٤٥٠٠٠٠	١٨٠٠٠٠٠٠ جنية
استصلاح البور ١٢ × ٣٠٠٠٠٠	٣٦٠٠٠٠٠٠ «
	٥٤٠٠٠٠٠٠ «
فيكون مجموع النفقات	<u>١٦٨٥٠٠٠٠ «</u>

وقد زادت قيمة الاراضي البور بعد استصلاحها بمعدل ٧٠ جنيهاً للفدان وارتفعت اثمان الاراضي الحوضية بعد ان تم تحويلها بمعدل ٥٠ جنيهاً للفدان وبذلك تكون الفائدة التي عادت على روة البلاد من التوسع في المساحات المذكورة : —

(١) تحويل الحياض ٥٠ × ٤٥٠٠٠٠	٢٢٥٠٠٠٠٠ جنية
(٢) استصلاح الاراضي البور ٧٠ × ٣٠٠٠٠٠	٢١٠٠٠٠٠٠ «
	<u>٤٣٥٠٠٠٠٠ «</u>

وهناك فائدة أخرى عادت على هذا التوسع بزيادة الاراد السنوي الذي تأتي به الاراضي الجديدة التي استصلحت والتي حولت لتروى بنظام الري المستديم فاذا قدرنا الزيادة في اراد اراضي الحياض التي تم تحويلها بمعدل ٣ جنيهاً للفدان سنوياً وان قيمة اراد الفدان البور بعد استصلاحه بمعدل ٥ جنيهاً للفدان سنوياً وهي أرقام متواضعة كما ترون لكنت الزيادة في الاراد كما يأتي : —

(١) تحويل الحياض ٣ × ٤٥٠٠٠٠	١٣٥٠٠٠٠ جنية
(٢) استصلاح الاراضي البور ٥ × ٣٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠ «
المجموع	<u>٢٨٥٠٠٠٠ «</u>

ومن هذه الارقام ترون ما لقيته البلاد من الربح بعد خزان اسوان وتستنجنون ما ستلقاه من وراء انفاقها على اعمال التوسع المستقبلية

مصطلحات علم النفس

ومشكلة ترجمتها وتعريبها

لمحمد مظهر سعيد

استاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية اصول الدين

٣ - الفكر والتفكير

يحد المتتبع لترجمة مصطلحات هذا الموضوع الهام في علم النفس نوعاً جديداً من التخبُّط في المؤلفات العربية . فقد اتفق الكتاب والادباء والمؤلفون والمترجمون على اتخاذ كلمة فكر او تفكير ترجمة لكلمتي Thought و Thinking الانكليزيتين ولكنهم تخبطوا في تحديد معنى العمليات العقلية التي يصح ان يطلق عليها كلمة تفكير ، تخبطاً يستحيل معه على الباحث ان يعرف بالضبط حدود هذه العملية ووظيفتها والفوارق الجوهرية التي تميزها عن غيرها من وظائف العقل . فالادباء والكتاب من ناحية اطلقوا كلمة التفكير من غير قيد او تحديد ، على كل عملية يقوم بها العقل سواء أكانت مجرد تذكر حادثة قديمة او استحضار صورة ذهنية لشيء معروف او التأمل في امر يتمناه الانسان ويشتهيهِ او يشعر نحوه شعوراً خاصاً او تدبُّر مستقبله وكيف يرجو ان يكون من غير ادنى تفريق بين ما هو حاضر امامه يدركه بحواسه وما هو غائب عنه يعرفه بصورته او ذكره . فأصبح المعنى الدارج يتضمن كل سائحة شاردة وكل ذكرى تافهة . وكل حلم من احلام النهار واليقظة . وكل ما يترى في الذهن من حلقات متنافرة متناثرة غير منسجمة ولا متصلة ليست من التفكير الصحيح في شيء

وخطا رجال التربية وعلم النفس خطوة قصيرة فأطلقوه من ناحية اخرى على الفكرة التي تخطر في الذهن عن شيء او شخص لا يكون موجوداً ولا يدركه العقل عن طريق الحس كالذكريات والصور والخيالات - ونحا بعضهم نحو قدماء علماء النفس في الغرب فاعتبروا التفكير مرادفاً لمراتب الادراك المختلفة من ادراك المحسوسات الى العلاقات بين المواقف المحسوسة الى الاستقراء والملاحظة والتجريد والتعميم والقياس الى التعليل في حين ان لكل من هذه العمليات العقلية شخصيتها التي تحتفظ بها وان اندجت معاً في المواقف العقلية المعقدة . وسيجد القارئ من هذه المقتطفات أنهم الى جانب هذا اطلقوا الفكر (او التفكير) على هذه العمليات التي لا تمت للتفكير بصلة كالتحصيل والحفظ والاستظهار والانتباه والتصور والارادة . وهذه الامور التي تتصل

بالتفكير اتصالاً وثيقاً ولكنها ليست منه كالفهم وادراك المعنى والعلاقات وادراك الكليات

١ - يقول المرحوم الشيخ شريف (ص ٣٥) الفكر هو قوة للنفس تتمكن بها مع استخدام العقل من الحصول على المعارف وحفظها واستحضارها (وهذا يقصد به الذاكرة . وغريب جداً ان يفرق بين العقل والفكر)

٢ - ويقول الجارم (ص ٩٧) توجيه النفس وحصر « الفكر » في الحادث (وفي ص ٩٨) الانتباه توجيه « الفكر » وحصره فيما يعرض عليه من الاشياء (فهو في الاولى يقصد الانتباه وفي الثانية الشعور جملة)

٣ - ويقول قنديل (ص ٧٥) عند المقارنة بالتخيل : التفكير هو تكوين رأي في الصورة . فهو يشمل الصورة وما تدل عليه من حيث معناها وقيمتها (وأفهم من هذا انه يقصد التصور ولكنني لست افهم معنى الحكم على الصورة الا اذا قصد بها المشكلة او الموقف الذي يفكر فيه الانسان وهذا ليس صورة . لان الصورة الذهنية لا تتطلب حكماً)

٤ - ويقول الجارم (ص ١٠٧) وهو يمثل لضعف الارادة : كأن يظل الطفل مشتت الفكر (ومعنى الفكر هنا غير واضح على الاطلاق وكذلك العلاقة بين الفكر والارادة)

٥ - ويقول الشيخ شريف (ص ٩) - حركة النفس في فهم حقائق الاشياء ونسبها تسمى فكراً (وهذا يتضمن المعنى الصحيح للتفكير لولا انه استخدم كلمة الفكر بدون توضيح)

وفي (ص ٧٣) : أثر القوة الفكرية في تدبر المعاني (ومعنى تدبر هنا غير واضح على الاطلاق) وزاد الامر تعقيداً بقوله (ص ٧٧) اسناد الاشياء بعضها لبعض يسمى حكماً او تعقل او تفكير او تصرف الخ

٦ - ويقول قنديل (ص ١٥٨) التفكير هو موازنة شيء بغيره لادراك ما بينهما من علاقات قريبة او بعيدة . او ادراك ما بين الاشياء بعضها وبعض من اوجه الشبه (وقصر التفكير على خطوة واحدة من خطواته وهي ادراك العلاقات والاختصار في العلاقات المدركة على مجرد الشبه والتشابه نقص كبير)

٧ - وحدد (في ص ١٥٨) انه عملية ادراك الكلّي نفسها وهذا تحديد غريب في بابه لان ادراك الكلّي هو مجرد خطوة من خطوات التفكير وليس التفكير كله

اما التعليل Reasoning وهو نوع من انواع التفكير يقصد به البحث عن علة الاشياء او اسباب المواقف فلم يحددها واحد منهم غير واصف بك فقد ترجمها في قاموسه بالقياس الفكري او النظر ولكنه قصر التعليل بهذه الترجمة على القياس واخرج الاستقراء الذي هو خطوة هامة من خطوات التعليل . فهل يستطيع القارئ الذي لم ينل قسطاً كبيراً من دراسة علم النفس الحديث في المراجع الغربية بلغاتها الاجنبية ان يعرف بالتحديد معنى التفكير والفوارق الجوهرية بين هذه العملية الهامة وغيرها من العمليات العقلية

ولكننا مع هذا نلتبس العذر كل العذر للمؤلفين والمترجمين . فقد وقع علماء الغرب الذين نقلوا

عنهم في نفس هذا الخطأ حتى ادرك المحدثون ان التفكير الصحيح لا يتعين فيه ان تتوالى الوحدات بعضها وراء بعض وتتعاقب وترتبط مجرد ارتباط خصب . بل لابد لها ان ترتبط ارتباطاً محكماً بحيث تستند كل خطوة الى سابقتها . وتحدد التي تأتي بعدها فتكون حلقة متصلة في سلسلة الافكار . وكذلك لا يكون مجرد التأمل في شيء غير حاضر للحس تفكيراً . فقد يتخيل المرء حادثة منسجمة الاتصال . مترابطة الاجزاء كما يفعل القصصيون والروائيون من غير قصد اثبات شيء او نفيه او الاعتقاد في حقائق او نظريات او التصرف في موقف «عن طريق ايجاد العلاقات الصحيحة بين اجزائه حتى نستطيع الحكم عليه جملة في حدود هذه العلاقات التي يصبح الموقف بدونها عديم المعنى» (١) فالتفكير بمعناه الحديث — الذي حدده الفيلسوف الامريكي جون ديوي وعنه اخذت المدارس الحديثة — «هو العملية العقلية التي يقوم بها العقل عند شعوره بأنه يواجه موقفاً معقداً غير مألوف لديه او مشكلة جديدة تتطلب منه ان يتصرف تصرفاً خاصاً مقيداً بالظروف والعلاقات القائمة فعلاً — او التي يستنبطها العقل — بين اجزاء هذا الموقف . او بين هذا الموقف وموقف آخر يتصل به او بمائله» (٢) . وبعبارة اخرى «هو عملية عقلية يكيف بها الانسان نفسه حتى يتصرف في الموقف الذي يجده له ويشعر المفكر ذاته بهذه الملاءمة ولو كان الموقف حسياً بحتاً»

فالاصل في التفكير اذن وجود مشكلة متشعبة الاطراف لها حل واحد او جملة (٣) حلول يجدها العقل او يفضل واحداً منها على البقية — او حالة ارتباك وشك تدفع العقل الى محاولة ايجاد مخرج منها او الوصول الى نظرية او رأي او مشروع تحل به عن طريق البحث وكشف الحقائق التي تساعد على الوصول الى الحل وعلى وجه العموم لا يصح لنا ان نسمي العملية العقلية تفكيراً الا اذا تضمنت العناصر الآتية : (١) — الشعور بضرورة التصرف في المشكلة القائمة (٢) — تقدير القيم النسبية للموقف واجزائه وادراك ما بينهما من علاقات وتعليل الموقف لاستخلاص نتيجة معينة (٣) — الحكم على الموقف او الموضوع بالصحة او البطلان

وفي ضوء هذا الرأي يصح ان نعتبر ان التفكير يتم في كل مستويات الادراك وليس هو بقاصر على مستوى ادراك الكليات كما كان يقول قدماء علماء النفس والمنطق . ففي مرتبة الادراك الحسي يكون موضوع التفكير خاصاً محدوداً مميزاً وفي الادراك الكلي يكون معقداً متنوعاً لمجموعات كاملة او كليات مجردة عن الحس وهو كذلك يتضمن كل عمليات المقابلة وفرض الفروض والتجربة والتعليل والحكم التي كانت ولا تزال تعتبر في المنطق عمليات قائمة بذاتها فاطلاق ترجمة التفكير على الاحساس والتذكر والتصور والخيال خروج عن الموضوع — وعلى مجرد ادراك العلاقات او الكلي او الحكم والتعليل تقبيد مغل لا معنى له — وعلى الفهم والتأمل توسع غير مقبول . ومن شاء المزيد فليقرأ كتابي في الادراك والتفكير «علم النفس النظري والتعليمي»

عماذا تتفوق السلالات

أبألذم تفوقها ام بالبيئة

على ذكر القول بتفوق السلالة النوردية

فلما يختلف اثنان في ان السلالة النوردية — السلالة التي تنطوي تحتها شعوب اوربا الشمالية — سلالة عظيمة ولها مكانة خطيرة في تاريخ الحضارة ولكن اذا ادعى احد بأن السلالة النوردية هي اعظم السلالات البشرية على الاطلاق ، وان جميع الحضارات الراقية من بنائها ، هب غير واحد من العلماء لتحدي هذا القول وردّه

مثل هذه الاقوال المتطرفة ، وخاصة اذا ارسلت باسم العلم ، دليل على ان شؤون الحياة العاطفية ، نبيل بالعقل عن ميزانه العادل . فاذا كنا نورددين وقيل لنا القول المتقدم عن تفوق السلالة النوردية ، آمنّا بصحته ، لانه يرضي في نفوسنا ، عزتها وكرامتها ، فاذا نحن اقتنعنا بتفوق سلالتنا الخاصة ، او عقيدتنا الخاصة ، او بلادنا الخاصة ، صار من السهل علينا ان نستنبط الادلة ، التي تؤيد هذا الاقتناع . حتى العلماء ، يتعرضون لمثل هذا المزلق الخطير . فمنهم من يرى رأياً علمياً ، ويقتنع به ، فيروح يبحث عن الادلة التي تؤيده ، ولو كان يحتاج الى كثير من العنت في سبيل ذلك

وليس في الدعوى القائمة على تفوق السلالة النوردية شيء جديد ، بل هي ناحية جديدة من مذهب سرى في خلال القرن التاسع عشر مؤداه ان بعض طوائف من الناس لها حق منزل في ان تسود الطوائف الاخرى . ومن قبل ذلك احس المؤلف الانكليزي دانيال ديفو مؤلف رواية روبنسن كروزن بأنه مطالب من قبل نفسه ، بل ومن قبل الحق والعدل ، بأن يهب الى السخرية من مثل هذا الرأي الذي يرمي الى تبويء سلالة معينة المكانة العليا في تاريخ الانسانية كأن هذه المكانة خاصة بها من طريق الوضع الالهي . ولكن العواطف الانسانية قوية لتأصلها في الطبيعة البشرية ، فنطغى على صوت العقل ونوازع المنطق ، فتبدو نظرية « التفوق العنصري » او « تفوق سلالة خاصة » مرة بعد اخرى في خلال عصور التاريخ مع ان العقل والعلم لا يؤيدان الاركان الواهية التي تقوم عليها

ونحن الآن نشهد انبثاق هذه الفكرة او هذه النزعة من جديد بعد ما كنا قد ظننا انه قُضي عليها في اواخر القرن التاسع عشر

ونظرية « التفوق النوردي » هي فرع من نظرية التفوق الآري (اي تفوق الشعوب الآرية) التي كان زعيمها ذلك الارستقراطي الفرنسي كونت جوزيف أرتور ديه جويينو الذي توفي سنة ١٨٨٢ . فده جويينو هذا ، ذهب الى ان الشعوب الآرية وحدها دون غيرها هي التي خلقت كل ما له قيمة في الحضارة ، وحافظت عليه . وفكرة وجود سلالة آرية ، نشأت من تشابه اللغات الهندية الاوربية ، مما حدا الى القول ، بأنها جميعها ترد الى اصل واحد ، هو اللغة الآرية . والقول بتفرع اللغات الهندية الاوربية من اللغة الآرية ، قول له سند علمي صحيح . اما ما ذهب اليه جويينو من ان وجود لغة آرية اصلية — تفرعت منها اللغات الهندية الاوربية — يقتضي كذلك وجود سلالة آرية فقد كان وهماً من الاوهام

فلما خلقت هذه السلالة الموهومة على الطريق المتقدم ، أسندت اليها جميع الفضائل ، وقيل انها منبع جميع الحضارات العالية ، من قديم الزمان الى حديثه . وقيل ان النورديين ، هم سلالة الآريين الذين توطنوا شمال اوربا في القيدم ، ومنهم الشعوب التوتونية والانجلوسكسونية . ومع ذلك لم يستطع احد من العلماء ان يأتي بسند علمي واحد ، على ان السلالة الآرية كانت موجودة حقيقة ، إذ ليس ثمة علاقة حتمية ، بين اللغة والسلالة . « فالآرية » لغة ، واستعملها للدلالة على سلالة معينة — كما يستعملها الالمان اليوم — ليس له مسوغ علمي واحد

اما الشعوب النوردية فلا يعلم اصلهم على وجه التحقيق ، بل ليس من المؤكد انهم ينتمون الى سلالة صريحة النسب

ومهما يكن من اصل الشعوب النوردية ، فلا ريب في انهم كانوا شعوباً جمة النشاط . ثم لا ريب كذلك في ان دماءهم التي اختلطت في فترات مختلفة من التاريخ بدماء بعض الشعوب في اوربا الجنوبية ، كان لها اثر كبير في ارتقاء جنوب اوربا . ولكن هذا القول يمكن أن يطلق على شعوب مختلفة . فان اختلاط شعبين ، من سلالتين مختلفتين ، اذا كان الشعبان نشيطين متفوقين في استعدادهما الحيوي والذهني ، لا بد أن يسفر عن شعب جديد متفوق في الغالب على الشعبين اللذين نشأ منهما وليس في امكان العلماء ، والعلم في حالته الراهنة ، ان يقولوا ، بان سلالة بعينها من السلالات ، او طائفة من سلالات — متفوقة بطبيعة تركيبها ونشأتها على السلالات الاخرى . بل انهم لا يعلمون هل بين السلالات هذه الفروق التي تجعل السلالة الواحدة متفوقة على الاخرى ، لانهم لم يستنبطوا حتى الآن مقاييس لقياسها . نعم لقد ابتدعت مقاييس الذكاء ، ولكن هذه المقاييس ، لا تقيس الا أثر البيئة والثقافة في الذكاء ، وقلمما تستطيع ان تقيس الذكاء الاصلي ، الذي لم تؤثر فيه عوامل البيئة والثقافة

ومع ذلك تستمر خرافة تفوق السلالة النوردية فيقول اصحابها ان مجد اليونان عائد الى الشعوب النوردية التي غزت بلاد اليونان ، وان روما استطاعت ان تحافظ على عظمتها طوال ما احتفظت بدمها الآري تقياً غير مدخول ، وان قيام الحضارة الاسبانية يعود الى دماء القوط الذين غزوها ، وان انحطاطها بدأ لما اختلط هذا الدم بدماء الشعوب الاخرى ، وان عصر الاحياء في القرون المتوسطة وما بعدها كان ظاهرة نورديّة بحمة

فانتظر الآن في المبادئ التي تقوم عليها هذه الدعوى . اي صحة في قول القائل بان اليونان والرومان والاسبان كانوا نورديين صراح النسب لما كانوا في اوج عظمتهم ؟ من الصعب ان تعين العناصر المختلفة التي تدخل في بناء امة من الامم في فترة ما من فترات تاريخها ولكننا نستطيع ان نتيقن من شيء واحد ، وهو ان الحروب والغزوات والفتوحات المختلفة قبل عهد التاريخ المدون ، وفي فجر التاريخ ، كانت من بواعث اختلاط الشعوب بعضها ببعض وان دماء سكان اوربا في عهد اليونان ثم في عهد الرومان لم تكن صريحة من ناحية السلالة على الاطلاق . والقول بان الشعوب الرومانية واليونانية كانت صريحة السلالة لا تقوم الا على الرغبة في تصديق هذا القول . وليس لها اي سند من المباحث الانثربولوجية . فالعلامة دكسون يقول ان الاسبرطيين — وهم في نظر دعاة النوردية شعب نوردي حر — من الشعوب الابينية . وكذلك الاوترسكانيون كانوا يحسبون نورديين ولكن هرتز يقول في كتابه « السلالة والحضارة » ما يأتي : « وثمة حقيقة واحدة ثبت ان لا ريب فيها وهي ان هؤلاء القوم لم يكونوا من النورديين ولا من الهنديين الجرمانين Indo—Germans » ومجرد التناقض بين دعاة « النوردية » يكفي للقضاء على مكانتها من الوجهة العلمية . فبعضهم بحسب ان النهضة او الاحياء في ايطاليا ، نتيجة لاختلاط الدماء التوتونية بدماء الايطاليين في عصر انحلالهم . أما ده جوينو ، وهو منشئ هذه الفكرة في القرن التاسع عشر ، فيؤكد ان النهضة (الرينيسانس) من آثار قوى غير توتونية . وليس هذا بالمثل الوحيد على تناقضهم

قد يكون من الحق ان تنكر اثر السلالة في نشوء الامم وارتقاء الحضارة ولكن من الصعب ان تفرق بين اثر السلالة واثـر العوامل الاخرى المتعددة في نشوء الامم وارتقاء الحضارة . على ان الذين يقولون بتفوق بعض السلالات على غيرها ، يتجاهلون هذه العوامل الاخرى ، كل التجاهل . فمن يقول بأن حضارة اسبانيا رتد الى الدم النوردي ، وان انحلالها رتد الى ضعف هذا الدم باختلاطه بدماء الشعوب الاخرى ، يغضي او يتغاضي ، عن اثر العوامل الاخرى في تقدم الحضارة الاسبانية كالعوامل الجغرافية والاقتصادية على اختلافها . واذ جارينا اولئك على ما يقولون — وهو ان النورديين هم سبب حضارة اسبانيا — فكيف نستطيع ان نعلل ان حضارة المغاربة في اسبانيا ،

كانت مدى عهد طويل ، ارقى الحضارات الاوربية ؟ او هل نستطيع ان نقول ان المغاربة من اصل نوردي ؟ !

قد يكون من السهل ان نفند مزاعم « النورديين » . ولكن ليس من السهل ان نعلل ، تعليلاً وافياً ، قيام الحضارات وانحطاطها . فالمسألة معقدة كل التعقيد . وقد لا يمكن حلها على الاطلاق . وانما نستطيع ان نشير الى امر واحد ، يحملنا على الحذر في اصدار مثل هذه الاحكام . فشمال اوربا مضى عليه قرون عديدة ، وهو مباءة شعوب نوردية ، صريحة في نورديتها الى حد بعيد ، ولكن شمال اوربا هذا ظل غير متمدن ، بمعنى التمدن الحديث الى عهد قريب في التاريخ . بل انك لا تستطيع ان تدعي ان حضارة ابتدعت في شمال اوربا . وان النورديين لم ينشئوا قط حضارة خاصة بهم مميزة لهم ، في موطنهم هذا . فهل كانوا عاجزين عن ذلك ؟

اننا نعلم ان الحضارة بدأت اولاً في اقاليم جنوبية ، تقطنها سلالات غير السلالة النوردية — في الهند والعراق ومصر وكريت — هذه البلدان كانت مواقع الحضارات الاولى . ثم انتقلت الحضارة رويداً رويداً من شرق بحر الروم الى اواسطه الى غربه ، ثم الى البلدان الشمالية . وكذلك لم يكن للشعوب النوردية اي شأن في ترقية الحضارة او ابتداع اصولها وأركانها ، قبل ان انتهت اليهم حضارات البلدان التي ذكرنا ، بعد مطافها الطويل من شرق بحر الروم الى غربه خلال العصور . واذا كانت السلالة هي العامل الوحيد ، او العامل الرئيسي في قيام الحضارة ، فلماذا ظل اولئك النورديون الشقر في شمال اوربا ، في حال الهمجية ، بينما كانت الشعوب الاخرى غير النوردية تخترع حروف الهجاء ، وتبني الامبراطوريات ، وتستكشف سطح الكرة ، وتربط بين اجزائها بروابط التجارة ؟ ثم كيف نعلل تقلدهم — اي النورديين — زعامة الحضارة بعد همجية طويلة ، لم يتغير في خلالها تركيبهم العنصري ، تغييراً كبيراً ؟

كل هذه الامثلة تبين ما للعوامل الجغرافية والتاريخية من اثر في توجيه مصير الامم . فالجزر البريطانية بموقعها الجغرافي كانت بعيدة عن تيارات التجارة والثقافة ، اذ كانت هذه التيارات محصورة في بحر الروم . فخال ذلك دون بلوغها مكانة عالية في شؤون العالم — قبل القرن الخامس عشر . فلما كشف كولمبوس اميركا وبدأ « العهد الاتلنטיكي » في تاريخ العالم اصبحت بريطانيا نجاة ، وكأنها على خشبة المسرح العالمي

فموقعها في الطرف الشمال الشرقي من المحيط الاتلنטיكي ، مواجهة للعالم الجديد ، خصها بامتيازات مكنت اهلها من تقلد الزعامة العالمية . وعلى الضد من ذلك كانت ايطاليا ، في مركز العالم لما كانت الحضارة محصورة في بحر الروم ، فلما انتقلت الى المحيط الاتلنטיكي ، فقدت مكانتها ، ذلك أنه لما

كشفت الطريق البحرية الى الهند ، حول جنوب افريقيا ، فقد بحر الروم مكانته كسبيل للتجارة العالمية ، وانحطت المدن الايطالية ونقصت ثروتها
فاذا نحن تدبرنا كل هذا ، لم نستطع بحال من الاحوال ان نسند انحطاط ايطاليا ، الى عوامل السلالة والدم دون غيرها

ثم توالت المكتشفات والمخترعات ، فأضيف الى العامل الجغرافي في قيام الحضارات ، وارتقاء الامم ، عامل جديد . فالآلة البخارية والعصر الصناعي الذي تلاها ، احداثا انقلاباً سياسياً وتحولاً اقتصادياً . ففي خلال القرنين الماضيين كان تفوق الامم ، يكتسب في الغالب بمقدار ما تملكه من الطاقة المحركة (عدد الاحصنة البخارية) والقوة البخارية المحركة تعني حديداً وغياً . فمن الحق ان نتجاهل الحديد والفحم في درس تفوق السلالة النوردية ، وان نتكلم عن الدم فقط . وقد يكون من الصعب ، ان نعين مدى أثر الفحم والحديد ، في تاريخ بريطانيا والولايات المتحدة ، ازاء العوامل الاخرى ، ولكن الراجح انه لولا وجود مناجم الفحم الغنية في بريطانيا والولايات المتحدة ، لكان تاريخ القرنين الاخيرين غير ما كان

فتاريخ كل حضارة ، كحياة كل انسان ، تفاعل دائم بين الوراثة والبيئة . فالجغرافي يقدم عوامل البيئة ، وقد اشرنا الى بعضها . وليس الغرض من هذا المقال ان نقابل بينها ، وبين العوامل الاخرى ، وانما الغرض ان نثبت ان عوامل البيئة تعين حدوداً ، قد لا تستطيع الامة ان تتعدها . فشعوب المايا في اميركا المتوسطة انشأت حضارة عالية . ولكن القول بأنها شعوب منحطة لانها لم تعادل في حضارتها حضارة اليونان ، جهل وحمق . ذلك ان هؤلاء الناس انشأوا حضارة وهم لا يملكون حديداً ولا حيوانات لحمل الاعباء فبيئتهم لم تمكنهم من هذين العاملين المهمين اننا لا ندري ما كان اليونان يستطيعون ان يفعلوا لولا الخيل والماشية والحديد . وهذا كله ورثوه من شعوب اخرى . أما بيئة شعوب المايا فلم تتح لها هذه المزايا . ومع ذلك فبعض العلماء يقول ان شعوب المايا فاقت اليونان في بعض النواحي

وليس ثمة اية فائدة تجني من هذه المقابلات . لانها لا تفيدنا شيئاً عن القوى الذهنية مجردة عن عوامل البيئة . فنحن لا نعلم البواعث على انحطاط حضارة المايا ولكن لا يحق لنا ان نسند هذا تحكماً الى ضعف اصيل في السلالة . والعلماء مختلفون في ذلك . فلاستاذ هنتنغتن مثلاً يسند هذا لتغير الاقليم . وأدلت في هذه الناحية مقنعة . فالسلالة عامل واحد من عوامل الحضارة ، كالموقع الجغرافي والاقليم والتربة والحيوانات والنباتات والمعادن [عن السينفك اميركان بتصرف يسير]

البحث عن الثروة المعدنية

بالقطر المصري

(١) للدكتور حسن بك صادق

مراقب مصلحة المناجم والمحاجر

سادتي : في البلاد رغبة ملحة تظهر واضحة عند كل مناسبات في اجتماعات مجالسنا النيابية وعلى صفحات جرائدنا ومجلاتنا وفي الاسئلة التي توجه اليها بين آونة واخرى من كل من يهتمون بشؤون البلاد الاقتصادية للوقوف على ثروة مصر المعدنية والمدى الذي يمكن الاعتماد عليها عند تقدير الثروة الأهلية العامة. وللبلاد في هذه الرغبة خير قدوة في شخص مليكها العظيم فؤاد الأول الذي يحبو بعطفه الكريم جميع القائمين بشؤون التعدين في مصر ، وقد أولاهم عام ١٩٢٧ شرف زيارتهم في اماكنهم النائية والوقوف بنفسه الغالية على ما يبذلونه من جهود . وقد سن حفظه الله بتلك الزيارة سنة اتبعها من بعده الكثيرون من اولي الامر فكانت لزياراتهم خير الثمرات وليست هذه الرغبة للوقوف على ما قد يكون للبلاد من ثروة معدنية كمينة خسب ، بل هو مظهر من المظاهر التي تجلت في السنين الاخيرة نتيجة ما نشعر به جميعاً من ان الزراعة وان كانت هي العماد الاكبر لثروتنا الاهلية والتي تتجه نحو انماؤها اعظم جهودنا لا يجب ان تنفرد دون غيرها باهتمامنا بل يجب ان تتجه جهود بعض ابنائنا وجهة الصناعة والتجارة حتى تقوم مدينتنا الحديثة على أساس استقلالنا في كل ما يمكن ان نستقل فيه من المرافق عن البلاد الاخرى وللثروة المعدنية من خامات ووقود علاقة وثيقة بمختلف الصناعات فلا تقوم لهذه قائمة الا اذا توافرت لها بعض ما يلزمها من خامات في داخل البلاد او كلّه

تلبية لهذه الرغبة وتطميناً للجميع من يهتمون بمراقب الدولة الاقتصادية ، رأينا ان نعرض على حضراتكم بياناً مختصراً للجهود التي بذلت فيما مضى وما يبذل في الوقت الحاضر وما يجب ان يبذل في المستقبل للوقوف على كنهه الدفين من هذه الثروة في الاراضي المصرية وما يجب ان يتخذ من الاجراءات نحو استثمارها والاستفادة منها في اقامة صناعات مصرية لسد حاجة البلاد وللتصدير ولكي تقدروا تقديراً صحيحاً عظم هذه الجهود التي يجب ان تبذل في البحث نذكركم بأن مساحة القطر المصري تبلغ نحو ٢٤٠ مليون فدان منها ٧ ملايين فقط هي الاراضي المزروعة او

(١) محاضرة القايت في المؤتمر السنوي الذي عقده الجمع المصري للثقافة العلمية في الاسبوع الثاني من شهر ابريل الماضي

القابلة للزراعة في وادي النيل والدلتا اي ما لا يزيد عن ٢ في المائة من مجموع المساحة . اما السبعة والتسعين الباقية فهي اراض صحراوية يعوزها الماء صعبة المواصلات غير مأهولة الا بالنذر اليسير من البدو الرحل الذين لا يفقهون من أمور الحياة سوى رعي الابل والاغنام . فهذه المناطق الشاسعة لا أمل لها في الحياة الا بقدر ما قد يوجد في بطون صخورها من ثروة معدنية دفيئة

ولا شك أنكم تقدرون ان المجهود الذي يجب ان يبذل في فحص هذه القفار الشاسعة تحت هذه العوامل القاسية يجب ان يكون مجهوداً جباراً منظماً متصلًا مستمرًا بغير كلل او ملل مدى سنين كثيرة وبغير ان يكون لما يناله في أي مرحلة من مراحلها من نجاح او اخفاق اي أثر في استمراره هذا المجهود يتطلب من القائمين به أن يكونوا شديدي الثقة والايان في المهمة التي القيت على عواتقهم وأن يكونوا قد تزودوا من علوم التعدين والجيولوجيا احدها . وان يكونوا ذوي أناة وصبر على الشدائد ، ورضى بشظف العيش ، راضين بما قسم لهم قانعين بما ينال عملهم من نجاح وان لم يعد عليهم شخصيًا برح مادي فعلى الاقل بالشعور أنهم يقومون نحو وطنهم بخدمة من أجل الخدمات وأشرفها

ولا تقف صعوبة ظروف الصحراء عند حد عمليات البحث بل تلازم ايضاً عمليات الاستغلال فوسائل العمل والنقل وتدير الماء والوقود والعناية بالعمال وتغذيتهم بحاجتهم من ماء ومأكل ، كل ذلك يتطلب ممن يقومون بتدبير شؤون العمل في المناجم المصرية حيلة واسعة لاستنباط وسائل تجمع بين القصد في النفقات والكفاية للعمل . وقد يكون من ألد الدراسات الاحاطة بما يبتدعه مهندسو المناجم المشتغلون في الصحاري المصرية من وسائل لمقابلة ما يصادفهم من عقبات ومغالبتها والتغلب عليها

امام هذه الظروف القاسية وما يتطلبه التغلب عليها من تقفات احياناً ما تكون طائلة قد يتعذر على الفرد وحده ان يقوم بمجهود موفق في البحث بل يجب ان يضطلع باعبائه جماعة او شركة او الحكومة المصرية نفسها . والاخيرة بحكم ملكيتها للاراضي التي تستكن في بطونها الخامات المعدنية وبحكم ما لها من الهيمنة على انحاء الشؤون الصناعية في البلاد يقع عليها قبل غيرها واجب البحث عن المعادن وتشجيع استثمارها

وقد كانت هذه الحال منذ أقدم عصور التاريخ المصري فكان فرعون مصر هو الذي يوفد البعثات للبحث عن الذهب والنحاس والاحجار الكريمة في مجاهل الصحاري

وفي خزائنه كانت تودع المعادن التي تعود بها هذه البعثات . وكان هو الذي يتولى توزيعها على أتباعه وحتى على من يدينون له بالولاء من ملوك البلاد الاخرى . وفي الخطابات التي تبادلها بعض الملوك الفراعنة مع ملوك الشام وآسيا الصغرى أصدق دليل على ما نقول

وانا لنطأطأ الرؤوس اجلالاً للدقة التي كانت للمصريين القدماء في البحث عن المعادن . فلسنا

مبالغين اذا قررنا انه فيما يختص بالذهب على الاقل لم يعثر الباحثون بعد على عرق واحد لم يقيم المصريون القدماء بفحصه واستغلاله . ولا يختلف الحال عن ذلك كثيراً في شأن المعادن الاخرى التي كانت لها قيمة عندهم كالمغرة (او كسيد الحديد) والاحجار الكريمة (الزمرد والزرجد) والنحاس كذلك كان هناك نشاط في استغلال مناجم الذهب والاحجار الكريمة كالزمرد والزرجد والفيروز ابان الحكم العربي الاسلامي ، وكتب المقرئ والمسعودي وغيرهما تفيض بالشرح عن اخبار هذه المناجم وما كان يستخرج منها من كنوز . ولا شك ان استغلالها كان على يد بعثات حكومية كما كان في عهد الفراعنة

تولت مصر بعد ذلك عصور ضعف واضمحلال اضطرب فيها الحال في الصحاري واستوحش البدو القاطنون بها خالوا دون اي توغل فيها او استغلال لمعادنها فأسدل ستار كثيف عليها وأضحت الصحاري المصرية محوطة بظلام حالك من الاوهام الباطلة ومضى عليها في ذلك بضعة قرون على انه في القرن الثامن عشر كان يقد على مصر من وقت لآخر بعض الرحالة من علماء الفرنسيين والاطليان والانكليز نذكر من بينهم Sicard عام ١٧١٧ و Donat ١٧٥٩ — ١٧٦٢ و D'anville عام ١٧٦٦ و Bruce عام ١٧٩٠ وغيرهم

فكان من بين ما زاروه ووصفوه وادي النظرون وبعض جهات الصحراء الشرقية وخاصة جبل الزيت ومناجم الزمرد والزرجد ومحاجر الالباستر قرب بني سويف ، ولو ان اوصافهم كانت تعوزها الدقة العلمية التي امتاز بها من جاء بعدهم

وفي اوائل القرن التاسع عشر غزا مصر نابليون بونابرت واصطحب معه اليها جماعة من كبار العلماء الفرنسيين فكلفهم القيام بدراسة علمية مستفيضة لمختلف الموضوعات الخاصة بمصر فقام من بينهم Valentia عام ١٨٠٩ بفحص مناجم الذهب بوادي العلاقي بالصحراء الشرقية بين اسوان والدر وكذلك Quatremere عام ١٨١١ ففحص مناجم الزمرد بسكيت وزبارا على مقربة من شواطئ البحر الاحمر جنوب القصير

وامتاز من بينهم جميعاً de Roziere بدقة ملاحظاته وواسع اطلاعه وله في كتاب وصف مصر Description de l'Egypte عام ١٨١٣ كتابات قيمة عن الجيولوجيا المصرية ووصف بعض الاحجار التي كانت قد استغلها القدماء واستعملوها في معابدهم وهياكلهم

ولما استعاد ساكن الجنان محمد علي باشا الكبير مؤسس الاسرة العلوية الكريمة لمصر وحدتها القومية واراد ان يجعل منها بلاداً حية قوية ، رأى انه لتحقيق ما كان يصبو اليه من اقامة مختلف الصناعات لا بد له من الوقوف على ما في البلاد من ثروة معدنية فاستعان بعدد كبير من علماء الاوربيين جهزهم في بعثات الى مختلف نواحي الصحراء ، وكان يشرف بنفسه على تنفيذ خطته ويتبع عن كثب النتائج التي وصلوا اليها تباعاً وبهذا بدأت المرحلة الاولى في البحث المنظم عن المعادن المصرية

وقد كان اظهر هؤلاء العلماء واكثرهم اتصالاً بالموضوع الذي نحن بصدده : —
 Caillaud ١٨١٥ — ١٨١٨ الذي قام بفحص مناجم الزمرد خصاً دقيقاً و Ruppel ١٨٢٩
 وكانت جهوده موجهة نحو شبه جزيرة سينا حيث استكشف خامات النحاس والحديد
 و Sir J. Wilkinson ١٨٣٥ الذي زار جبل الزيت وفحص البترول الذي ينضج على مقربة منه .
 ومواطن الكبير في جسا ومحاجر الالباستر قرب تل العمارنة واسيوط ومناجم الزمرد والرصاص وغيرها
 و Brocchi ١٨٤١ — ٤٣ أعاد فحص مناجم الرصاص والزمرد والذهب وزار محاجر الحجر
 السماقي الامبراطوري بجبل الدخان

على ان Russeger ١٨٤١ — ٤٨ كان اظهرهم جميعاً اذ كان اول من وضع خريطة جيولوجية للقطر
 المصري مع تدوين اوصاف دقيقة عن بعض المناطق التي تحتوي رواسب معدنية مما سبقت الاشارة اليها
 اما Figari Bey ١٨٤٤ فكان من اكثرهم تنقلاً في الصحاري المصرية وطبع خريطة جيولوجية
 كبيرة الا أنه كانت تعوزه الدقة العلمية فقد اظهر البحث فساد الكثير من نظرياته . وكان يعتقد
 اعتقاداً راسخاً في وجود الفحم الحجري وقام بأبحاث كثيرة عنه بينما كان لا يتفائل كثيراً في وجود
 البترول وقد ظهر ان الحال على الضد من ذلك فيما بعد

ومن الطليان ايضاً Forni الذي قام بأبحاث بأمر والي مصر عام ١٨١٩ ولم تطبع أبحاثه الا عام
 ١٨٥٩ وقد تناول فيها وصفاً دقيقاً لأغلب المواطن المعدنية المعروفة

ومن أشهر هؤلاء العلماء Linant de Bellefond الذي بعثه محمد علي باشا في بعثة نيلية الى ما
 فوق اسوان فلما ان وصل الى بلدة العلاقي قاق سير سفينته تيار شديد من جراء انحدر مياه السيول
 من وادي العلاقي فرسا بمركبته وفحص الحمى الذي قذفت به السيول فوجد بينها حصيات من
 الكوارتز الحامل للذهب فدعا ذلك الى ترك السفينة والقيام برحلة الى اعالي وادي العلاقي فزار مناجم
 الذهب القديمة في سيجع ودرهيب ووصفها جميعاً عام ١٨٦٨ وصف خبر دقيق . على أنه لم يصحب
 وصفه بخريطة تحدد مواضع المناجم التي زارها

هذا قدر مختصر يدل على الجهود الكبيرة الذي بذله محمد علي باشا للكشف عن ثروة مصر المعدنية
 واذا لم توفق هذه البحوث الى استغلال المناجم فكان لها على الاقل الفضل الاول في املامة اللثام
 عن لغز الصحاري المصرية . وكانت المعلومات التي جمعها هؤلاء العلماء والنتائج التي حصلوا عليها نوراً
 استضاء به من جاء بعدهم

ولم يكن المغفور له اسماعيل باشا أقل اهتماماً بالمباحث المعدنية او أقل تشجيعاً للقائمين بها من
 جده العظيم فساعد فيجارى ولينان دي بلفون على الاستمرار في بحوثهما التي شرع بها قبل توليه
 حكم مصر كما انه فتح الباب على مصراعيه لغيرهما من الرواد وقد امتاز من بينهم Oscar Fars
 الألماني عام ١٨٦٧ بمباحثه في سينا وعلى الطريق بين قنا والقصر التي بلغت مبلغاً كبيراً من الدقة

و Bauermann عام ١٨٦٩ الذي كان اول من لاحظ وجود خامات الحديد والمنجنيز بشبه جزيرة سيناء و Lartet ١٨٦٩ الذي كان اول من اعطى بياناً ضافياً عن الصخور المصرية من الناحية البتروجرافية وكان من اشهر من جابوا الصحارى في عصر اسماعيل Schweinfurth ١٨٧٥ - ٧٨ الذي ضمن بحوثه في الصحراء الشرقية خرائط دقيقة وكانت لكتاباتاه أهمية في مباحث البترول بجبل الزيت . وكذلك Karl Von Zittel الذي كان له الفضل عام ١٨٨٠ في تبويب وتهذيب النتائج العلمية التي وصلت اليها بعثة Rholf's الشهير

الى هنا انتهت المرحلة الاولى من مراحل البحث وهي التي قام بها الرواد بزيارات واسعة المدى لمختلف المناطق . فاذا لم تؤد مباشرة الى استغلال مناجم معينة فكان لها فضل تعبيد الطريق الى البحوث المنظمة فيما بعد . وبدأت المرحلة الثانية بانشاء قسم المساحة الجيولوجية عام ١٨٩٦ وكان انشاؤه على اساس مذكرة قدمها الكابتن (كولونيل) ليونز Lyons مدير المساحة اذ ذاك وكانت عبارة عن مجموعة الادارات الفنية في الحكومة المصرية . والمقدمة التي وضعها الكابتن ليونز لمذكرته توضح الغرض الذي من اجله أنشئ ذلك القسم وقد جاء فيها ما ترجمته : - -

« إن الغرض من انشاء قسم للمساحة الجيولوجية هو قبل كل شيء لفحص الموارد المعدنية للبلاد ولتدوين المعلومات عن مختلف الرواسب وبخاصة من بينها تلك التي لها قيمة اقتصادية كالفحم والعروق المعدنية ورواسب الاملاح وغيرها . يأتي بعد ذلك في المقام تدوين هذه المعلومات بطريقة سهلة التناول كوضعها على خرائط وفي مذكرات وتقارير تفسيرية الخ . وبمجرد الوقوف على حقيقة التركيب الجيولوجي لاي منطقة تسهل معرفة الطبقات الصخرية التي يجب اختراقها في اي نقطة وتقدير سمك كل منها بتقريب دقيق »

وقد عقّب الكابتن ليونز على هذه المقدمة بتفصيل الخطة التي اتبعت فيما بعد وعادت بأحسن النتائج كما سنبينه . وقد استعان في تنفيذ خطته الموضوعية بشبان من الانكليز الذين تخصصوا في العلوم الجيولوجية قاموا بأجل الخدمات للجيولوجيا المصرية والبحث عن المعادن في هذه البلاد نذكر من بينهم الدكتور هيوم Hume المستشار الجيولوجي للحكومة المصرية والدكتور بول Ball مدير قسم مساحة الصحارى والذي جعل من مساحة الصحارى فناً دقيقاً ذا قواعد علمية ثابتة وبيدنل Beadnell وبارون Barron وغيرهم

فاختص كل واحد منهم بناحية من نواحي الصحراء الشاسعة استكشفوها استكشافاً جيولوجياً علمياً ودونوا مشاهداتهم في تقارير مستفيضة هي عمدة معلوماتنا الجيولوجية المصرية . ثم قورنت النتائج التي وصلوا اليها جميعاً وبوّبت ووضعت في خريطة جيولوجية مقياس ١ في المليون نشرتها مصلحة المساحة عام ١٩١٠ . ويمكننا ان نقرر ان هؤلاء العلماء قد وضعوا بعملهم هذا الاساس العلمي الذي يجب ان يقوم عليه البحث المنظم للكشف عن الثروة المعدنية المصرية

ولم تكن بطبيعة الحال خريطة عام ١٩١٠ كاملة في كل النواحي على ان العمل المستمر بعد ذلك والذي اشترك فيه جميع من انتظموا بالقسم الجيولوجي قد مكن من سد الفراغ وتصحيح بعض المعلومات حتى ظهرت عام ١٩٢٨ الخريطة الجيولوجية الكاملة التي لا تقل دقة عن مثلها في البلاد الاوربية وقد اعتبرها المؤتمر الجيولوجي خليقة بادماجها في الخريطة الجيولوجية للعالم . وقد اثرت هذه البحوث الجيولوجية ثمراتها المباشرة فأدت الى اكتشاف الفوسفات عام ١٨٩٧ ولو ان الاجراءات الخاصة بفحصه خصاً تعدينياً تطلب وقتاً طويلاً فلم يبدأ استغلاله فعلاً الا عام ١٩٠٨ بالمناطق القريبة من سفاجه على البحر الاحمر . كذلك استكشف معدن المنجنيز عام ١٨٩٨ ثم بدأ استغلاله بعد ذلك عام ١٩١١ . وهكذا كانت النتائج التي وصل اليها الجيولوجيون في هذه المرحلة سبباً مباشراً في بدء استغلال الكثير من المناجم المصرية الحالية

أما البترول فقد قدمنا ان وجوده كان معروفاً منذ القدم ثم زار مواطنه بعض المستكشفين الذين اتينا على ذكرهم كما ان الاعمال التي قامت بها احدى الشركات التي كانت تستغل معدن الكبريت بحمصا اثبتت عام ١٨٦٣ على وجود مقادير منه خليقة بأن تشجع الاعتقاد في امكان انتاجه انتاجاً رابحاً وقد اتخذت الحكومة المصرية خطة ايجابية في شأن البحث عن البترول منذ عام ١٨٨٥ عند ما كلفت احد المهندسين الاختصاصيين في حفر الآبار بحفر بئرين في جسا وأخرى في جبل الزيت . فأسفرت آبار جسا عن نتيجة ايجابية اذ وجد في احدها زيت البترول على عمق ١٠٦ قدم بقوة ٣٥ طن في اليوم وفي الثانية على عمق ١٣٧ قدم وقوة ١٥٠ طن يومياً على انها رغم ذلك وبحجة انها تكبدت نفقات طائلة في بحثها قررت عام ١٨٨٨ تعطيل العمل وسد الآبار وهكذا قضى على مشروع استغلال حكومي ان يقبر على ان يستأنف مرة اخرى فيما بعد وبنشيط اكبر على يد احدى الشركات الاجنبية التي تقدمت لاستغلال منطقة جسا عام ١٩٠٨ وبذلك بدأت مصر تتبوأ مركزها بين البلاد المنتجة للبترول

وكان النجاح الذي صادفته هذه الشركة في جسا مشجعاً لشركات اخرى والحكومة نفسها على العناية الجدية بالبحث . فقامت شركات عديدة بفحص مواقع متفرقة على مقربة من شواطئ خليج السويس وفي الجزائر الواقعة عند ملتقى ذلك الخليج بالبحر الاحمر . واذا كانت قد اخفقت اغلبها الا ان واحدة من بينها وفقت في النهاية الى استكشاف حقل الغردقة الذي يربي مجموع انتاجه في العشرين السنة الاخيرة على ثلاثة ملايين طن من البترول

كذلك قامت الحكومة بنصيبها من البحث واستعانت على ذلك بآراء الاختصاصيين في شؤون البترول . واذا كانت بحوثها اوقفت ابان الحرب العالمية الكبرى الا ان هذه الحرب نفسها قد علمتها ما لمواد الوقود من الشأن الخطير في حياة الامم فأعادت البحث النشط بمجرد زوال ضرورات الحرب ولم تقف عند حد البحث العلمي بل تعدته الى عملية دق الآبار فوفقت الى انتاج صغير

من حقل ابي دربة على شاطئ سيناء قرب بلدة الطور وهو الحقل الذي اعطى امتيازه فيما بعد الى زكي ويصا بك الذي يستغله حتى الآن

كذلك حفرت بئراً في ابي شعر قرب حقل الغردقة ولكنها لم تصادف فيه نجاحاً وللأخفاق في البحث عن المعادن قيمته لمن يعلم كيف يستفيد منه . ذلك ان اخفاق الحكومة واخفاق الشركات كان نتيجة حالات جيولوجية خاصة يتطلب حلها الاستعانة في البحث بوسائل علمية جديدة هذه الوسائل هي المعروفة بالوسائل الجيوفيزيكية اى التي تعتمد على خواص الارض والصخور والمعادن وهي التي افردنا لها محاضرة في المؤتمر الاول من مؤتمرات هذا الجمع

ومع ان هذه الوسائل هي حديثة الابتكار وتطبيقها في البحث هو وليد الحرب العالمية نفسها الا ان الحكومة المصرية لم تتوان في الاخذ بها وقد استوردت للقيام بها في مناطق البترول المصرية بعض الاختصاصيين من الالمان وكان للنتائج التي وصلنا اليها قيمة خاصة ولو انها لا تزال في حاجة الى مباحث تكميلية نرجو ان تزول قريباً الظروف المالية التي ادت الى العدول عنها

الى هنا قام البحث على اكتاف اجنبية وبأموال جلتها اجنبي على ان النهضة القومية التي عمت البلاد في عهدها الحالي تحتم علينا ان بقاء هذا الحال من الحال وان عزتنا وكرامتنا القومية تقضيان بأن نقوم بأنفسنا بهذا الواجب . وقد تلمست الحكومة افتقار البلاد الى الاختصاصيين في الجيولوجيا وعلوم التعدين فأوفدت بعثات عديدة من الشبان النابهين الى اميركا للبترول وانجلترا للجيولوجيا والتعدين والمانيا للعلوم الجيوفيزيكية وقد عاد اغلب هؤلاء بعد ان استكملوا عديدهم من العلم واشترك بعضهم فعلاً في البحوث التي قامت بها الحكومة في السنين الاخيرة وهم جميعاً متحفزون لتسلم شعلة العلم والبحث ورفعها والنهوض بها لخير البلاد

وهنا سبتديء المرحلة الثالثة من مراحل البحث وهي مرحلة البحث التفصيلي الذي يقوم على أساس المعلومات التي وصلت اليها نتيجة المرحلتين السابقتين

هذه المرحلة هي اشقها جميعاً لانها تقتضي منا صبراً وأناة وتتطلب من القائمين بها دقة وعناية ومن المشرفين عليها ان لا يصرفهم الاخفاق مرة اخرى عن الاستمرار بها

وسيكون اساس البحث في هذه المرحلة الاخيرة تقسيم الصحاري المصرية الى مناطق يقوم كل باحث بفحص منطقة معينة فحماً يتناول كل دقيق في التركيب الصخري والمعدني للمنطقة . وبودنا جميعاً ان يمتاز عصر فؤاد الاول بآتمام هذه المرحلة والوصول بها الى نتائجها الموفقة وان تبرز المراحل الاخرى جميعاً في ان تقوم على اكتاف ابناء البلاد . ومن دواعي اغتباطنا أن حضرة صاحب المعالي وزير المالية قد ملس هذه الحاجة لاستعادة نشاط البحث في رحلته الاخيرة لمناطق البحر الاحمر فلم يتأخر لحظة عن مد يده باعتماد مبلغ من المال يخصص له - نرجو ان يكون اول الغيث كما اننا نرجو ان نوفق في فرصة قادمة الى ايقاف حضراتكم على مدى ما سيصيبه شباننا الباحثون من النجاح

عتاب واستصراغ

لخليل مطران

{ من قصيدة طويلة قيلت في الحرب الاولى بين الترك
{ والطلليان حين حاول هؤلاء فتح طرابلس سنة ١٩١١ }

صدقت في عتبكم اويصدق الشمم
يا أمّتي حسبنا بالله سخريه
هل مثما نتباكي عندنا حزن
ان كان من نجدة فينا تفجّعنا
تتمتعوا وتملّوا ما يطيب لكم
او اعملوا مرة في الدهر صالحة
بأي جهل غدونا امة هملا
لا المجد دعوى ولا آياته كلم
منّا ومما تقاضى اهلها الدم
وهل كما نتشاكي عندنا ألم
فليكنفنا ذلنا وليشفنا السقم
ولا نزعمكم محاذير ولا حرم
علما تؤيده الافعال والهمم
وأي عقل تولت رعيننا الامم

* * *

لا تُسكروا عذلي هذا فعذرتي
نحن الذين أبحنا الراصدين لنا
لولا تغافلنا لولا تخاذلنا
هي الحقيقة عن نصيح صدعت بها
لم أنب من ذكرها ان تأسوا جزعا
اليأس منهكة للقوم موبقة
ما مطلب الفخر من أيدٍ منعمّة
يأس الجماعات دائ ان تملكها
كالشمس يأكل منها ظل سُفّعتها
لا تقنطوا كره الله الألى قنطوا
اليوم ان تبخلوا اعماركم سفّه

* * *

اني لا أسمع من (حزب الحياة) بكم
نعم لتُنصر على الباغين أمّتنا
لتبقى يقظي على الادهار نابهة
لتحي وليمّت الموت المحيط بها
« نصرأ لامتنا سحقاً لمن ظلموا »
لا بالدعاء ولكن نصرها بكم
لا الا من يهفوها سكرى ولا النعم
من حيث يدفعه اعداؤنا العشم

الكريم والفتى والسيد

What is a Gentleman ?

للكرنور - اصين باننا المعلوم

دعاني الى البحث الآتي مقال « للصحافي العجوز » في جريدة الاهرام قال فيه ما نصه :
شيعت بالامس جثة « الجنتلان » عدلي يكن . وجنتلة عدلي يكن مثل جنتلة مصطفى فهمي ،
شهد بها الانكليز لكل منهما . واولئك الاشراف المعقولون ، قوم عمليون لكل كلمة عندهم معناها
ودلائها العملية . الترجمة الحرفية لكلمة جنتلمان هي الرجل اللطيف او الرجل الظريف . اطلقها
الانكليز اولاً على أرباب المال والعقار من الناس الطيبين الذين يحسنون معاملة عملائهم عامة
ومستأجري عقارهم خاصة . والكلام انما يوضع للتعبير عن المعاني والمعاني تختلف بتطور الاخلاق
والعادات واختلاف المقاصد وتنوع الحاجات . وكلمة جنتلمان أصبحت بالتواتر تشمل معاني كثيرة .
ولا يزال الناس يذهبون مذاهب جديدة في تحديد المناحي المختلفة التي ترمي اليها
قال كاتب اميركي ان المعنى العام لكلمة جنتلمان هو « عدم الاساءة الى احد » و « وجوب
الاحسان عند المقدرة »

وقد تناول الموضوع أديب سوري في صحيفة « الهدى » العربية التي تطبع في نيويورك فقال :
« ليس جنتلمان الرجل الذي يقبل متبخرأً على رصيف الشارع . يحسب الدنيا قد خلقت كلها
له . وحين يمر بك يدفعك بمنكبه ليوقعك في احوال الشارع . ولكن الجنتلان هو الذي اذا زلت
بك قدم اندفع بعامل المروعة لنصرتك وانتشالك من ورطتك
« ليس جنتلمان الرجل الذي رعى فؤاده الحسد ، وتضيق في عينه الدنيا عند ما يراك سائرأً الى
الامام مجدداً ومجوداً في عملك ، وحين لا يقدر على مجاراتك يعمل على مقاومتك
« ليس جنتلمان الرجل الذي يسخر وظيفته لغير غاياتها الشريفة
« ليس جنتلمان الرجل الذي يبطن غير ما يظهر »

وكما يحار الانكليز الآن في تحديد كلمة « جنتلمان » فان كتبنا وادباءنا لا يزالون حائرين في
ترجمتها باحدى الكلمات الآتية : نبيل ، سري ، حصيف ، غطريف ، كئيس . ويؤكد أخونا كامل
كيلاني : ان كل هذه النعوت لا تؤدي المعنى المقصود من « الجنتلان » والكلمة العربية الحقيقية هي (زول)

عَبَثًا حاولت ان اقنعهُ ان الكلمة سودانية معناها (ابن آدم) رجلاً كان او امرأة . وان هناك قبيلة تعيش في جوف افريقية اسمها (الزولوس) وتعرف بلادهم باسم «الزولولاند». وراجعت القاموس فوجدت فيه : الزول الظريف الخفيف يعجب من ظرفه . والجمع ازوال والانثى زولة . ووصيفة زولة نافذة في الرسائل ، وتزول ، تنهى في ظرفه ، والزول (بتشديد الزاي) الشجاع الذي يتزائل الناس من شجاعته . والزول «بتشديد فسكون الجواد . والزولة ، المرأة الفطنة الداهية ، وقيل الظريفة ومن هذا القدر اليسير يدرك القارئ خطأ الاديب الكيلاني وبعد كلمة زول عن المقصود من «الجنتمان» وان اقرب المعاني اليها الحصيف والكيس ولو أبى استاذنا خليل مطران الذي استخدم كلمة (غطريف) في رواية عطيل ترجمة لجنتمان

ومهما يكن في أمر الكلمة وتحديدتها وتكييفها وترجمتها فان الجنتمان الانكليزي وكل من ينعت الانكليز بالجنتملة هو جنتمان على طول الخط

اما نحن فالجنتملة عندنا منحة وقتية . تكون صفة لشخص عند ما يكون في وظيفته ، وعند ما يكون صديقاً لنا ، وعند ما يسدي الينا يداً ، وعند ما يوافقنا على رأي سياسي معين . بل قد تكون جنتمان عند ما تترك الدرجة الاولى في عربات ثورنيكروفت وتفضلت بالقيام لسيدة . لا لأنها امرأة بل لأنها حسنة انيقة الثياب . ثم تكون انت بذاتك (طورمان) عند ما تقف في عربة الدرجة الثانية لثورنيكروفت او الاتوبيس نمرة ١٧ «مثلاً» متشعلقاً في الجلبة

قد تكون الجنتملة كلها . ولكن لا يدركها فيك احد لانك فقير

وقد تكون جنتمان . وليس في يدك ما تبرهن به على هذه الجنتملة

والجنتمان عندي صاحب المروءة والاخلاق العالية والآداب الراقية

ولكن ليس للناس كلهم أعين ترى وعقول تدرك

ورحمة الله على عدلي يكن الجنتمان «صحافي عجوز»

انتهى كلام الصحافي العجوز والصواب الصحافي الفتى الكريم وسيرى بعد قراءة ما يلي انه الفتى وانه الكريم ولا اريد بالفتى الشاب الحدّث ولا بالكريم السخّي فقد يكون الصحافي العجوز سخياً معطاءً وهباً لكنه ليس شاباً في ريعان الشباب وترارته بل فتى وكريماً . وهكذا شيخه فهو سيد كريم وفتى بين الفتوة ولو انه راسخ في الشيخوخة والمشيخة اي انه شيخ مثلث . فالصحافي العجوز فتى من فتیان الفجالة والدرب الواسع وشيخه فتى وسيد كريم من فتیان كسروان وساداته ولو انه انهزم في الايام الاخيرة شرّ هزيمة . اما الآن وبعد هذه المداعبة الوجيزة فاني لست ذا كراً احداً من الاحياء فالبحت دقيق فيه كرم ولؤم فاذا وجدت كرمًا ذكرته في الاموات اما الاحياء فلست ذا كرم لا في كرم ولا في لؤم

ولنبحث الآن في كلمة جنتمان الانكليزية ونتتبع اصلها واصل بعض الفاظ لها علاقة بها عن امهات اللغة الانكليزية . اما في الفرنسية وان كانت هذه الالفاظ شبيهة بالالفاظ الانكليزية ومن اصل لاتيني مثلها لكن الاستعمال جعل لها معاني اخرى تختلف عن المعاني الانكليزية اختلافاً بيناً فالاعتماد في بحثنا على المعاني الانكليزية دون غيرها . وفي ما يلي بعض هذه الالفاظ عن معجم وبستر المطول طبعة سنة ١٩٢٤

Noble. a. (French noble from latin nobilis that can be or is known, well known, famous, highborn, noble akin to noscere to know)

يقول وبستر في اصل الكلمة انها عنيها بالفرنسية وهي لاتينية الاصل ومعناها معروف ومشتهر وعالي الحسب وانها تمت الى فعل معناه عَرَفَ . ثم ان هذه اللفظة قد ترجمت في كثير من المعجمات ترجمة صحيحة منها نبيل وشريف ونبية واثيل واصيل وحُرٌّ ونجيب وحسيب وكريم ورفيع وماجد وغير ذلك مما تجده في كتب القوم . فلما جاء في مادة شرف في كتب اللغة العربية ما يأتي عن التاج قال : والشرف المجد يقال رجل شريف اي ماجد او لا يكون المجد والشرف الا بالآباء يقال رجل شريف ورجل ماجد له آباء مقدّون في الشرف واما الحسب والكرم فيكونان في الرجل وان لم يكن له آباء قاله ابن السكيت او الشرف علو الحسب قاله ابن دريد . انتهى ما اريد نقله . واننا اذا رجعنا الى هذه المادة وجدناها تدل على العلو في كثير من معانيها اي ان الكلمة العربية والكلمة اللاتينية اصلهما واحد في المعنى . ومثل ذلك مادة نبه فاننا نجد انها تدل على الشهرة والشرف فمن معاني النبىء المشهور والشريف اي ان الشريف والنبىء بالعربية مثل اللاتينية اصلاً ومعنى . اما الكريم فيختلف عن الشريف كما تقدم وله لفظة اخرى لاتينية غير هذه واصلها يختلف عن اصل ما يقابل الشريف كما سيجي في الالفاظ الآتية

Gens. n. Plural gentes (Latin, see gentle.) Roman History. A clan or family connection, embracing the families of the same stock in the male line; a subdivision of the Roman Curio

هي كلمة لاتينية يقابلها لفظاً جالس باليونانية وجنس بالعربية ويقابلها معنى الأسرة والعِترَة والعشيرة بالعربية . وكان الرومانيون يسمون باسم الأسرة او العِترَة او العشيرة ابناء العشيرة جميعاً ومثلهم العرب فيقال زيد الهاشمي او زيد من آل هاشم او بني هاشم او الهاشميين والمأمور العباسي ومن آل العباس وبني العباس والعباسيين وجبلة بن الابهيم وابن جفنة ومن آل جفنة ومن الجفنيين كذلك في ايامنا فيقال فلان الشهابي لكل من الشهابيين وقد يضيف بعضهم اسم الاب فيقال الامير بشير قاسم الشهابي ومثل ذلك عبد المحسن الفهد السعدون واصلها عبد المحسن آل فهد آل سعدون وما اشبه وهذا كثير جداً عند العرب في جزيرتهم وفي الشام والعراق وقليل في مصر وانما يحسن تعميمه لاسباب يطول شرحها

Genus. n. (Latin, birth, race; akin to Greek genos)

هي كلمة لاتينية يقابلها جنس بالعربية لفظاً ومعنىً وسواء كانت الكلمة أصلية في العربية أو معرّب جانس باليونانية كما في محيط المحيط فلا شبهة ان بين الكلمتين تمازجاً في اللفظ والمعنى

Gentle. a. (Middle English gentil. French gentil noble, pretty, graceful, from latin gentilis of the same clan or race, from gens, gentis, tribe, clan, race, originally that which belongs together by birth from the root genere, gignere, to beget; gentle, property, of birth or family, that is of good or noble birth)

يقول وبستر هنا ان هذه اللفظة هي عينها بالانكليزية المتوسطة والفرنسية ومعناها بالفرنسية شريف وظريف وكيّس وهي لاتينية الاصل ومعناها من العشيرة او من النسل عينه من مادة جنس اي قبيلة او عشيرة او نسل واصلا ما كان متولداً معاً في العشيرة من مادة معناها ولد او انشأ . كريم نسباً اي طيب الاصل او شريفه

هذا ما اورده وبستر في اصل هذه المادة وليس معناه انها بالانكليزية كما في الفرنسية تماماً لان لها معاني اخرى بالانكليزية كما سيأتي وهذا سرّ المسألة في ترجمة لفظة جنتلمان الانكليزية فهي ليست بمعنى نظيرتها بالفرنسية فالفرنسيون يعبرون عنها بالفاظ اخرى . ثم ان وبستر بعد ايراده اصل المادة ذكر لها ثمانية معانٍ هي ما يأتي

1. Well-born; of a good family position, although not noble. British society is divided into nobility, gentry and yeomanry, and families are either noble, gentle or simple.
2. Excellent; of fine quality; of animals of fine breed—Obs. except in gentle falcon.
3. Honourable; of, or appropriate to good birth or distinguished position; as a gentle occupation; manifesting the qualities of one of gentle birth, chivalrous, knightly
4. Hence, refined in manners; not rough, hard or stern, mild, kind; amiable; as a gentle nature, temper or disposition; a gentle manner; a gentle voice.
5. An appellation of respect, kindness or conciliation, as gentle reader, gentle airs, gentle Jew.
6. Tamed; quiet, tractable, and docile; as a gentle horse; also of fruit etc. cultivated
7. Soft; not violent or rough; not strong, loud or disturbing; not stormy; easy, soothing; as gentle touch; a gentle rule; a gentle medicine.
8. Moderate; as a gentle warmth; a gentle declivity

فترجمة المعنى الاول كريم لا الكريم بمعنى السخي بل بمعنى الطيب الاصل فان للكريم معاني كثيرة كما سيجيء . وقد يقال بهذا المعنى حرّ ونجيب وكريم النسب ولكن كلمة كريم تعني عن ذلك ولا يخفى ان الكريم غير الشريف كما تقدم . ولما كان الغرض ترجمة الكلمة الانكليزية دون غيرها فلا ارى اصاح من الكريم لهذا المعنى . ثم ان وبستر قسم الاجتماع البريطاني الى ثلاثة اقسام

النبلاء او الاشراف والكرام او عليّة القوم وعامة الناس . ولما كانت كلمة جنّلمان بمعناها الاول كما سيجي . مركبة من هذه اللفظة مع لفظة رجل فلا أرى أصلح من قولنا رجل كريم لهذا المعنى الانكليزي لا الفرنسي . ثم ان لفظة كريم تصلح للمعاني الاخرى من ترجمة جنّتل هذه او ما جاء بمعنى الكريم في كتب اللغة كما سيجي . فترجمة المعنى الثاني من معاني هذه الكلمة كريم وحرّ وعتيق ونفيس وجميعها وارد بمعنى كريم فيقال طائر حرّ وصقر حرّ وفرس كريم وعتيق الطير . وترجمة المعنى الثالث كريم وفتى وشهيم . وترجمة المعنى الرابع كريم ولين وظريف وكيس ولطيف ورخم . وترجمة المعنى الخامس كريم فيقال قارئ كريم ونحوه . وترجمة المعنى السادس في شقه الاول كريم وسهل القياد وفي شقه الثاني اي اذا كان ثمرأ او شجرأ كريم وحرّ وعتيق كما في قوانا حرّ البقل وعتيق الشجر وحرّ وكريمه . وترجمة المعنى السابع كريم ولين وهادى ورخاء ولطيف وسهل . وترجمة المعنى الثامن كريم ومعتدل وسهل . وصفوة القول ان جميع المعاني يصلح لها الكريم فالكريم من كل شيء احسنه كما سيجي . في مادة كرم

See etymology and derivation of gender, genealogy, generate, generosity, genesis gentile, gen'ility etc.

انظر اصل الالفاظ المتقدمة واشتقاقها فتجد ان جميع هذه الالفاظ المتجانسة من اصل واحد اي من مادة جنس او عشيرة المتقدمة الذكر ومثل ذلك كثير من هذه الالفاظ اللاتينية الاصل ان بالانكليزية وان بالفرنسية لكن الاستعمال جعل لها بعض الاختلاف في هذين اللغتين كما لا يخفى . وفي ما يلي بحث في كلمة جنّلمان وهي عقدة العقد

Gentleman. a. (Middle English gentilman, nobleman)

1. A man well born; one of good family though not noble
2. One of gentle or refined manners. A well bred man of fine feelings, espicially one of good character raised above the vulgar by education, habits, and social esteem
3. A servant; especially a valet of a man of rank.
4. A man, irrespective of condition; used especially in plural in addressing men in popular assemblies etc.
5. A respectable man who engages in no occupation
6. An amateur as gentleman jockey

ولما كانت ترجمة هذه الكلمة دقيقة جداً فاني أراني مضطراً الى ايراد بعض الامثلة وانما من غير الاحياء . فترجمة المعنى الاول رجل كريم لا الكريم بمعنى السخي بل الكريم نسباً وربما كان أحسن منها السيد الكريم كما قال رئيس تحرير المقطم في عدلي باشا يكن . فقد جاء في أخبار عمر ابن ابي ربيعة ان اخاه الحارث كان شريفاً كريماً وسيداً من سادات قریش وعدلي باشا كان شريفاً كريماً وسيداً من سادات مصر . هذا هو المعنى الاول والاصلي لهذه الكلمة . وانما الاستعمال الانكليزي

يختلف بعض الاختلاف عن الاستعمال الفرنسي فالفرنسيون لا يسمون بهذا الاسم إلا من كان من بيت نبيل وشرف والانكليز يسمون به غيرهم ايضاً فترجمة هذا المعنى الاول عند الفرنسيين رجل نبيل وترجمته عند الانكليز رجل كريم هذا في اصطلاح القوم في النبل والكرم عندهم فالنبيل Nobilis والكريم Gentilis وقد تقدم ذكرهما فالنبيل واحد عند الفرنسيين والانكليز اما الكريم عند الفرنسيين فمعناه النبيل والظريف وهو ليس كذلك عند الانكليز . وأحسن مثل للتمييز بين النبل والكرم عند الافرنج هو ما كانت الحالة عليه في العراق ولبنان عند ما كان نظام الاقطاع شائعاً فيهما فكل رجل مثلاً من السعدونيين او غيرهم من ابناء البيوت القديمة في العراق يطلق عليه اسم Gentilhomme بالفرنسية وترجمته Nobleman بالانكليزية وكل رجل من الشهابيين او غيرهم من اصحاب الاقطاع في لبنان يطلق عليه احد هذين الاسمين وكل واحد من ابناء البيوت الكريمة الاخرى في العراق ولبنان يطلق عليه كلمة Gentleman بالانكليزية في معناها الاول اما الفرنسيون فلا يقولون Gentilhomme بهذا المعنى بل يقولون

Homme bien-né ou de famille honorable

هذه مسألة دقيقة جداً وانما ضربت الامثلة المتقدمة لأبين الفرق في استعمال هذه الكلمة عند الفرنسيين وعند الانكليز وسببه نظام الاقطاع والعرف عند كل من الفريقين لذلك ارى ان الرجل الكريم او السيد الكريم اصلح تعبير لهذا المعنى الانكليزي الاول وان شئت فقل الكريم فقط كما في الحديث الذي اورده صاحب التاج عن يوسف بن يعقوب وسيأتي ذكره
واذا اتصف السيد الكريم بصفات الفتوة يقال فتى فعبد المحسن السعدون كان فتى بيّن الفتوة A thorough gentleman قال عنه ذلك احد كبار الانكليز في العراق فانه عند ما نعي اليه كتب كتاب تعزية قال فيه ذلك ^(١) . وفيصل الاول كان فتى فتيان العرب غير مدافع . قال المتنبي في رثاء اخت سيف الدولة وكان المتنبي يومئذ في العراق

ارى العراق طويل الليل مذنعت فكيف ليلى فتى الفتيان في حلب

فاذا قلت ان فيصلاً كان فتى فتيان العرب فاني است مبالغاً وقد قيل في جده «لا فتى الا علي»
وملك البلجيك السابق كان فتى وربما فتى فتيان اوردية كلها وهو ما يقوله الانكليز عن ملكهم او ولي عهده The first gentleman in England اي فتى فتيان انكلترا . وشيخ الصحافة داود ركات كان فتى وكريماً وشهماً . هذا هو الفتى والكريم والشهم ولا يقال كذلك الا لمن اتصف بالمناقب الكريمة مهما علت منزلته

(١) ترجم الكتاب صديقي عبد المسيح وزير رئيس المترجمين في وزارة الدفاع وترجم اللفظة الانكليزية بالفتى وهي ترجمة في غاية الجودة والكتاب الاصلي وترجمته في محفوظات وزارة الدفاع على ما اذكر

اما ترجمة المعنى الثاني فكذلك اي رجل كريم وفتى وشهم وبرد بالكريم كل رجل كريم في نفسه وفي تربيته وخلقه وان لم يكن كريماً في نسبه والعامه في الشام تقول آدمي وفي مصر بني آدم اي من بني آدم كأن العامة ترى ان يتخلق جميع البشر بخلق الكرام منهم وحبذا الامر لو كانوا كذلك . وبعضهم يقول شريف لسمو اخلاقه . وبعضهم يقول هو شهم ويريدون بذلك صاحب نخدة ومروعة وهي وارده بهذا المعنى فقد جاء في التاج ما نصه : والشهم السيد النجد النافذ الحكم في الامور . وقال الفراء الشهم في كلام العرب المحول الجيد القيام بما حمل الذي لا تلقاه الا حمولاً طيب النفس بما حمل وكذلك هو في غير الناس . وقالوا في ترجمة هذا المعنى الظريف والكيس والشلي لكن الفتى اصلح كثيراً فالكيس والظريف لا يؤديان المعنى الانكليزي لكن الفتى يؤديه بل ربما فاقه . وان اقرب كلمة للظريف والكيس كلمة چايي (شاي) ولعلها تركية او من اصل آخر اعجمي وكانت لقباً لبعض ابناء السلاطين من آل عثمان وهي شائعة بهذا المعنى اي بمعنى الكيس في الشام والعراق ولكن كلمة الفتى تفوقها بمعنى جنتلمان . ولا يخفى ان كلمة چايي او شاي لقب في العراق يلقب به بعض التجار واصحاب الاملاك وهو لقب كبير المولوية ولعله سمي بذلك لكياسته هو وجماعته او ان اللفظة منقولة في الاصل عن معنى الفتى بالعربية اي انهم ترجوا الفتى بكلمة چايي لان بعض المتصوفة كانوا فتياناً من الفتوة لا الفتاء والمولوية منهم وسيأتي ذكر الفتى والفتوة . وهذا لا يمنع ان لفظه چايي تركية او فارسية او غير ذلك كقولهم انها من صليبي اي افرنجبي او نحو ذلك . اما الكيس فقد ظن بعضهم ان كلمة جنتلمان الانكليزية معناها الكيس لان من معاني جانتيل الفرنسية الكيس فالكياسة والظرف والالطف من الصفات المحموده في الانسان ولكن جنتلمان ليس الظريف ولا الكيس ولا اللطيف فقد يكون الانسان ظريفاً وكيساً ولطيفاً ومن ابعد الناس عن الكرم ومن اقربهم الى اللؤم لذلك لا ارى اصلح من الكريم والفتى والشهم لهذا المعنى . فالكريم والشهامة غريزان يكونان في نفس الانسان ويولدان معه ولا يأتیان بالعلم والتربية او بالتكلف او التصنع او حسن الهندام او مغازلة الحسان بطريقة سمجة تأبأها النفس او بالتبجح بطرق شتى مكروهة عند الكرام

واما ترجمة المعنى الثالث فتى وهو وارد في القرآن الكريم وفي كلام العرب بهذا المعنى كما سيأتي ومن القريب ان العرب والانكليز قد اتفقوا في كلمة واحدة لمعنيين مختلفين تمام الاختلاف واما ترجمة المعنى الرابع فسيّد كقولنا ايها السادة ومثله المعنى الخامس اي سيّد كقولنا سيد من ارباب الاملاك . كذلك المعنى السادس فيقال سباق السادة اي اصحاب الخيل اي ان كلمة جنتلمان يقابلها بالعربية كريم وفتى وسيّد وشهم منها كلمتان من الاضداد هما السيد والفتى . وفي الجزء التالي تنمة البحث في الفتى والكريم

توريث الصفات المكتسبة

للكرنور شريف عسيرانه

الصفات في اصطلاح علم الوراثة نوعان : الوراثة التي تنتقل من الآباء الى الابناء او من السلف الى الخلف بواسطة العوامل الوراثة التي في الكروموسومات وهي تخلق من الفرد او تكون كامنة فيه منتقلة اليه من آباءه تميزاً لها عن الصفات الاكتسابية وهي التي لا تخلق مع المرء بل يكتسبها من المحيط ومتى ظهرت فيه تنتقل منه الى نسله بحسب رأي طائفة كبيرة من العلماء الا اذا لم يزلهم في العلم والبحث . وقد احتدم الجدل حول قضية توريث الصفات المكتسبة احتداماً شديداً فمنهم من ينكرها ومنهم من يثبتها ومنهم من يتردد بين النفي والاثبات ولعلك لا ترى اختلافاً في مختلف فروع العلم اكثر من الاختلاف في هذه النظرية وسنقص عليك احسن القصص ونأتيك باصدق الانباء عن هذا الموضوع اللذيذ

تحديد الصفات المكتسبة : يحذر بنا قبل الخوض في الموضوع ان نحدد الصفات المكتسبة لكي يكون بحثنا فيها واضحاً . الصفة المكتسبة هي التي تنشأ في خلايا الجسم في دور من ادوار حياة الفرد بتأثير عامل خارجي من عوامل البيئة يؤثر فيها مباشرة وتبقى تلك الصفة ظاهرة في الفرد بعد انفصاله عن المحيط الذي ولدها ثم تنتقل منه الى نسله بحسب رأي بعضهم دون تعريض النسل للبيئة الذي ولدت تلك الصفة في سلفه

زعيم هذه النظرية هو العالم الفرنسي الاشهر لامارك (١٧٤٤ - ١٨٢٩) ويعرف هذا المذهب باسمه لاماركزم او اللاماركية . ولد هذا العلامة في بازننتين من اعمال فرنسا في اول اغسطس سنة ١٧٤٤ ومات في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٢٩ . وبين حياته وحياة مندل العالم النموسي شبه كبير فكلما اكتشف اكتشافاً عظيماً في عالم الوراثة ولكن مندل كان اوفر حظاً في ثبوت نظريته . وجعل الناس قدرهما في حياتهما ورفعوا اسميهما بعد مماتهما وكلما عاش فقيراً خامل الذكر بيد ان مندل كان اكثر تقديراً لان جثة لامارك طرحت بعد موته في الحفرة العامة مع الكلاب . وكلما انتظم في سلك الرهبنة فان والد لامارك حمله على دخول الدير ولما توفي والده انتظم في الجيش وكان شديد الميل اليه . ومال الى علم الفلك والكيمياء . ولكن مواهبه تجلت في علم النبات فألف فيه كتباً عديدة اشهرها نباتات فرنسا في ثلاثة مجلدات . وقد قدر العالم نظرية مندل بعد انقضاء ١٥ سنة على موته ولم تقدر فرنسا لامارك الا بعد انقضاء مائة سنة على وفاته وعاش فقيراً معذماً واصيب بالعمى قبيل وفاته

ان للامارك مع ما هو عليه من العلم آراء غريبة في الوراثة فهو يزعم ان تغير البيئة يدعو الى نشوء حاجات جديدة في الحيوان فتحمله على ان يسلك مسلكاً جديداً يقتضي استعمال اعضاء كانت كامنة فيزيد حجم تلك الاعضاء بالاستعمال او تنشأ لها وظائف جديدة . وعلى الضد من ذلك يؤول اهمال غيرها من الاعضاء التي عادت غير صالحة للاستعمال الى تلاشيتها . فلو نقلنا بزور نبات تعود ان يعيش في ارض رطبة الى ارض جافة فان ذلك النبات يلائم نفسه للمحيط الجديد ويتحول الى نوع جديد يختلف عن الاول في صفاته بسبب تغير المحيط وتنقل الصفة المتغيرة الى نسله . ويحدث مثل ذلك في الحيوانات . فالمحيط الجديد يتطلب حاجات جديدة تتولد منها عادات جديدة فينشئ صفات جديدة تنتقل بالوراثة الى النسل . فالزرافة (معجم الحيوان) Giraffe مثلاً التي تقتات اوراق الشجر وتضطر الى مد عنقها طلباً للقوت كلما علا الشجر اضطرت الى زيادة مد عنقها فصار عنقها طويلاً لهذا السبب واستطالت قوائمها الامامية والخلفية للسبب عينه وانتقلت هذه الصفة الى نسلها . هذا بحسب رأى لامارك . وتضطر الطيور التي تتطلب قوتها في الماء الى بسط اقدامها لتمكن من السباحة فيتمدد جلد الرجاين ويتولد نسيج الاباهم . وقد اورد امثلة عديدة من هذا القبيل لاجابة الحاجة الى التوسع فيها اذ لم تثبت لها قيمة علمية . وقد ايد العلامة دارون هذا المذهب ونوه بفضل لامارك وتصدى له كثيرون من العلماء الحديثين فادعى برون سيكار الفرنسي انه اذا اتلفنا عضواً من اعضاء الآباء في الخنازير الهندية سواء اكان الاتلاف موضعياً او عاماً فان تأثيره يظهر في النسل فيصاب بالصرع او بتر طرف من اطرافه او ابهام من ابهامه الى غير ذلك

وزعم غيره ان تعريض الجسم للشمس يصيرهُ اسود وان هذا هو سبب سواد جلد الزوج فاذا نقلنا رجلاً ابيض الى منطقة حارة اسودَّ جلده بسبب حرارة الشمس . والحقيقة ان لون الجلد ناشئ عن وجود اصباغ في طبائه يتلون بلونها والحرارة الزائدة تؤذي الجلد وبوجه خاص طبقاته الداخلية فيحصل ردُّ فعل غريزي فيتنبه الجلد ويفرز مقداراً زائداً من الاصباغ التي تمتص حرارة النور وتمنع اذاها عن الجلد

وقالوا ان صنعة الحداد تسبب تضخم عضلاته وتنقل هذه الصفة الى نسله . واهمال عضو من الاعضاء كعدم استعمال العين مثلاً يسبب ضررها وهذا الضرر ينتقل الى الابناء . والامثلة على ذلك كثيرة ولا حاجة الى الاطالة فيها

ومن اهم المعارضين لهذا المذهب والضارين به عرض الحائط العلامة الاشهر فيسمن صاحب النظرية الصحيحة في الوراثة وهي نظرية استمرار تأثير الخلايا التناسلية وقد مرَّ ذكرها في الفصول التي اثبتناها عن الوراثة . واشتهر فيسمن بمعارضته لاصحاب مذهب توريث الصفات المكتسبة اكثر مما اشتهر بنظريته في الوراثة لان في الاخيرة نقصاً واما معارضته فلا عيب فيها . وجاء انصار مذهب انتقال الصفات المكتسبة بشواهد عديدة تأييداً لنظريتهم دحضها فيسمن بالدلة العلمية المقنعة منها

طريقة البتر فاذا بتر عضو من الاعضاء يصير البتر صفة في الفرد تنتقل منه الى نسله . فالهرة التي تقطع ذنبها صدفة او عمداً تلد هرة لا ذنب لها ومثلها الكلاب والابقار التي يتلف قرنهما تلد عجلاً ذا قرن واحد وقد بين فيسمن ان الهرة التي تلد هرة لا ذنب لها متولدة من نوع خاص خال من الذنب خلقة ويعرف بهرة مانكس^(١) Manxcats وان ولادة العجل بقرن واحد ناشئ عن عيب خلقي واستشهد ايضاً باليهود والمسلمين الذين يمارسون الختان من قرون عديدة ومع ذلك لا يولد ابناؤهم مختونين خلقة بل يخلق بعضهم وفيهم ما يشبه الختان بسبب شواذ جنينية وهو يظهر في غيرهم ممن لا يختنون . وقد مضى على البشر الوف السنين وهم يتكلمون اللغات ومع ذلك يولد الطفل ولا يستطيع ان يتكلم لغة بعينها ومتى بلغ العمر الذي يتكلم فيه ينطق باللغة التي يتدرّب عليها فاذا كان عربياً ونشأ في بيئة افرنسية تكلم الافرنسية والعكس بالعكس . هذه خلاصة مختصرة لهذا المذهب

وسنتبسط فيه الآن بصورة اوضح ونذكر مختلف الابحاث والتجارب التي ترشدنا الى الحقيقة . ظهر من ناموس التباين والتحول ان الاشعاع يؤثر في العوامل فيولد صفات جديدة وان التبدل الاختياري Selective elimination يختار انواعاً ويستغني عن اخرى وزعم انصار توريث الصفات المكتسبة ان المحيط عامل ثالث في خلق صفات جديدة . وقد ثبتت نظرية الاشعاع الذي يحدث تحولاً في الانواع . ومع ان اكثر التحولات مضرّة بالنوع فلم يقدّم دليل على عدم وجود تحولات نافعة وقد جرب العالمان Babeock و Collins تجارب بذبذب الفواكه فناسلوا عدة انواع منه بعضها في محيط قليل الاشعاع واخرى في محيط اشعاعه الطبيعي ضعف الاول فكان التحول في الاقليم الكثير الاشعاع اكثر منه في الاقليم الذي قلّ اشعاعه

غير ان تأثير الاشعاع ضئيل جداً فقد يؤثر في عامل ويعف عن جاره . وزعم بعض العلماء ان هناك مؤثرات اشدّ فعلاً منه ولها تأثير كلي في تغيير الصفات كالحرارة العالية والواطئة والمواد الكيماوية والغذاء . ووجد ملر H. J. Muller ان تحولات ذباب الفواكه اكثر في الحرارة العالية منه في المنخفضة واطعم هلسوب J. W. Helsop بعض انواع الفراش طعاماً فيه مواد معدنية فاخذ هذا الفراش بتعاقب الايام يتلون بلون قاتم مائل الى السواد . ثم صار نسله يتلون بهذا اللون دون اطعامه الطعام المحتوي على المواد المعدنية بل انتقلت اليه صفة اللون بالارث وفقاً لمذهب مندل ولم يظهر هذا اللون في النسل الذي لم يتغذّ أسلافه بالغذاء المذكور . فمن البديهي ان تكون المواد المعدنية هي التي سببت هذا التحول والتبدل

يكثّر الدخان في انحاء انكلترا الشمالية حيث مركز الحركة الصناعية فيحمل مختلف املاح المعادن الصاعدة من المصانع وقد سبب دخان تلك المصانع تغيراً في انواع الفراش الذي كان لونه فاتحاً فصار اسود قاتماً . ويعتقد هر يسُن Harrison ان منشأ هذا التلون اقتنيات الفراش المذكور بورق الشجر المغشى

(١) نسبة الى جزيرة مان Isle of Man في البحر الارلندي

بالدخان الحامل املاح المعادن وزعم آخرون ان الغذاء الرديء يضر العوامل الوراثية وينشئ نسلًا معتلًا وان هذا هو سبب منشأ عاهات البشر. ولكن اذا تذكرنا ان في الخلية مادتين مغذية ومولدة تمكّننا من دفع هذا القول فاذا كان في الاب مادة مضرّة فمن الممكن ان تؤثر في السيتوبلازم من دون ان تصيب العوامل الوراثية بأذى فينشأ النسل معتلّ الجسم ويخلق النسل الذي بعده صحيحاً اذا تغذى تغذية جيدة. وقد رأينا ان كثيراً من العوامل تنشأ معتلة دون ان يعيش الابوان في بيئة ملائمة او غير ملائمة وظهر في ذباب الفواكه الذي عاش في ظروف ملائمة مئات العيوب الوراثية التي انتقلت وولدت نسلًا عليلًا فالعيوب تظهر في بيئة غير ملائمة ونفس العيوب تظهر في البيئة الملائمة كذلك. فالعيوب تتوقف على العوامل الوراثية لا على الغذاء. فهل العيوب التي تظهر في النسل المتولد من سلف عاش في بيئة غير صالحة اكثر من عيوب نسل تحدر من سلف عاش في بيئة صالحة؟ هذا ما سنجيب عنه الآن

لنبدأ بالحيوانات الوحيدة الخلية Protozoa ان المحيط الرديء يسبب انحطاطاً وراثياً في البروتوزوي فقد عرض A. R. Middleton الستيلونيكيـا Stylonychia لتأثير حرارة عالية فجاء نسلها ضعيف الحيوية وقلّ معدل تناسلها مقدار الربع. فاذا اعدنا النسل المتولد من سلف عاش في الحرارة العالية الى الحرارة الطبيعية تضعف حيويته بالقياس الى غيره ممن لم يخضع لهذا العامل مما يدل على انه السبب في توريث ضعف الحيوية بتأثير الحرارة العالية. وتوصل الى نفس النتيجة V. Tollos الذي عرض بعض الحيوانات النقاكية عدة اجيال متعاقبة لتأثير نترات الكلس، فانخفض معدل تناسلها ولما فصل نسلها عن ذلك المحيط بقي معدل تناسلها منخفضاً بتأثير الوراثة عن النوع الذي لم يتعرض لنترات الكلس. واجرى غيرهم تجارب عديدة من هذا القبيل توصلوا فيها الى نفس النتائج يجري التناسل في الحيوانات ذات الخلية الواحدة بانقسام الخلية الواحدة الى اثنتين وتنقسم في التي اعلى منها الوف الخلايا فينشأ الفرد ويحملنا هذا الفرق على ان نتوقع اختلافاً في نشوء وتوريث العيوب التي تتولد من المحيط ولدينا تقارير تبين ان بعض العيوب الخلقية والوراثية تتولد من المحيط حتى في الحيوانات التي اعلى من البروتوزوا. ولقد وجد Little and Bagg بعض العيوب في نسل فئران عرضت لاشعة اكس ولم تظهر تلك العيوب في الفئران التي لم تعرض. ومما يسترعي النظر ان العيب ظهر في عدد قليل جداً من الفئران التي عرضت لتأثير الاشعة فمن الممكن ان تكون تلك العيوب كامنة وظهرت. وقد مرّ بنا ان الاشعة سبب من اسباب التحولات الفجائية فما يدرينا ان تلك العيوب ليست وليدة التحول. ووجد M. F. Guyer ان عيياً وراثياً ينشأ في عيون الارانب اذا ادخلنا مصلاً غريباً الى اجسامها ولكن هذا العيب ظهر في عدد قليل من الارانب التي اجريت عليها التجارب. ولم يتوصل غيره الى نفس النتيجة فمن الممكن ان منشأ العيب في العوامل الوراثية لا في المصل وعيوب كهذه تظهر دائماً في عيون الارانب

هل البربر عرب ؟

وهل لغتهم لغة ضاد اخرى ؟

لمحمد سعيد الزاهري *

قال الشيخ ابو القاسم : زارني ذات يوم مستشرق فرنسي كان ضابطاً في الجيش ثم احيل على المعاش ، ولم يكده يستوي جالساً حتى قال : لقد أتيتك اليوم مستفهماً سائلاً . فقلت : حباً وكرامة ، ولكنني ارجو من فضلك ان لا تسألني عما ليس لي به علم . قال : سأسألك عن مسألة من مسائل التاريخ . قال فقلت : ومن قال لك انني من المؤرخين ؟ . قال : انا سألك عما تعلم ، وما اريد ان اشق عليك . قلت : سل . قال : ان المؤرخين العرب الذين بحثوا عن اصل البربر قد ذكروا كل مذهب ، ونقلوا كل قول في هذا الموضوع ، ثم عطفوا على ذلك كله بالنقد والتحصيل فنقوا ما نقوا وأثبتوا ما أثبتوا . ولكن مذهباً واحداً قد أهملوه ، فما تكلموا عنه ولا اشاروا اليه ، وهو مذهب الذين يرون ان البربر هم من اصل «لاتيني» . فهل تعلم لماذا أهملوه ؟ وهل أهملوه متواطئين ؟ قلت : لعل ذلك لانه لا يزال حديث العهد ، وليس المؤرخون العرب هم الذين أهملوه وحدهم فقد أهمل من قبلهم المؤرخون من اليونان بل والمؤرخون من الرومان . قال : نعم ، هو مذهب — كما قلت — لا يزال حديث العهد ، لا يعد من العمر الا بضعة سنوات . واذا كان هذا هو عذر المؤرخين القدماء من اليونان والرومان والعرب ، فبال هؤلاء المؤرخين من العرب المعاصرين ؟ . قلت : هذا الرأي اقل ما يقال فيه انه ما زال رأياً مفروضاً لم يقم عليه ادنى دليل يؤبه له من العلم والتاريخ . فكل ما فعل اصحاب هذا الرأي هو انهم عمدوا الى النقوش والصور التي لا يزال بعض البربر الى الآن يضعونها على الاواني التي يتخذونها من الطين وهي صور ونقوش مصرية لا يشك في مصريتها احد من اهل العلم — فقالوا عنها انها تشبه من بعض الوجوه نقوشاً وصوراً وجدت في ايطاليا . واذا فهي «لاتينية» لا «مصرية» واذا فهي دليل على ان البربر هم من اصل «لاتيني»

ويُسمعون في اثبات هذه الدعوى ، فيزعمون ان البربر حينما كانوا «لاتيناً» وكانوا نصارى نبغ منهم رجال في السياسة والادب والدين مثل سانت اوغست البربري ، وانهم بعد ما صاروا عرباً مسلمين انحطوا وتأخروا . ثم يقولون انه من الخير للبربر ان يعودوا «لاتيناً» ونصارى ، ومن الخير لهم ان لا يبقوا عرباً ولا مسلمين ... وكذلك يمثل هذا المنطق بحثون البربر على ان يقطعوا كل ما لهم بالعرب من صلة القربى ، ويطلبون اليهم ان يخلعوا «جنسيتهم» كما يخلع الناس الملابس

* من مراجع هذا البحث : تاريخ الجزائر في القديم والحديث للاستاذ مبارك الميلي . الاستقصاء في اخبار العرب الاقصى للناصرى السلودي . تاريخ آداب العرب للاستاذ مصطفى صادق الرافعي . ديوان العبر لابن خلدون

والثياب ! وهذا كلام (كما ترى) هو ترويح لاهواء السياسة ، ودعاية ضد الاسلام ، وليس مذهباً من مذاهب التاريخ . فمن الحق الواجب على كل مؤرخ يتوخى الحقيقة والانصاف ان يهمل مثل هذا الكلام ، وان لا يورط نفسه ، ولا قرأه في خصومة سياسية او في جدل ديني . فقال الضابط : انهم جافوا بدليل آخر على هذه الدعوى ، وهو كلمات والفاظ بربرية وجدوا لها في « اللاتينية » ما يشابهها في اللفظ والمعنى . قال الشيخ فقلت : لقد سلك رين Rinn المؤرخ الفرنسي نفس هذه الفلسفة اللفظية واعتمدها وحدها في معرفة اصول البربر ، فجعلهم اوزاعاً بين الامم والشعوب ، وانتهى الى ان اكثرهم هنود وآريون ، حتى زعم ان عرب بني هلال الذين جافوا هذه البلاد هم ايضاً « طورانيون وآريون » ! ! فقال الضابط ان هذه المشابهات اللفظية بين لغة ولغة لا يمكن ان توجد عفواً من غير ان تدل على شيء . فكلمة « آروس » التي تعني في « البربرية » جبلاً معيناً قريبة من كلمة « الروس » التي هي اسم روسيا ، وهذا التقارب بين اللفظتين يمكن ان يدل على ان بين البلدين نوعاً ما من التقارب المعنوي . قلت : الكلمة البربرية هي « آوراس » وليست « آروس » ، ومع ذلك فان بين « آوراس » و « روسيا » صلة اخرى . قال : وما هي ؟ قلت ان العشائر البربرية التي تسكن هذا الجبل هي عشائر زراعية تعيش من زراعة الذرة . ومن العجيب ان مزارعها وارضها لا تزال مشاعة بين رجالها وابنائها يقسمونها بين من يحملون المساحي ، و « يتبعون الحارث » وهم يتبعون في ذلك نظاماً قديماً توارثوه خلفاً عن سلف يشبه ان يكون نظاماً « شيوعياً » لانه لا يعترف بحق التملك لاحد كائناً من كان . ومع ان هذا « الوضع » يرجع الى عهد بعيد جداً ، ومع انه اخذ في الزوال ، فانه لا يبعد ان يكون مقتبساً من الاوضاع الشيوعية الحاضرة التي تقوم اليوم في بلاد السوفييت ! ثم هو لا يبعد ايضاً ان يكون دليلاً على ان البربر هم من « الروس » وليسوا من « اللاتين » !! فضحك الضابط ، وقال : دعنا من الهزل ، غير انه دهش لهذا الاتفاق الغريب ! قال الشيخ : ومضيت احده ، واقول : الرمان هم اول من اطلق كلمة « البربر » على هذا الجيل ، يذمونهم بهذا الاسم ، ويعنون به انهم همج متوحشون ، وما كانوا يذمونهم بهذا ، لو انهم كانوا يمتنون اليهم بقرابة او نسب . فقال : والعرب ايضاً يذمونهم بهذا الاسم الذميم . قلت : كان ذلك بعد ما اشتهروا به وصار لهم علماً يعرفون به بين الشعوب ، على ان عامة هؤلاء العرب الذين لم يتأثروا بهذا الاسم الروماني لا يسمونهم « البربر » بل يسمونهم « الشَّلَج » يمدحونهم بذلك ، ويعنون انهم اهل نجدة وشجاعة ، وانهم اولو قوة ، واولو بأس شديد . وما كانوا يمدحونهم بمثل هذا المدح لو لم يكونوا لهم ذوي رحم واولي قرى . قال : أفتعتقد ان البربر عرب ؟ قلت : يكاد يجمع المؤرخون على ان البربر يجمعهم جذمان عظيمان : البُتر والبرانس ، ويكادون يجمعون على ان البتر من ابناء بر بن قيس بن عيلان بن مضر ، وان قبيلتي كتامة وصنهاجة (من قبائل البرانس) هما من عرب اليمن تركهما افريقش (احد تبابعة اليمن) هنا في ليبيا هذه التي سميت

باسم « افريقية » فيما بعد . وذلك حينما رجع من غزوها . وروى ابن عبد البر عن بعض النسابة من البربر ان البتر والبرانس هما جميعاً لاب واحد هو النعمان بن حمير بن سبيل . ويرى المسعودي وغيره انهم اوزاع من اليمن وغسان وطم وجذام وغيرها من قبائل العرب . وقيل هم من العماليق . وقيل من العبر والفينيقيين . وقيل من المصريين الا ان ابن خلدون يرى ان البربر كلهم من ولد مازيغ ابن كنعان بن حام بن نوح ، ولا يستثني الا قبيلتي كتامة وصنهاجة الحميريتين . على ان ابن خلدون ليس له دليل على دعواه هذه الا ما حكاه من ان البربر لا يزالون يتسمون « الامازيغ » . وهذا لا يكفي في اثبات هذه الدعوى ، فقد تكون فئة « مازيغية » اندمجت في البربر فغلب عليهم اسمها . وقد انقرض اليوم هذا الاسم بالمرة . الا ان قبيلة بربرية صغيرة لا تزال الى الآن تسمي لغتها « تمازيغت » اي المازيغية . وليس من الحق ان نترك ما يراه جمهور المؤرخين من عروبة البربر ، وما يقوله نسابة البربر انفسهم عن اصلهم العربي ، لكي نعتمد هذا القول الذي لا نجد عليه دليلاً ، وان رآه ابن خلدون . وها انت ترى ان كثيراً من المؤرخين يرون ان البربر عرب ، وانهم ينزلون من العروبة في صميمها ولست انا وحدي ارى هذا . قال الشيخ : فقال لي الضابط : الان انحلّ المشكل . فقلت : وأي مشكل ؟ قال الذي حار فيه اكثر الفرنجة الغربيين الذي كتبوا في تاريخ البربر . قلت : وما الذي حاروا فيه ؟ قال : امتزاج العرب والبربر امتزاجاً شديداً ، حتى صاروا في مدة قليلة امة واحدة متجانسة الاخلاق والعادات ، وهذا امر عجب له ككتاب الفرنجة اشد العجب ، وحاروا في تعليقه ومعرفة اسبابه ، وقالوا انه لم يوجد له مثيل في التاريخ . وها انت قد حللت المشكل ، وقلت ان العرب والبربر هما من عنصر واحد يجري في عروقهما دم واحد . قال الشيخ فقلت : نعم ، والعرب حينما توغلوا في هذه البلاد يفتحونها لم يضطر احد منهم ان يتخذ لنفسه زجاءً بينه وبين البربر وهذا معناه ان اللغة البربرية لم تكن يومئذ تزيد على انها لهجة عربية محرفة يفهمها العربي دون مشقة او عناء وكان يومئذ اكثر اسماء الاعلام عند البربر عربياً . وهذا « طارق بن زياد » القائد المشهور ، وفتح الاندلس قد قال عنه التاريخ انه بربري ، وانه هو صاحب الخطبة المشهورة ، ولئن سمي « طارق » باسم عربي في اوائل الفتح الاسلامي ، فقد سمي ابو قبل ذلك « زياداً » ! وأنا لا اشك في نسب طارق ، ولا في نسبة الخطبة اليه . ولكن هذه الخطبة التي هي آية خالدة من آيات البيان العربي ، هي ايضاً تمثل « النفسية » العربية في اكرم صورها واسمى معانيها . ومعنى ذلك ان « طارقاً » عربي بطبعه ومزاجه ، وعربية تلك النفس التي بين جنبيه ، وعرب قومه : هؤلاء الذين يسمونهم « البربر » او « الامازيغ »

على ان كل ما قيل في اصل البربر انما ينطبق على البربر قبل الاسلام ، أما هؤلاء البربر المسلمون فهم اصرح في العروبة من بربر الجاهلية الاولى ، وهذه ناحية من نسب البربر غفل عنها المؤرخون فاعنوا بها ، ولا بحثوها . وأنا اريد ان اعرض لها في هذا المقال . فقد ذكر بعض المؤرخين

الفرجة ان البربر في منتصف القرن السادس للميلاد قد خسروا خمسة ملايين من الانفس في حروبهم مع الروم البيزنطيين وذكر المؤرخون العرب ان البربر خسروا في حروبهم مع العرب — ايام الفتح الاسلامي — خلقاً كثيراً . واذا انت اضفت الى ذلك ما خسروه من قبل ومن بعد في الفتن والثورات ايقنت ان اكثرهم قد تلاشى . ولم يبقَ منهم الا فلول وبقايا قد اعتصموا بقن الجبال ، ولاذوا بالصحاري . ثم حدثنا التاريخ ان موجات عظيمة من العرب قد غمرت بلاد البربر هذه في اوقات مختلفة . وقد احصيت موجة واحدة من هذه الموجات العربية فاذا هي تربى على مليون نسمة ، وهي موجة بني هلال وحلفائهم الذين نقلهم الفاطميون في القرن الخامس الهجري من صعيد مصر ، وأرسلوهم نقمة على دولة الصنهاجيين الذين كانوا يومئذ ينصرون مذهب اهل السنة في هذه البلاد ، ويضطهدون مذهب الشيعة فيها . وكانت المذاهب الدينية الاسلامية يومئذ بمنزلة الاحزاب السياسية اليوم ، يصطنعها اولو الامر لتمكين نفوذهم وتأيد ملكهم ويتخذها المتطلعون الى العروش والتهيجان وسائل ومطايا الى انتزاع الحكم والسلطان

وكان النزاع بين هذه المذاهب قاسياً عنيفاً في منتهى القسوة والعنف لا يتورع فيه المتنازعون عن الاغتيال وسفك الدماء . وكان لكل مذهب دعاة وزعماء قد انبثقوا بين قبائل البربر ينشرون دعوته ، ويستعملون كل وسيلة من وسائل الاغراء والارهاب ليحملوا الناس على ان يعترفوه طوعاً وكرهاً . وكان العرب من هؤلاء الدعاة والزعماء « تبربرون » استمالاً للبربر ، واخفاء لانفسهم ولغاياتهم عن « الخلافة » القائمة يومئذ ، وتضليلاً لعيونها وارصادها وكانوا يكثرثون التزويج من النساء البربريات ، استكثاراً للحمة والحوّل والانصار . وقد اصبح ابناؤهم بعد ذلك « بربراً » أقحاحاً . وهؤلاء اهالي وادي مزاب في جنوب الجزائر يتكلمون اليوم اللهجة البربرية كلغة منزلية ، ولكنك اذا اطلعت على انسابهم واصولهم وجدتهم كلهم من العرب الذين « تبربروا » لسبب من مثل ما اقول . ويحدثنا التاريخ ان الادارسة الطالبيين قد فروا الى البربر واندسوا بينهم هم ومن كانوا حولهم من الاشباع والاتباع والمريدين ، ثم صاروا بالفعل « بربراً » ، وذلك فراراً بانفسهم من سيف هادم دولتهم موسى بن ابي عافية ومن سيوف رجاله الذين امعنوا فيهم تشريداً وقتلاً . وكذلك ما دالت دولة الا « و » « تبربر » اكثر اشباعها وانصارها ، وكلما قامت دولة الا واندس خصوصاً بين البربر ، واختفوا من الميدان . و « عملية التبربر » هذه هي عملية بسيطة جداً فاهي الا ان يقيم العربي بين البربر مدة من الزمن حتى يصبح منهم . وقد شاهدنا عرباً خالصاً افراداً وجماعات قد اضطرتهم مصالحهم الحيوية او الحروب الاهلية الى الاقامة بين البربر فلم يكذب يمضي عليهم زمن قليل حتى « تبربروا » عن بكرة ابيهم واخرى تدل على عروبة البربر ، وهي انهم يحبون العروبة ويميلون اليها كل الميل . وقد قرأنا تاريخ البربر ، ودرسنا حياتهم الحاضرة فما وجدنا في خاصتهم ولا في عامتهم ادنى اثر لهذه « الشعوبية » التي لم تكذب تنجو من شرها امة من امة الاسلام الاخرى

ولقد أسس البربر دولة كبرى في هذه البلاد ، وأسسوا في بعض انحاءها امارات صغرى ، ولكن لم تقم ولا واحدة منها على العصبية البربرية ، بل قامت كلها على دعوات دينية محضة لا أثر « للبربرية » فيها . وأكثر الاسر البربرية التي اسست هذه الدول والامارات ، قد ادعت لنفسها العروبة وادعت ان نسبها يتصل بأل البيت . فبنو عبد الواد ، وبنو زيان ، وبنو مرين ، والموحدون كلهم قد ادعوا انهم عرب ، وانهم من السلالة الهاشمية . أما محمد بن تومرت البربري فلم يكتف بادعاء العروبة وبالاتساب الى آل البيت النبوي الكريم ، بل زعم انه هو « المهدي المنتظر » . وألفوا كتباً كثيرة في اثبات « شرف » هذه الاسرة البربرية مثل « فلائد العقيان في شرف بني زيان » وغيره . وهذا ان لم يدل على ان هذه الاسر البربرية هي من السلالة الهاشمية فهو يدل على منزلة البربر في العروبة وعلى مكانة العروبة في انفسهم . وأنا لا استبعد ان يكون هؤلاء عرباً ، ولا ان يكونوا « هاشميين » ولو ان ابن خلدون نظر الى اللغة البربرية لكان له رأي آخر في اصل البربر ، واذن لوجد فيها ما يدل على عروبة البربر ، او ما يدل في الاقل على اصلهم السامي . فهذه اللغة البربرية هي عربية لا في الفاظها ومفرداتها فقط ، بل ايضاً من حيث تراكيبها وحروف المعاني فيها . ولا تزال نالزماً بعض خصائص اللغة السامية الاولى ، فضمير الغائب فيها مثلاً هو حرف السين فهم يقولون « كتابس » اي كتابه او كتابها ، ويقولون « مَعَس » اي معه او معها ونحو ذلك . وحرف العين لا يوجد في كلمة بربرية ، وكل كلمة فيها عين فهي عربية « مبررة » او ان هذا الحرف لا يوجد في كلمة بربرية الا في النادر القليل . ولقد قالوا ان اللغة السامية الاولى يعبر فيها عن ضمير الغائب بحرف السين ، وانها لا « عين » في كلمة من كلماتها . ومخارج الحروف في البربرية هي عربية خالصة حتى انك لا تجد فيها حرفاً غير عربي . ومن العجب ان هذه اللغة هي ذات ضاد كالضاد العربية تماماً . فالفعل المضارع المسند الى المخاطب يختم فيها دائماً بحرف ينطقه كثير من البربر ضاداً عربية فصيحة . وهناك اسماء بربرية فيها هذه الضاد ، منها : « أَصِيل » : العنب : « أَحْبُوس » : التمر في لغة « تيجبُوس » : البطن في لغة اخرى . « أَفْرُضال » : العظيم او الكبير . « آمْتشِيز » : التين . « إِيضارن » : الارجل او الاقدام . قال الشيخ : وادليت الى الضابط بالنتائج التي كنت انتهيت اليها في هذا الموضوع بعد الدراسة المستفيضة والاستقراء الشاق الطويل ، وهي ان هذه البربرية ليست لغة مستقلة بنفسها ، وانما هي عربية في اصلها ، قد تحرفت بطول الزمن حتى اصبحت اكثر بعداً عن العربية الفصيحة من هذه اللهجات العامية المختلفة التي تتكلمها الشعوب الناطقة بالضاد . ويجوز مع ذلك ان تكون العربية قد غزت البربرية وامعنت فيها حتى نسفت كيانها وافقدتها كل الخصائص والمميزات ثم قال الشيخ : وما كنت اظن ان هذا الضابط الفرنسي سيعلم في احد المؤتمرات هذه المعلومات ويقرر ان هذه البربرية انما هي عربية من غير ان يشير بكلمة واحدة الى انه اخذ ذلك كله عن هذا الشيخ العربي . وهنا قام الشيخ غضبان أسفاً ، ثم ودّعنا ومضى

وهران (الجزائر)

هل الانسان آلة

الجدال يتسع نطاقه ويتشعب

هل شكسبير وأديسن واينشتين والآلة من قبيل واحد ؟

في اللغة العربية ثمانية وعشرون حرفاً ، تجدها في مؤلفات الجاحظ والرازي وابن سينا كما تجدها في اشعار البحتري والمنذبي والمعري وشوقي . وفي الطبيعة اثنان وتسعون عنصراً تتركب منها الجملادات على اختلافها والاحياء على تنوع مراتبها من الاميبا الى الانسان . فالمواد الاساسية واحدة في الانسان وحجارة الاهرام واليواقيت الكريمة وخراطين الارض وزواهي الازهار . فاذا نزلت مراتب السلم الحيوي رأيت الخلایا قد قربت في شكلها وتصرّفها من بعض الجوامد . بل كلما اقتربت من الاميبا وهي ادنى الاحياء ، رأيت الجسم الحي وقد اصبح اوثق ارتباطاً ببيئته وأشدّ اعتماداً عليها ، من الاحياء العليا التي تستطيع ان تستقلّ عن بيئتها بعض الاستقلال ، او ان تعدّل فيها وفقاً لحاجتها . فالخلية الواحدة في هذه الاحياء الدنيا تصبح في عرف علم الحياة «تكويناً كيميائياً طبيعياً» Physico-chemical-system خذ مثلاً على ذلك قطرة من الكلوروفورم وصبتها على قطعة من اللك Shellac فتتحرك القطرة عليها حركة شبيهة بحركة الاميبا . فيسند الطبيعي حركتها هذه الى قوة الجاذبية السطحية ، التي تمكن الحشرات من المشي على الماء ، وتجعل قطرات المطر تتجمع كريات صغيرة على سطح لا يخرقه الماء . او خذ قطرة من الكلوروفورم وضعها على خرزة مغطاة باللک ، فتنتشر حول الخرزة المغطاة وتأكل اللک وتهضمه ثم تقذف الخرزة نفسها . ولو كانت الاميبا محالها لما استطاعت ان تفوقها في تصرفها هذا

كل ظاهرة من ظاهرات الحياة تمكن اعاتها في المختبر ، حتى ظاهرة التكاثر ، على ما ترى في بلورات الشبّ او كبريتات النحاس . ومع ذلك يظلّ الفرق كبيراً جداً ، بين كتلة من البروتوبلازما ، وقطرة من الكلوروفورم تبتلع اللک وتهضمه . ولكن اذا صعدت سلم الاحياء ، وجدت الفرق بين الحي وغير الحي واضحاً لا شبهة فيه . الانسان مستقل عن بيئته الى حد بعيد ، ولكن الاميبا ليست مستقلة . ومع ذلك فالانسان ليس الاّ نظاماً معقداً من البروتوبلازما لا فرق في تركيبه الاساسي ، بينه وبين مادة الخلية البدائية

وقد نشأت في خلال العصور مدرستان من مدارس الفلسفة ، الاولى وهي المدرسة الحيوية

يقول اصحابها ان الانسان مخلوق مميز بالروح والشعور والارادة الحرة . أما اصحاب المدرسة الثانية — المدرسة الآلية — فيردون على اولئك بأن الانسان كالاميبا ، « تكوين طبيعي كيميائي » انما هو اشد تعقيداً منها في تركيبه . ليس ثمة روح ولا ارادة حرة . واذا كان يبدو لكم ان الانسان حر الارادة فذلك لان سبب استجابته لمنبهات او الحوافز المختلفة الناشئة عن بيئته معقد وصعب ، لم تجدوا اليه السبيل بعد . وكلما اتسع نطاق معرفتنا ببيولوجية الانسان وسيكولوجيته ، زداد اعتقاداً بأنه اقرب الى ان يكون « آلة معقدة التركيب »

ومن المتعذر ان تخضع هذه المذاهب والآراء للامتحان . لان الجسم البشري ما يزال متسماً بسمة مقدسة تجعل تجربة التجارب الحيوية فيه امرأ متعذراً . فالعالم فيساليوس اضطهد في عصره لانه شرح جثة . ولست تجد الآن طبيباً او بيولوجياً يجروء على اجراء تجربة ما على طفل قبل ان يمتحنها امتحاناً دقيقاً بتجربتها اولاً في الحيوانات . بل ان استعمال الحيوانات في بعض هذه التجارب ، مقيّد في بعض البلدان بقيود ثقيلة . والمذهب الآلي يمكن امتحانه باحدى طريقتين . إما بدراسة التوائم وإمّا باستنباط الآلات التي تتصرف تصرفاً يشبه السلوك الانساني في نواحيه العامة فلنبدأ بالتوائم . فالتوائم اولاً يجب ان يكونا من بيضة واحدة (Identical) لان الشبه التام بين تامين من هذا القبيل يجعل التفريق بينهما متعذراً حتى على الام

خذ مثلاً على ذلك تامين من هذا القبيل يدعيان « جيمي » و « جوني » . امهما عاملة تلفون والدهما سائق سيارة . فنذ ما بلغ هذان التمان عشرين يوماً من العمر ، عنيت بهما الباحثة مرتل ماكرور من علماء معهد الامراض العصبية بنيويورك . فجعلت تستقدمهما اليها في كل صباح . كان « جوني » اضعف بنية عند ولادته من تئمه « جيمي » . وقد بلغا من العمر عشرين شهراً الآن . أما « جوني » الضعيف عند الولادة فقد درّب ومرّن ، حتى أصبح يستطيع ان يترحل على القباقيب وان يغوص في الماء ويسبح فيه وان يتسلق سلماً . أما تئمه فلم يدرّب بل ترك وشأنه . فهل يستطيع ان يجاري « جيمي » تئمه في شيء ؟ كلا . بل اذا وضع على رف مرتفع قليلاً بدأ يعول خوفاً واستنجاداً وعند المقابلة الآن ترى كأن « جوني » ، يفوق « جيمي » ذكلاً ومقدرة

فنحن هنا امام طفلين بلغا في تشابههما عند الولادة اقصى ما يمكن ان يبلغ التشابه بين كائنين ، ولكنهما يختلفان الآن اختلافاً كبيراً ، بعد سنة واحدة من المراتة والتدريب

ولكننا نشك كثيراً في اننا نستطيع بلوغ الحقيقة في هذا الموضوع عن طريق دراسة التوائم . واذا كان الانسان آلة فيجب ان يكون في وسع البيولوجي ان يستنبط آلة خالية من الروح ، ولكنها تنصرف كما تنصرف الكائن الحي . والعلماء لم يغفلوا ذلك ، بل ان طائفة منهم قد حاولته

ففي اوائل هذه السنة ، وقف طالب من طلاب معهد ماستشوستس الفني الصناعي Technology Krim امام قسم من اقسام معهد المهندسين الكهربائيين في اميركا ، وقرأ رسالة

عنوانها « الفعل العكسي المحوّل ومقابلته الكهربائي الميكانيكي ». وفي هذه الرسالة وصف آلة كهربائية يَمُضُ فيها أحياناً وميض العقل الانساني ، ثم تكتنفها غياهب الجمود . وأشار كرم في مقالته الى انه تتبع مباحث الاستاذ كلارك هل وصحبه في جامعة ياييل الاميركية ، حيث بنوا آلات مختلفة ، تستطيع ان تتذكر وتنسى . وهؤلاء المستنبطون ليسوا واهمين في نظرهم الى الآلات التي استنبطوها . فانهم لا يتوهمون ولا يرددون ان يوهوا انهم صنعوا الانسان الميكانيكي (Robot) الذي تصوّره الكاتب التشكوسلوفاكي كاپك في مسرحيته ، ولا ان يصنعوا آلات للأعمال التجارية والمالية تحصى وتعدّ وتجمع وتطرح من تلقاء نفسها . بل هم من اصحاب المذهب الآلي في طبيعة الحياة ومحاولون بما يقومون به من المباحث واستنباط ما يستنبطونه من الآلات ، ان يكشفوا السر الغامض اذا امكن من هذه السبيل

فهم يعتقدون ان كلمات « العقل » و « الروح » و « النفس » الفاظ لا معنى لها ، ورثناها من مخلفات الماضي الغيبية ، وان الانسان سواء اكان عبقرية كايبنشتين او ابله ، لا يعدو ان يكون نظاماً معقداً من المادة يتفق ان تكون في حالة ندعوها حالة الحياة ، وانه لا بدّ في النهاية من تفسيرها بقواعد الطبيعة والكيمياء والكهربائية . والواقع ان الغرض من الآلات التي بناها كرم وهل وصحبهما ، انما هو اقامة الدليل على ان الانسان آلة Automaton — مخلوق تعلّم ان يستجيب لقوى داخلية وخارجية استجابة طليقة Spontaneous عند ما تفعل هذه القوى في الحواس وما وراءها من الجهاز العصبي . في جميع المحاولات التي حاولوها صنعوا آلات ميكانيكية وكهربائية وكيائية كهربائية ، تستطيع ان تفعل فعل « التأثير العكسي المحوّل » الذي اشتهر به العلامة الروسي ايثنان بافلوف . ولنا في حاجة الى الاضافة في موضوع بافلوف فقد سبق لنا وصف المباحث الاساسية التي اشتهر بها فقد حصر (١) هذا العالم تجاربه في الكلاب . ومن المعروف ان الكلب ، ككل الاحياء المدركة ، اذا رأى قطعة من الحلوى سال لعبه . فاستغل بافلوف هذه الظاهرة ، وهي ظاهرة من الظواهر التي تسمى « افعالا عكسية » اي انه من الافعال التي يؤديها الجسم بقاسر ذاتي ، ومن غير ان يكون لتجارب الحياة فيها أقل أثر . وهناك كثير من الافعال العكسية بعضها اصيل وبعضها مؤصل . ومنها ما يمكننا مشاهدته في الاطفال ، ومنها ما يتأصل على قدر من العمر ومرور من الايام . فالطفل يعطس ويتنأب ويتمطى ويحوّل عينيه نحو النور ، ويأتي غير ذلك من الافعال في مختلف اطوار عمره ، من غير ان يكون في حاجة الى ان يتلقاها او يتلقاها عن غيره . وكل هذه الافعال تدعى الافعال العكسية او بالاحرى ، كما دعاها بافلوف افعالا عكسية أصيلة Unconditioned Reflex actions وهي بذاتها التي كانت تدعى من قبل الغرائز Instincts والغرائز المركبة كغريزة بناء الاعشاش في الطيور ، تلوح كأنها جملة مندمجة من افعال عكسية . والافعال

العكسية في الحيوانات الدنيا قلما تؤثر فيها تجارب الحياة . فان الفراشة تستمر تحوم حول الضوء حتى بعد ان يحترق جناحها . وعلى الضد من ذلك نجد الحال في الحيوانات العليا . فان تجارب الحياة لها في هذه الافعال العكسية الاصلية ، تأثير بالغ فيها . ولا يخرج الانسان عن حكم هذه القاعدة . ولقد قصر بافلوف تجاربه كما قلنا من قبل على سيل اللعاب في فم الكلاب . نخلص منها بالقاعدة الآتية قال : « عند ما يقترن بالمنبه الذي يبعث اي فعل عكسي اصيل او يتقدم عليه ، مرات عديدة منبه ثان ، فان هذا المنبه الثاني يحدث مع الزمن نفس الاستجابة Response التي كان يبعثها المنبه الاول في احداث فعل عكسي متحول » . - Conditioned Reflex action

فان سيل اللعاب فعل عكسي اصيل ، لا يحدث اصلاً الا عند وجود الطعام في الفم . ومن ثم يحصل عند مرآى الطعام او شم رائحته ، او عند حدوث اية علاقة او اشارة تسبق مباشرة الاكل . وكل هذه الافعال يدعوها بافلوف الافعال العكسية الاصلية . ثم قرن تقديم الطعام بقرع جرس وكرر ذلك مراراً . ثم استغنى عن تقديم الطعام فاصبح قرع الجرس يسيل اللعاب في فم الكلاب فالاستجابة (سيل اللعاب) واحدة في الفعل العكسي الاصيل والفعل العكسي المتحول ولم يستحدث في الامر من شيء الا « المنبه » Stimulus الذي يشترك او يتحد مع المنبه الاصيل من طريق التجربة . وهذه القاعدة هي اساس كل تعليم او استيعاب للمعلومات ، واساس الظاهرة النفسية التي كانت تدعى من قبل « تداعي او اشتراك الافكار » ، واساس تعلم اللغات ، واستحكام العادات واستبدالها بالافراد والجماعات ، وعلى الجملة هي الاساس العملي لكل مناحي السلوك الانساني الخاضع للتجربة وبعد ان استرشد بافلوف بهذه القاعدة مضى يطبقها على ما يخطر بباله من ممكنات التطبيق . فانه لم يقتصر على امتحان منبهات الطعام الشهية . بل عمد الى الاحماض المكروهة ، يأخذ منها منبهات يستعملها في تجاربه ، حتى يستطيع ان يؤصل في كلابه استجابات « التوقي » ، كما يؤصل فيهم استجابات « التشهي » فبعد ان ينبه فعلاً عكسياً اصيلاً ، يعتمد الى قمعه بفعل آخر . فاذا كانت العلامة او الاشارة التي يعتمد اليها يعقبها نتيجة مرغوب فيها طوراً ، ونتيجة مكروهة طوراً آخر ، فان الكلب يصاب باضطراب عصبي مثل الهستيريا او النورستانيا ، وتظهر عليه كل العلامات المميزة لاحد المرضين ففي كل فعل عكسي عنصران . الاول هو الحافز او المنبه وهو بمثابة الضغط على زناد البندقية . والثاني الاستجابة ، وهو ما يقع بعد الضغط على الزناد اي انطلاق البندقية

فهل الجسم آلة تسيطر عليها قوى من قبيل ما يعرف بالخوافز او المنبهات Stimuli ؟ اما بافلوف واتباعه فيرون ذلك . ثم ان الدكتور وطسن الاميريكي قد بنى فلسفة نفسية كاملة على هذا الاساس ، نعرف بالسيكولوجية السلوكية Behaviouristic فاذا صح هذا ، فمن العبث ان نبحت عن سر عظمة اديسن واينشتين ولنكن ونيوتن في اندماج خاص من الخلايا الحية تلقوها وراثية من اسلافهم . انهم على ذلك يصبحون آلات حية ، تطبعت - والتطبع قائم على قاعدة الفعل العكسي المحوّل -

بحوافز يبتئها لتخرج خططاً اجتماعية خطيرة كالرئيس لنكن ، او مصابيح كهربائية وغراموفونات كاديصن ، او نظريات في الكون كنيوتن واينشتين

واصحاب هذه النزعة لا ينكرون الحب والبغض والبطولة . وانما يقولون ارونا السلوك الذي تطلقون عليه صفة الحب او صفة البغض او صفة البطولة ونحن نشرع في تجربة تجارب تمكننا من الانباء بدقة عن الوان هذا السلوك . فاذا قبلت هذه النظرية ، اصبحت الخطوة التالية ، جلية بل محتومة ، وهي بناء شيء يتصرف كالحيو ان ولو كان في ايسر عناصر تصرفه

كيف يفسر اصحاب المذهب الآلي الفعل العكسي البسيط والمحول ؟ كيف يفسرون سيل اللعب عند رؤية الطعام ؟ يقولون ان العين تبعث رسالة الى الدماغ . فيصدر الدماغ الاوامر الى الغدد اللعابية واللسان والفكين والفخذين وغيرها من الاعضاء . فتنشأ كذلك صلة بين مراكز الحس ومراكز الحركة ، التي تسيطر على الغدد والفكين وغيرها . ثم ان مباحث السر تشارلز شرلغتن الانكليزي قد اثبتت ان رسالة العصبية من قبيل التيار الكهربائي

فلنعد الآن الى احدى الآلات التي استنبطها هل وكرم وصحبهما . فهي عبارة عن دورة كهربائية تحتوي على بطارية وزرر للكبس ومصباح . اضغط على الزر . فهذا الضغط في الآلة هو المنبه ويقابل مشاهدة الكلب للطعام . فينير المصباح وهذه الانارة هي الاستجابة وتقابل سيل اللعب في فم الكلب

اما الفعل العكسي في الكلب — اي سيل اللعب عند رؤية الطعام — فقد تحول . فأصبح يسيل عند قرع جرس بعد مرانة . فكيف نعمل ذلك ؟ ليس ثمة صلة مباشرة بين العين والاذن . ولكن وراء العين والاذن نجم الدماغ وهو اشبه شيء بمركز كهربائي . بل هو نفوذة ، في انه مركز تنسق فيه الرسائل العصبية حتى لا يتعارض بعضها مع بعض . فكما قرع الجرس استثيرت العين والاذن ، استثارة غير مباشرة ، عن طريق الدماغ (اي الجزء من الدماغ المعروف بالخبيخ) . بل لتستطيع ان تستغني عن المخ في حياة الكلب وتظل قادراً ان تحدث في الكلب فعلاً عكسياً محولاً كاسالة اللعب لدى قرع الجرس بدلاً من اسالته عند رؤية الطعام

ثم لننتقل من الفعل العكسي المحوّل الى الآلة . فنضيف اليها بطارية ثانية وزرراً ثانياً ومصباحاً ثانياً . اضغط على الزر الثاني ، فلا ينير المصباح الاول . فكأنك قرعت الجرس امام الكلب لأول مرة فلم تتأثر بصوته غدده اللعابية . ثم اضغط على الزرّين معاً فيضيء المصباحان معاً . فكأنك قدمت الى الكلب الطعام وقرعت الجرس معاً فسأل لعبه . وامض في ضغط الزرّين . فكأنك تعلم هذه الآلة نوعاً من تداعي الافكار . او كأنك تدريتها على تحويل فعل عكسي اصيل . وبعد ان تفعل ذلك عشر مرات او عشرين مرة ، اضغط على الزر الثاني وحده — هو الزر المقابل لقرع الجرس — فيضيء المصباح الاول وهو المقابل لسيل اللعب !

ولكن امض في ضغط الزر الثاني ، فينير المصباح الاول عدة مرات . ثم يتوقف عن الانارة . وهذا يقابل ما يقع تماماً للكب . فانك بعد ان تعودته الاستجابة لقرع الجرس بسيل اللعاب يمضي بسيل لعابه عدة مرات كلما قرع الجرس . ثم كأن كيانهُ يستيقظ الى ان الغرض من سيل اللعاب هضم الطعام ، وقرع الجرس هذا لا يقدم له طعاماً ، فيرفض كيانهُ بعد ذلك ان يسيل اللعاب في الفم عند قرع الجرس اي ان الفعل العكسي المحوّل يرتدّ فعلاً عكسيّاً اصيلاً .

او نخذ آلة اخرى مبنية من عيون كهربائية تتأثر باللونين الاحمر والاخضر وادوات كهربائية اخرى لايهمتنا التوسع في وصفها . فقد وضع المستنبط هذه الآلة في صندوق يشبه في شكله رأس الانسان واقامه على عجلات تسير على قضبان ، فتستمدّ الآلة الطاقة من طريق هذه القضبان اقرع الجرس . فتتجاهل الآلة قرعك او امسك بالجزر او الاسبانخ امامها . فلا تستجيب . ولكن جرّ هذه الآلة على القضبان عبر الغرفة عشر مرّات ثم اقرع الجرس ، فترى الآلة وقد سارت على القضبان من تلقاء نفسها . او امسك بالاسبانخ امام عيونها الكهربائية ، وفي الوقت نفسه شدّ اذني الرأس . فبعد ان تفعل ذلك عشر مرّات ، تهزّ الآلة رأسها من تلقاء نفسها عند مجرد رؤية الاسبانخ . واذا لوحت بالجزر امامها وربّت على قفا الرأس في الوقت نفسه عشر مرّات كذلك ، هزّت الآلة رأسها عند رؤية الجزر من دون ان تربتها . والآلة تتصرف بنفسه اذا ابدلت الاسبانخ بلوحة خضراء والجزر بلوحة برتقالية ، لان اللون هو العامل الفعّال في هذه التجربة

ان ما تفعله هذه الآلة ، يكاد يكون لا شيء ازاء ما يستطيعه جسم حيّ بسيط التركيب كالاميبا مع ان الاميبا ابسط الاحياء على الاطلاق . وقد يكون في متناول العلماء ان يصنعوا جهازاً يتصرف تصرف الاميبا . ولكن بناء جهاز يستطيع ان يتصرف تصرف الدماغ الانساني فستحيل على ما نعلم الآن . ذلك ان المادة السنجابية في الدماغ تحتوي على نحو عشرة آلاف مليون خلية عصبية . وهذه الخلايا مترابطة وعدد الصلات بينها يبلغ الوف الملايين وكل عمل من اعمال الانسان العكسية والشعورية يقتضي عمل طائفة كبيرة مترابطة من الخلايا

اما الحيويون فيقولون بلسان هولدين : يحسن بنا ان نزن الانسان ونحلل نسجه والمواد التي تدخل في تركيبها ولكن ذلك لا يمكننا بوجه من الوجوه من ادراك كنه الصفات التي يتصف بها سلوكه الشعوري او الواعي Conscious اي ان هولدين يعترض على هذه الآلات ، لانها اذا تصرف تصرفاً شبيهاً ببعض نواح من تصرف الجسم ، لا يكون تصرفها هذا واعياً او شعورياً . فيردّ الآكيون عليه ، مستندين الى بافلوف قائلين : ونحن غرضنا ان نبين ان الشعور او الوعي ليس الأ مجموعة من الافعال العكسية المنفصلة بعضها عن بعض

فاجنر

WAGNER

وتلخيص أوبرة « لونيغرين »

ولد ولهلم رتشرد فاجنر المؤلف الموسيقي العظيم في مدينة ليزج عام ١٨١٣ ومات عام ١٨٨٣ رجلاً تمثلت فيه العصامية والاعتماد على النفس . درس الموسيقى في الملم وإسهاب هيئاً له كرسي الاستاذية في مسرح فريزبرج حيث كان

مشرفاً على الموسيقى وما

يتصل بها . ولقد ذهب

الى باريس عام (١٨٣٩)

حيث قضى فترة من

عمره الى سنة (١٨٤٢)

ومن ثم رحل الى درسدن

حيث عين استاذاً ايضاً

للموسيقى . ولقد حدث

ان نفى من المانيا عقب ذلك

للاحوال السياسية الخاصة

بثورة (١٨٤٩) فنزح الى

سويسرا وصرف فيها اثني عشر عاماً متنقلاً

منها الى انكلترا واطاليا وفرنسا . ولقد مضى

من سنة (١٨٦١) الى سنة (١٨٦٤) فيما بين فينا

ومينز مجدداً في سبيل رزقه الى ان ظفر بمرتب

مستديم نفحه به « لدفيج الثاني » ملك بافريا

أتاح لنا شاعر الفرنسية الموهوب ، المصري المثقف « خيرى بك » فرصة ثمينة مرتت كما تمر على المرء اسعد اوقات حياته ، ساعة ان تحدث الى سامعيه وطار في قدر أدبه عن موسيقى فاجنر في معهد الموسيقى الملكي . تحدث عن موسيقى هذا

الفنان في نواح متعددة

تدل على انه جهد جهداً

موفقاً في دراسة ادب

فاجنر وفنه الموسيقي

واوبراته . وما ظنك

بشاعر يصرف من زهرة

عمره اكثر من عشرين

ربيعاً يدرس فيها حياة

هذا العبقرى العظيم ...

فانت اذا سمعته وهو

يتحدث عن فاجنر لا

تنصرف عنه الا تلك ثمة تامة تحت تأثير العاطفة

والشعور الموسيقيين بأن هذا المصري طبع

بروح فاجنر نفسه فتحدث الينا عن موسيقاه

وفنه وعن أدبه واوبراته في ليلة من الليالي

المعدودة في العمر

وظلّ مقيماً في سويسرا الى عام ١٨٧٢ وبعدها نقل الى «بارويت» Baireuth حيث امضى الشطر الاخير من حياته وقضى نخبه في مدينة البندقية في ١٣ فبراير سنة ١٨٨٣. ولقد تزوج فاجنر في حياته مرتين. الاولى من «مينابلانز» والثانية من «كوزما فون بيلو» ابنة الموسيقار لست.

اشتهر فاجنر «بأوبراته» الموسيقية فألف منها ما يُعدُّ الى الآن في اوربا نوعاً فريداً من الانواع الحية الفتانة. «اوبراته» فيها عبقرية موسيقية يقبل عليها عشاق فاجنر من الجمهور المستمع فضلاً عن أئمة الفن والنقد. . يكفي ان يقال فيها انها موسيقى رجل نبت عصامياً وطاش لفنه وفي سبيله دائماً من بلد الى بلد كالطائر الطريد الصداح !! ومن سوء حظه ان استعدي عليه خصومه اصحاب القوة ففني من وطنه وظلّ مشرداً الى ان ضمه ملك بافريا فتمرد ايضاً على الحياة لانها عنده لاشيء.. ولان الجمال الروحي في عاطفته فطري يغذيه

تلك هي الشاعرية الطريدة التي تعيش لنفسها وتعمل للناس تسمو بالحياة الى المعاني العالية الرفيعة.. تلك الشخصية الفذة العظيمة لا ترفعها الحياة بل تنازلها. تصارعها الشدائد فتخرج اصلب عوداً. وتعجمها الحوادث والحن لتعود اكبر نفساً واغوى مراساً

استطاع فاجنر في حياته الفنية ان يهذب من فن الاوبرا فأودع فيها من التجديد ووسائله ومن السبك والوانه ما جعل لها قيمة جدية في عالم البقاء. فقد ضمن للاوبرا القوة التي نلّسها في القصة التمثيلية التي لا يستطيع الانسان هضمها واساغها بغير الموسيقى. والروح الموسيقي الذي يكون الاوبرا في مذهب فاجنر وتدور عليه الحوادث نفسها مبعث القوة والنهوض فيستثير كوامن النفس ويلهب منها العواطف والاحاسيس. ويفسر فاجنر مذهبه الموسيقي باكساب الحركات والحوادث لباس الروح العاطفي الذي لا يستطيع الكاتب او الشاعر ان يبرزه في شيء من التأثير كما يوفق الى ذلك الموسيقي الملهم. الموسيقي الشاعر بفطرته. الموسيقي الروحي الذي تلهمه الانسانية المعذبة رسالة الألم وعبرة الرجاء..

واشهر اوبرات فاجنر التي اعدت للتمثيل وشهدتها معظم مسارح اوربا هي «داي فين» سنة ١٨٣٣ و«داي لبيسقر بوت» ولم يمثلا حتى وفاته. ولقد مثل في حياته الاوبرات «طان هوسر» سنة ١٨٤٥ و«خاتمة النبلنجين» و«داي رينجولد» و«فلكيري» و«سيجفريد» و«غسق الآلهة» و«الهلندي الطائر» ولقد بدأ تأليفها حوالي عام ١٨٥٠ وراجعها كلها عام ١٨٦٩ واتمها سنة ١٨٧٥. وشهدت دار الاوبرا العظيمة في مدينة «بارويت» «خاتمة النبلنجين» واوبراته الاخيرة ومنها «لونجرين» و«پارسيفال» التي تعد من اقوى ما ألفه فاجنر في الادب والموسيقى واني اقدم هنا تلخيص «اوبرته» لونجرين التي أحرزت نجاحاً كبيراً فلما يعدله نجاح آخر والتي برزت كبار رجال الفن واعجب بها كثير من النقاد

أورة « لونجرين »

تعتبر لونجرين من اقوى ايرات فاجنر التمثيلية . ويكفي ان يكون واضعها تمثيلاً وموسيقى فاجنر فقد لا يوجد صبي في المانيا لا يعرف اغنية « كوكب الدجاجة » عند ما يدفع لونجرين الاوزة . . . وقد استقى فاجنر اوپرته من النصوص القديمة التي تحدثنا عن مصير لونجرين البطل الغامض وحارس « السر الاعظم »

في هذه القصة صراع عنيف بين الحق والباطل وبين القوة والقانون وفيها صراع عنيف ايضاً بين حب الخطيئة وشهوة الزوجة . فيها اتهام يلقي على النفس الشريفة كأقوى ما يكون الاتهام . وفيها من الألم ما يمس صميم النفوس الكبيرة فيكاد يقضي على موضع العزة فيها والشرف . . . فيها صراع قوي بين الزوج والزوجة . . . وما رأيك في زوج نبيل يذهب ضحية زوجة مفتونة بسحرها تتعمل السحر للايذاء والشر فتغير من الصور الانسانية في سبيل شهوتها وإرثها . . . كثير على زوج ان يتحمل الماء وتضحية في سبيل امرأة تسخر من الزوجية في سبيل ثأر تناله ومأرب وضيع تصبو اليه نفسها ولكن هي المرأة وكفى . . .

* *

نحن بحوار « أنتورب » حيث يستعرض هنريك فوجلر ملك المانيا جيوشه الجرارة امام سكان مقاطعة « برابانت » ليدراً اعداءه الغزاة الهنجاريين . فيجد الملك الناس في هرج ومرج فينتفهم هذا فيعلم ان الكونت فريدرك تيلرامند يتهم إزرا صاحبة برابانت بقتل اخيها الصغير « جود فري » وارث دوق برابانت الذي توفي قبل امد قصير تاركاً اطفاله لعناية « تيلرامند » ولقد كانت إزرا خطيبة تيلرامند ولكنه تزوج « اورترد » صاحبة فريزلند . وكان يطالب بحقه في وراثة دوقية برابانت

تعلن إزرا برائتها من قتل اخيها لانها لا تعلم عن امره شيئاً . فكل ما تذكره انه اختطف اثنا نومها فاذا عرض الامر على الملك اصدر قراراً فخواه ان يترك شأن هذا الحادث للعناية الالهية دون غيرها لتصدر فيه ما تراه . ولكن تيلرامند لوثوقه من حقه يرى ان يعلن استعداده لمبارزة من يرى الدفاع عن إزرا . فأما ابطال برابانت وعظماؤها فيرفضون طلبه ولا يقبلون عليه حتى المليك نفسه الذي يعتقد في براءة إزرا . ولكن ابطال برابانت والمليك ايضاً يعتقدون ايضاً أن الحق يبدو في جانب هذا الرجل المعدود في طليعة الابطال

تلتزم إزرا الهدوء وتتضرع الى السماء حتى اذا اقبل الليل واستلقت في مخدعها تخيلت ذلك البطل الالهى المرسل من السماء يحملها رسالة الدفاع والذود عنها . وأما هي فقد تتحدث الى نفسها في الصباح عن تلك الرؤيا الجميلة . وتعلن في غير ما تردد أو تهيب بأنه اذا تحقق لها هذا

الخيال فهي لا تتوانى ان تمنحه يدها وأملاكها . فأما هي فتكثر من هذا الحديث وتبتهج لروعة هذا المنظر وان هي الا لحظة حتى ترى فارساً يتمنطق بالدرع ويرتدي لباساً فضيلاً لامعاً لا تكاد العين تنصرف عن رؤيته لجماله وتأثيره . يركب قارباً مسطحاً تسيره في الماء « اوزة » جميلة اللون شائقة المنظر .. حتى اذا انتهى الى الساحل ودّع القارب والاوزة واتجه الى قصر إزا فتقبل عليه نحيبه . . وتعلم فيما بينها وبين نفسها ان هذا هو البطل الذي تخيلته في حلمها . أما هو فيسر اليها انه سيدود عنها ما امكنه الذود . على ان تكون له زوجة وان لا تفكر من اين هبط عليها او ان تفكر في اصله . . تقبل إزا هذا في غير عسر او مشقة . ويبدأ الصراع بين الفارس وتيلرامند فيفوز الفارس على خصمه فوزاً مبيناً ولا يفكر في قتل تيلرامند بل يهبه حياته التي في متناول يده والتي كانت ستطوح بآمال زوجته « اورترد »

* *

أما « أورترد » فكانت ساحرة وفقت الى ان تخدع زوجها الذي يؤمن الايمان كله بقتل « جود فري » بينما هي اختطفت الطفل ولم يدربها احد . بل استطاعت ان تهزأ بعقل زوجها بما لم يكن يتوقعه احد

فاذا كان الفصل الثاني فنحن في قصر « ديكال » حيث تعد معدات الزواج الذي اغتبط له قوم واستاء منه آخرون . أما إزا فسعيدة بهذا الزواج يحدها فيه الامل ويدفعها اليه الرجاء . وأما « اورترد » فمتبرمة به يدفعها الغيظ لتقف في طريقه . وأما زوجها فخانق عليها لانها كانت الباعث في امر هزيمته . وهو هذا العظيم القوي امام قومه ! يتحدث اليها في شيء من الألم والتأثر ونحيبه في شيء من الهدوء وفي غير مبالاة حتى يتهمها بأنها سبب هزيمته وانها لا تأبه لشرفه المثلوم فنحيبه في شيء من الهدوء وقلة الاكتراث عما تصنع وما حيلتها في الجبناء ! يتخرج الموقف بينهما فتسرع الى ابتسامته متكلفة وتعلمه بأنها ستعمل على فض الزواج بأية سبيل . . . فتلجأ الى إزا لتقول لها كيف يتم لها زواجها بشخص لا تعلم شيئاً من امره بل ولا تعلم اسمه . حتى اذا قنعت إزا بهذا أخفق الزواج وهي كساحرة تعلم العلم كله بأن قوة هذا الفارس ستفنى اذا اصطدم بهذا الحديث الذي تحملته اليه إزا

تقف إزا في نافذة قصرها الفخم تستعرض جمال الطبيعة . . وتشكر الله القدير . . . وتنصت فتسمع الى نداء حزين هو نداء منكوب او خائر القوى . . لا يكاد يقوى على الحديث ... إزا ... إزا . . . فتجيب بعد ان يخفق قلبها تأثراً وألماً . . وتبحث عن المنادي فاذا به « اورترد » تبكي بين يديها . تستعطف إزا في شيء من الرفق والاخلاص . هي ترى ان إزا ستكون ضحية لطيفة قلبها وتسليمها امرها لهذا المستقبل المجهول . . واذن فالزا متأثرة بهذا الشعور . . وهنا يتناول الشك موضعه في قلب إزا . . والان فقد احتشد الناس في الكنيسة في الصباح المبكر ليشهدوا

عرس إزا العظيم وقد أقبلت إزا لتأخذ مكانها بجانب زوجها . . . فتندفع اورترد بين الصفوف لتذكر إزا بما سبق ان أسرت به إليها . ويتسابق تيلرامند الى الفارس الغريب ليتهمة . . . ولا يتظاهر بهذا حتى يندفع الى الوراء بتدفق الجماهير . . . وإزا تصرح « لأورترد » بأن رسالتها في النصح جاءت متأخرة . ولكن الشك يزداد والامل في مستقبلها السعيد يصبح ضعيفاً . هي مستسامة اذن لحديث « اورترد » ولكنها تدفع عن زوجها ما يكاد يلم به من امر تيلرامند وتلجأ اليه ان يحمي نفسه ويحميها . . . ولكنه يصر على ان يتركها وشأنها . . . ويتقدم تيلرامند الى الملك يستعطفه في ان يعلم اسم هذا الغريب ويسأل عن شأنه . . . ولكن لونيجرين — الفارس — يرفض ذلك الا اذا صدر السؤال عن زوجته . . . ولكن إزا تمتنع مع ما بها من شك ان تسأله

* *

نحن الآن في الفصل الثالث حيث يقيم الزوجان في قصر إزا . . . برفر عليهما طائر الفرح . . . ولكن قلب إزا لم يزل كما هو . . . فيه شك وفيه ألم . . . بل فيه خوف وفيه اضطراب . . . الم تودع فيه « أورترد » هذه العواطف كلها . . . تصرح إزا في غير تردد بأن مصيرها مجهول . والواجب يدعو زوجها ان يخفف من غلوائه فيذكر لها موقفها اذا تركها وذهب الى طريقه بل وعاد الى سمائه . وبينما هما في هذا الحديث يشعر بأن تيلرامند مقبل لقتله غيلة . فيفلات منه ويطعنه طعنة نجلاء . . . ترديه قتيلاً . . . وأما هو فيأخذ زوجته الى ساحة الملك ليطلعها على حقيقة أمره . . . وعن رسالته . . . ومن هو . . . أما السر فهو انه حارس السر الاعظم وخليفة « پارسيفال » . والسر الاعظم هو « دم المسيح المحفوظ » الذي يحرسه الفرسان بالوراثه في القصر الاعظم . . . على الجبل الاعلى . . . والآن لايسعه اذ قد باح بهذا السر الخطير ان يقيم وزوجته بل يعود من حيث اتى . . . وانظر اليه فقد تلفت الى امامه فوجد الأوزة قد أقبلت نحوه فيأخذ من عنقها سواراً صغيراً ذهبياً يمنحه الى إزا ويعطيها كذلك درعه وسيفه . . . لكي تدفع بهما كل عداء وكفهاها ما فيهما من سر . . .

يهم الفارس بأن يذهب فيستمع الى اورترد بأنها هي التي سحرت الطفل فصنعت منه اوزة وأنه كان في مقدوره ان يعيد الطفل الى كيانه الاول لو لم تسرع إزا بسؤاله عن حقيقة امره . . . يستمع لونيجرين هذا في ألم . فيرفع وجهه الى السماء ويصلي بقوة طالباً نجدة الطفل . . . ويتقدم اليه واضعاً الذهب في عنق الاوزة . . . فيختفي الطائر الى حيث الماء لحظة ثم يعود فاذا به « جودفري » نفسه قد رجع . . . واذا وارث عرش برابانت قد اقبل . . . واذا الفارس يذهب الى قاربه في الماء وقد أقبلت حمامة من السماء تدفع القارب . . . واذا لونيجرين قد ابتعد عن الشاطئ وغاب عن الانظار . . . واما إزا فقد قامت تضم اخاها لها . . . وخرجت اورترد حسيرة النفس يائسة «
حليم ميري

السيكولوجية الحديثة

التحليل النفسي

لبيقر فام

فرويد

قلنا في مقالنا السابق ان فرويد قسم النفس الى ثلاثة اقسام واسماها (Id, Ego and Super Ego) وبلغتنا : الشخصية والنفس العليا والشهوة ، او الضمير والعقل والنفس باللغة القديمة ، او نستطيع ان نستعمل مؤقتاً الاصطلاحات التي كانت تستعملها السيكولوجية من خمسين سنة وهي العقل والشعور والارادة — هذه الثلاثة هي الاركان التي تقوم عليها النفس الانسانية ثم قلنا ان مدرسة التحليل النفسي تزعم ان الامراض العصبية تنشأ في الاصل من ان الشهوة تلحف على الشخصية بالمطالب التي لا تستطيع هذه ان تؤديها فتتولد عن هذا العجز ازمة نفسية حادة او خفيفة ، وهذه الازمة هي المرض بذاته ، هي محاربة اجزاء النفس بعضها لبعض ، وقيامها بعضها على البعض الآخر ، اما ان الازمة تنشأ من خلاف بين الشخصية والشهوة ، او تنشأ بينها وبين المثل الاعلى للانسان

هذا ما يذهب اليه فرويد ، وهذا ما يبينه بالتفصيل في المقال السابق ، ولكننا نعود الآن فنقول انه في الواقع ليس هنالك ما يسوغ وجود هذه العقدة في النفس على الاطلاق حتى ولو قبلنا هذا التقسيم على علاقته من غير بحث او مناقشة . لنذهب مع فرويد الى آخر الشوط ، ولننس كل الشكوك التي تساورنا في صحة هذا التقسيم ، ومع كل هذا فاسنا بمستطيعين ان نرى بشكل من الاشكال كيف تقوم هذه الصعوبة اصلاً ، او كيف تخلق العقدة ، وكيف توجد الامراض العصبية في الانسان ، ولكي نوضح وجهة نظرنا في هذه المسألة نضرب لذلك مثلاً ، وازيادة التبسط في الموضوع دعنا نحصر النزاع بين الشهوة والشخصية

يريد الشهوة امراً من الامور ، وتركز كل نشاطها وقواها في هذا الامر ، ولنفرض انها تلحف في طلبها هذا وتصر عليه ، وتصر ايضاً على ان لا تنسأ ، وتظل تذكر الشخصية في كل حين ان لها قبلها مطلباً لم يتحقق بعد ، وانها لن تستريح او تريح الا اذا اجابتها الشخصية الى مطلبها وقضت لها حاجتها ، ثم لنفرض ان الشخصية ترى ان تحقيق هذا المطلب عسير او مستحيل ، ترى ان الحالة الاجتماعية او القوانين الوضعية لا تسمح بهذا ، ويجب ان نذكر القارئ عند هذه النقطة ان

الشخصية او (Ego) هي التي تصل فيما بين العالم الداخلي والعالم الخارجي ، او هي الصلة بين النفس الداخلية وبين الدنيا حوالها ، فهي بطبيعتها وظيفتها اقدر من جميع قوى النفس على تفهم ما يستطيعه الانسان وما لا يستطيعه ، ما يمكن تحقيقه في الواقع وما لا يمكن تحقيقه ، ذلك لان احدي الناحيتين الاخرين عمياء والاخرى خيالية ، وأما هذه فواقعية محضة (Realistic)

فرضنا ان هذا ما قد وقع بين الشهوة والعقل (آسف جداً للاخلط في اسماء هذه النواحي لاني لا اعرف لها اوضاعاً صحيحة في اللغة العربية) . فرضنا ان هذه تطلب امراً وذاك يعجز عن تحقيقه ، وفرضنا ان هذه تظل متمسكة بمطلبها وذاك متردياً في عجزه ، وبعد هذا ماذا يكون ؟ وماذا يحدث ؟ هل تحدث ازمة نفسية تؤدي الى المرض

اما ان ازمة نفسية تحدث فنعم ، واما ان هذه الازمة تؤدي الى المرض فلا ، ذلك لان الازمات تحدث كل يوم وكل ساعة ، فلست اظن ان انساناً عاش من غير تلك الازمات في لحظة من اللحظات ويستطيع كل انسان ان يذكر منها الشيء الكثير من طفولته الى وقته الحاضر ، وما على من ينكر هذه الحقيقة الا ان يراقب اطفاله بضع دقائق ، وانا واثق انه سوف تمر عليه بعض ازمات نفسية عند هؤلاء الاطفال ، وان هذه الازمات ستمضي الى حال سبيلها من غير ان تترك أثراً في نفسياتهم ، او يستطيع ان يراقب نفسه في يوم بذاته ليرى كيف ان نفسه تتوق في كثير من الاحيان الى اشياء بذاتها وانها تشعر ان سعادتها لا تتحقق الا بتحقيق هذه الرغبات ، ثم ان نفسه تطلب الى قواه الواعية ان تعمل على تحقيق هذه الرغبات ، والايام تمر والرغبات لا تتحقق ، والنفس غير راضية ، والعقل منهمك في شؤونهِ العادية من غير التفات الى هذه المطالب ، ومع كل هذا فلا يقع الانسان فريسة لأمراض عصبية او غير عصبية

كم من الامور كنت اريدها ؟ وكم من الامور كنت اظن اني لا استطيع العيش من دونها ؟ وكم من الرغبات عندي الآن ؟ وكم يشقى عقلي وبديني في العمل على تحقيقها ؟ ومع هذا كله فلا زلت سليماً معافاً ولا زلت اقوم بعملي واؤدي واجبي والنشط في كل ما تنشط فيه يبعثني التي اعيش فيها ، واطنني خالياً من العوارض الفرويدية بقدر ما اظن ان معظم اصدقائي خالين منها

لست متجنباً على فرويد ، ولست ظالماً له ، لانه هو نفسه شعر فيما يظهر بأن المشكلة التي اضطلع بحلها لم تحل بعد ، كما اشعر انا الآن ، والفرق بيننا اني تشككت في صحة ما ذهب اليه بعض الشيء ، أما هو فقد لجأ الى حيلته القديمة — تلك الحيلة التي كان يلجأ اليها علماء الطبيعة في القرن التاسع عشر في مسألة الاثير ، لقد فرضوه فرضاً ، ثم فرضوا له الخصائص التي كان يجب ان تكون له فيما لو كان موجوداً حقاً ، وكانوا كلما اعوزتهم الحيل فرضوا له خاصية اخرى مناقضة تمام المناقضة لسابقتها الى أن اصبح وجوده مستحيلاً في الواقع

هكذا يفعل فرويد ، وجد ان تقسيم النفس الى هذه الاقسام لا يكفي في ذاته لتفسير الظواهر

النفسية التي يطلق عليها الامراض العصبية ، فلجأ الى فرض شيء آخر في النفس حتى يزداد التعقيد فيها فيستطيع هو أن يصف الداء ، وجد أن العقل يستطيع ان يغفل الشهوة ويدعها وشأنها ، ثم يسير في شؤونه كأن الشهوة لم توجد اصلاً ، وكأنها لم تطلب شيئاً ، وماذا عليه منها ومن مطالبتها من الصواب أن يغفلها كل الاغفال

ولكن لا ، فرويد يريد أن يحل الاشكال في وجود الامراض العصبية وفي معالجتها بالتحليل النفساني ، فاذا كانت جميع نظرياته السالفة لا تكفي لهذا الغرض فما عليه الا أن يعمن في فرض النظريات السيكولوجية واحدة تلو الاخرى الى أن يستقيم له وصف الداء والدواء ، لهذا فرض للنفس رقيباً Censor يحتجب في زاوية من زواياها يستطيع أن يستدعيه فرويد فينشط ويحيي نشاطه مصداقاً لنظريات فرويد

هذا الرقيب موجود اذن في نفس الانسان ، ولكي تتم النظرية وتستقيم يجب أن لا ينشط الأبناء على اشارة النفس العليا Super Ego تأمره فيفعل ، وتوحى اليه فيتحرك ، ويجب أن يكون نشاطه موجهاً الى الشخصية ، يأمرها أن تنسى ما تطلبه الشهوة ويجب أن يكبت الشهوة نفسها كبتاً ويضغطها ضغطاً حتى لا تعود تظهر في النور ، وحتى لا تبرح الخفاء ، يجب على هذا الرقيب أن يكتم أنفاس الشهوة ويحرم عليها الظهور في وضوح النهار بحال من الاحوال

فصارت النفس عند ما تريد شيئاً تحشى الرقيب وترتعد فرائصها منه فتبقيه مكتوماً في خباياها الداخلية مندسباً في ثناياها ، ويصير العقل الواعي عاجزاً عن أن يحس لها وجوداً على الاطلاق ، وهناك في مداخل النفس الداخلية تعمل الشهوة فعلها وتربك النفس وتقض منها المضاجع وتقلبها على الشوك والقتاد من غير أن تحس الواعية بأن هنالك شيئاً على الاطلاق ، وبأن نفسه الداخلية غير مستريحة الى شيء ، كل هذا يحدث والواعية منهمكة في شؤونها اليومية العادية من الاتصال بالناس وبالايشاء ومن توفير وسائل الطعام والشراب والامور المادية الصرف

وبينما الانسان يسعى لشؤونه المعاشية وبينما عقله منهمك في ترتيب الدنيا التي تحيط بالانسان ، وبينما هو مأخوذ باتقاء الحر والبرد والظواهر الطبيعية والاهتمام بمطالب الجسد المادية ، بينما يحصل كل هذا يكون الرقيب مهموماً بالشهوة يتكفل بكتمها وكبتها ، والانسان بخير مادام هذا هو الحاصل ومادام الرقيب يقظاً ساهراً قائماً بوظيفته خير قيام

ولكن الرقيب ينام ، او يغفل او يغفو ، ولكن الامور تخرج عن طوق الرقيب في بعض الاحيان ، وهنا الطامة الكبرى والداية العظمى ، لان الواعية لا تشعر الا وهي محوطة بظواهر نفسية غريبة لم تألفها ولم يكن لها بها عهد ، يرى العقل الواعي نفسه امام احساسات ومشاعر غريبة عنه ليست منه وليس هو منها ، او كأنه يرى نفسه يدير شخصية اخرى غير تلك الشخصية التي كان يديرها ويرعاها ويسهر على رضاها وشؤونها

بحار العقل الواعي في هذا ويشكل عليه الامر فلا يعود مستطيعاً ان يميز هذه الشخصية من غيرها ، يعجز عن ان يعرف هل هذا هو الانسان بعينه الذي كان يخدمه فيما سلف ، ام هو انسان غيره ، هل هذه الميول والاتجاهات الفكرية كانت له من قبل ، ام هي شيء جديد طارىء ، واذا كانت شيئاً جديداً طارئاً فما اصلها وما سببها ؟ ما الدافع لها ؟ وما الغرض منها ؟ ليس هذا فقط ولكنه ايضاً يحار في طرق حلها وتسوية تلك المشكلة الجديدة التي هبطت عليه من الجحيم ترتبك الواعية وتفقد توازنها من هذه الضربة التي انقضت عليها على غرة ، تختلط قيم الاشياء عندها ، وتنقلب معاييرها رأساً على عقب فلا تعود مستطيعه ان تضع الاشياء في مواضعها ، وان تحفظ للانسان مكانته في هذا النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه . ولما كانت الواعية هي القوة النفسية التي نيظت بها الصلة بين الانسان وما يحيط به ، ولما كانت هي دون غيرها التي تتعامل مع الدنيا الخارجية ، فأول ما يختلط عليها هو تلك العلاقات بين الانسان والدنيا الخارجية ، تفسد هذه العلاقات فيبدأ الناس يشعرون بالتحول في هذا الانسان ، وان عقله مدخول ، مغاير لعقول الناس ، وان نظرتهم للاشياء معيبة غير سليمة ، ولو ملكت الناس امورها لآخذوه من يده ووضعوه في مستشفى المجازيب وحصل القول في هذا ان اغفال الرقيب عن تأدية وظيفته كان سبباً في ظهور الخبايا التي كانت النفس العليا Super Ego تصر على ان تكبتها وتداريها من الواعية حتى لا ترتبك هذه فيما لا طائل تحتها وتعجزها عن مقابلة الدنيا الخارجية وجهاً لوجه من غير ان تميد الارض من تحتها ، كانت النفس العليا تود اخفاء هذه المشاعر اولاً لأنها لا تتفق والمثل الاعلى الذي تطلبه هذه النفس وتود اخفاءها ثانياً لان الواعية تعجز عن تحقيق تلك الرغبات لان الحالة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد تحول دون ذلك ولا يخفى أن وجود الرقيب وعمله هما في الواقع اصل الداء والسبب المباشر في الامراض العصبية التي تنتاب الانسان ، لأنه أولاً يكبت الشهوات والرغبات غير الاجتماعية في الانسان ، أو يكبت منها ما لا يستطيع النظام الاجتماعي ان يسيغه ، ولأنه ثانياً يلقي ستاراً كثيفاً على عيني الواعية حتى لا تعود ترى ما يحيط بها في داخلية النفس ، فكان وظيفته بعبارة اخرى هي أن يضلل بالواعية ويتغفلها حتى تصبح عاجزة عن مواجهة حقائق النفس ، ومعالجتها بالحكمة والقصد حتى تمر هذه الازمات بسلام من دون ان تثير ما تثيره من المشاكل والصعوبات النفسية

ولسنا متجنين على الفرويدية في هذا الزعم لأنها في الواقع لا تسير في علاجها للمشاكل النفسية الاً عليه ، فهي تزعم أن العلاج لا يكون الاً باعانة الواعية على فهم الدوافع النفسية لهذه الخوارج والمشاعر ، ووظيفة الطبيب في التحليل النفسي اعادة التوازن للقوى الواعية حتى تستطيع أن ترى لنفسها اصل الداء ، وظيفته ان يدل العقل الواعي على وجود هذه الرغبات المكبوتة ، ويفهمه انها مشروعة من وجهة النفس البشرية ولا غبار عليها بغض النظر عن العرف والتقاليد الاجتماعية . يعين الطبيب الواعية على ان تواجه هذه الحقائق مواجهة وتفهمها على علاقتها ونجيب منها ما تستطيع

اجابته ، وتتعترف بشرعية ما تعجز عن تحقيقه منها ، وتعترف ايضاً بوجود الازمة ، ثم تسير في شؤونها اليومية وهي شاعرة بأن هنالك في زوايا النفس مطلباً لم يتحقق بعد ، واغلب الظن انه لن يتحقق . ولكنه موجود على كل حال ، ويجدر بالواعية ان تعترف فيما بينها وبين نفسها بوجوده ، ثم تنشط في شؤونها العادية . لقد نصح فرويد - من وجهة نظره فقط - في التعليل عن السبب في وجود العقدة النفسية ولكن لنا سؤالاً واحداً يريد ان نسأله ثم نترك الموضوع عند هذه النقطة وهو هذا : ماهي هذه الرغبة او الشهوة التي تستطيع ان تقيم الدنيا وتقعدها ؟ ماهي هذه الامنية التي ان لم تتحقق لا يمكن ان يبقى في النفس ركن قائم او حجر على حجر ؟ لماذا كل هذه المبالغة والتهويل في مطالب النفس ؟ اما من جهة المبالغة والتهويل فهما ضروريان جداً في نظام فرويد والا لن تستقيم نظريته ولن يستطيع ان يدل على اصل الداء ، اما هذه الشهوة التي تقوم لها النفس وتقدم والتي تستطيع ان تدك كل القوى النفسية دكاً فيقول فرويد انها الغريزة الجنسية الحق انك تستطيع ان تفسر كل الظواهر الاجتماعية والنفسية من الدين الى الادب الى السياسة الى الجنون الى العقل بالغريزة الجنسية ، ولن يقول فرويد الا انك اصبحت الاصابة كلها

زهد الخلفاء الراشدين

لست تقرأ في كتب الادب اجمل مما قيل عن زهد الخلفاء الراشدين : « روي عن ابي بكر الصديق انه لما حضرته الوفاة قال لعائشة « انا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ولكننا قد أكلنا من جريش طعاهم . ولبسنا من خشن ثيابهم وليس عندنا من فيء المسلمين الا هذا العبد وهذا البعير وهذه القطيفة . فاذا مت فابعثي بالجميع الى عمر . فلما مات بعثته الى عمر . فلما رآه بكى حتى سالت دموعه الى الارض وجعل يقول رحم الله ابا بكر لقد أعب من بعده ويكرر ذلك وأمر برفعه . فقال عبد الرحمن بن عوف سبحان الله تسلب عيال ابي بكر عبداً وناضحاً وسحق قطيفة ثمنها خمسة دراهم فأمرت بردها عليهم فقال لا والذي بعث محمد صلى الله عليه وسلم لا يكون هذا في ولايتي ولا يخرج ابو بكر منه وأتقلده انا »

وقيل ان زوجته اشتمت حلواً فقال ليس انا ما نشترى به فقالت انا أستفضل من نفقتنا في عدة ايام ما نشترى به . قال افعلني ففعلت ذلك . فاجتمع لها في ايام كثيرة شيء يسير . فلما عرفت ذلك ليشترى به حلواً اخذه فردته الى بيت المال وقال هذا بفضل عن قوتنا وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم وغرمته لبيت المال من ملك كان له . وكان يحلب للحج أغنامهم . فلما بويع بالخلافة قالت جارية منهم الآن لا يحلب لنا منائح دارنا . فسمعها فقال بلى لعمرى لا حلبنها لكم واني لأرجو ان لا يغير بي ما دخلت فيه . فكان يحلب لهم . ثم تحول الى المدينة بعد ستة اشهر من خلافته

العناصر المشعة وتركيب الذرة

لمحمد عاطف البرقوقي

مدرس الطبيعة في المدرسة السعيدية الثانوية

✽ مندليف والجدول الدوري ✽ قبل ان نحاول معرفة تركيب الذرة من الوجهة الحديثة يجب ان نلم بعض الامام بالعناصر المختلفة او بالذرات المختلفة في الكيمياء . ولعلني لا اكون مبالغاً اذا قلت ان اساس اكتشاف العناصر الجديدة بل ومعرفة تركيب الذرة ذاك التركيب الحديث انما يرجع جُلُّ فضلُه الى العالم الروسي « مندليف »

ولد مندليف في فبراير سنة ١٨٣٤ وأصبح له شأن يذكر في علم الكيمياء حتى اختير استاذاً لعلم الكيمياء في احدى جامعات روسيا . وأهم عمل ينسب اليه هو اكتشافه « للجدول الدوري » عام ١٨٧٠ وقد صار لهذا الجدول اثر كبير في تحديد عدد العناصر التي يجب ان تكتشف . بل ومعرفة صفات هذه العناصر قبل كشفها . ولشد ما كانت دهشة العالم اذ رأى ان العناصر الجديدة التي اكتشفت بعد الجدول الدوري كانت تثبت التجارب ان صفاتها تتفق مع ما عرف عنها قبل كشفها وكذلك لهذا الجدول فضل كبير في الابحاث الحديثة التي يجريها كثير من العلماء لمعرفة تركيب الذرة . والجدول الدوري هو نتيجة لمحاولات عدة وتركيبات مختلفة وحقائق جمعت عن جميع العناصر التي كانت معروفة في عهد مندليف - التي بلغت ٦٣ عنصراً في زمنه وأصبحت الآن ٩٢ عنصراً . وفي هذا الجدول نجد ان العنصر لا يشابه العنصر الذي يليه اذا رتبنا العناصر بحسب اوزانها الذرية بل ان العنصر يشابه عناصر اخرى تقع في ترتيب دوري فالصوديوم لا يشابه المغنسيوم كيميائياً بل يشابه البوتاسيوم ولذلك نجد الصوديوم والبوتاسيوم والروبيديوم والكييزيوم كلها تقع في عمود رأسي واحد ولذا فهي تتشابه كيميائياً وتسمى Alkalis اي القلويات . وكذلك الهيليوم والنيون والارجون تقع في عمود رأسي آخر وهذه العناصر تتشابه كيميائياً وتسمى Inert gases اي الغازات غير الفعالة . ولاهمية هذا الجدول وترتيب العناصر بهذه الكيفية وجد ان تطلق كلمة العدد الذري Atomic Number على ذلك العدد الذي يدل على مكان العنصر في الجدول . والعدد الذري لللايدروجين واحد وللهليوم ٢ وللثيوم ٣ وللكربون ٦ وللأكسجين ٨ ولليورانيوم ٩٢ وسنعرف فيما بعد العلاقة المتينة بين العدد الذري وعدد الالكترونات في الذرة

✽ تركيب الذرة ✽ يرجع الفضل في معرفة تركيب الذرة الى كثير من الابحاث الحديثة

والتجارب الدقيقة في اشعة اكس فهذه الاشعة بجانب فضلها على الطب لها فضل كبير في اهدائها الى معرفة تركيب النواة . وكذلك دراسة (Radio - activity) او دراسة العناصر التي تخرج اشعة ، لها فضل كبير في ذلك الموضوع . ويشغل بهذه الابحاث علماء قديرون مثل العالم الانجليزي رذرفورد Rutherford واعوانه في كمبرج والعالم الدانماركي Bohr وملكن وكمن وطمس الصغير وشرويدنغر وغيرهم

والنواة هي الجزء الذي لا يتجزأ من العنصر او هي تشبه حرف الهجاء في لغة من اللغات وكما ان هناك ٢٨ حرفاً في اللغة العربية فكذلك يوجد حول ٩٢ عنصراً وكما تنتج الكلمات من اتحاد الحروف كذلك تنتج الجزيئات من اتحاد الذرات . فمثلاً ذرتان من الايدروجين وذرة واحدة من الاكسجين تتحد كيميائياً فتكوّن جزيء الماء . وقد كان يظن ان النواة هي آخر ما يمكن ان فصل اليه من التجزئة ، ولكن لعلماء الطبيعة — لا لعلماء الكيمياء — الفضل كل الفضل في تكسير النواة ومعرفة ان النواة ليست وحدة بل ان كل ذرة مركبة من الكترون او عدد من الالكترونات تدور^(١) حول نواة بها بروتون Proton او عدد من البروتونات والالكترونات اي ان النواة تتركب من وحدتين الالكترون والبروتون . فاذا رجعنا الى مثل الحروف الهجائية وجدنا ان تلك الحروف ليست هي الوحدات التي لا تتجزأ والتي تتكوّن منها اللغة بل ان تلك الحروف يمكن ان تتكوّن جميعاً من نقطة وشرطة — واظنني وفقت في هذا التشبيه — لان العلاقة بين الالكترون والبروتون من جهة الوزن كالعلاقة بين النقطة والشرطة . فكما ان النقطة صغيرة جداً بالقياس الى الشرطة فكذلك الالكترون يمكن اهمالها بجانب كتلة البروتون او بمعنى آخر نرجع كتلة النواة الى مجموع كتل البروتونات التي فيها . ومن جهة اخرى الالكترون به شحنة كهربائية سالبة تعتبر اصغر شحنة يمكن ان توجد على حداثها والبروتون به شحنة كهربائية مساوية لشحنة الالكترون الا انها مضادة لها اي ان شحنة البروتون موجبة ولما كنا نعلم ان هناك قوة تجاذب بين الشحنات المتضادة فلو ان الالكترون بقي ساكناً بالقرب من البروتون لانبجذب الاول الى الثاني. الا ان هذا لا يحصل في النواة لان هناك قوة اخرى طاردة تضاد قوة التجاذب وهذه القوة الطاردة هي القوة الناشئة من دوران الالكترون في مدار دائري — او حول قطع ناقص — كما تدور الارض حول الشمس . فلو لا دوران الارض حول الشمس لهبطت الارض منجذبة نحو الشمس . ولذلك يسمى هذا النظام في تركيب النواة النظام الشمسي للنواة . فمثلاً ذرة الايدروجين وهو اخف العناصر تتركب من بروتون واحد وحوله يدور الكترون واحد في مدار دائري . وذرة الهيليوم — ووزنه الذري اربعة — تتركب من اربعة بروتونات والكترونين في النواة وحول النواة الكترونان آخران . او باعتبار الشحنة النهائية (Net Charge) فان ذرة الهيليوم تتركب من شحنتين

(١) الكلام منصب في هذا المقال على ذرة رذرفورد وبور المشبهة بالنظام الشمسي

موجبتين في النواة وحولهما شحنتان سالبتان . والالكترونات التي في نواة اي عنصر تزيد في تماسك الشحنت الموجبة

وكما زاد وزن العنصر زاد معه عدد البروتونات في النواة وعدد الالكترونات المتحركة في المدارات . ومن غرائب الصدف ان العدد الذري — لا الوزن الذري — وهو العدد الدال على ترتيب العنصر في الجدول الدوري يبين عدد الالكترونات المتحركة حول النواة . فلا يدروجين عدده الذري واحد وعدد الالكترونات المتحركة في ذرته واحد . والهيليوم عدده الذري اثنان والالكترونات المتحركة في ذرته اثنان . والليثيوم عدده الذري ثلاثة وعدد الالكترونات ثلاثة حتى نصل الى أثقل العناصر وهو اليورانيوم وترتيبه في الجدول الدوري ٩٢ فنجد عدد الالكترونات المتحركة حول نواته ٩٢ وكذلك ترى ان للعدد الذري شأنًا كبيراً في تركيب الذرة

ومن دراسة الطيف لكل عنصر وجد انه من الضروري افتراض ان للالكترونات المتحركة عدة افلاك متغيرة لا فلك واحد كما للارض . فالالكترون المتحرك يصح ان يدور في فلك قريب من النواة او في فلك بعيد عنها . وليس ضرورياً ان تتحرك جميع الالكترونات في فلك واحد في الوقت الواحد بل هناك في الذرة الواحدة عدة افلاك وفي كل فلك يدور عدد من الالكترونات . ومن الغريب انه قد لوحظ ان الصفات الكيميائية للذرة لها علاقة وثيقة بعدد الالكترونات في الفلك الخارجي فاذا كان الفلك الخارجي في اي ذرة كامل العدد كان عنصر هذه الذرة لا يميل للاتحاد الكيميائي مع اي عنصر آخر . وهذا ما يحدث في جميع الغازات غير الفعالة (Inert gases) مثل النيون والارجون وغيرها . اما الذرات التي فيها المدارات الخارجية ناقصة فتميل الى ان تكملها . فمثلاً ذرة البوتاسيوم تميل الى ان تتحد بذرة الكلور . وقد فسّر ذلك بان الالكترون من البوتاسيوم يمر الى المدار الخارجي في ذرة الكلور فيتمتع وهذا سبب اللفة الكيميائية بين العنصرين . وبالاختصار فان جميع العناصر المتشابهة كيميائياً لها عدد واحد من الالكترونات في المدار الخارجي ومن ذلك ترى ان الذرة تبنى من الالكترون والبروتون^(١) بنظام خاص بحيث يكون هناك نواة بها عدد من الالكترونات والبروتونات وحول النواة افلاك تدور فيها الالكترونات . فاذا كان الامر كذلك فلماذا لا يمكن تكسير الذرة الى وحدتيها الاساسيتين — الالكترون والبروتون ؟ هذا ما فكر فيه العالم الانجليزي رذرفورد — تسنّت لي مقابله في حفلة افتتاح احدث بناء لدراسة الطبيعة في جامعة برنستل عام ١٩٢٧ — وقد افلح رذرفورد هذا في تكسير ذرة النتروجين وعدده الذري ١٧ الى دقائق كل دقيقة عبارة عن نواة الايدروجين . وكسر كذلك غيره من الذرات . وقد لاحظ رذرفورد أن العناصر التي يمكن تكسير ذراتها هي العناصر التي عددها الذري هو عدد فردي كالعدد ١٧ و ١٩

(١) المباحث الحديثة تثبت دخول البوزيترون والنيوترون في بناء نوى بعض الذرات ولهذا بحث آخر

وان العنصر الذي عدده الذري زوجي لا يمكن تكسيه بل لاحظ أيضاً وجود نواة الهليوم تخرج او تقذف من بعض العناصر مما يدل على ان نواة الهليوم متماسكة جداً ولا يمكن تفكيها
وهنا يجدر بي ان اقدم للقارئ بحثاً من الابحاث التي افادت كثيراً في تنوير الازهان في موضوعنا هذا — تركيب الذرة — واهم هذه الابحاث هو بحث العناصر المشعة

✽ العناصر المشعة ✽ اكتشف هذه الظاهرة العالم الفرنسي بكرل Antoine Henri Becquerel عام ١٨٩٦ بعد ان اكتشفت اشعة اكس X-Rays عام ١٨٩٥ وقامت بقسط وافر في اتمام البحث مدام كوري . وهذه الظاهرة خاصة ببعض العناصر ذات الوزن الذري الكبير مثل اليورانيوم والثوريوم والراديوم . وهذه العناصر لها القدرة على الاشعاع او اخراج مقذوفات والاشعة التي تخرج منها لها صفات كثيرة منها انها تؤثر في اللوحة الفوتوغرافية وهذه الصفة هي السبب في اكتشافها اولاً . ذلك ان بكرل كان قد وضع في درج مظلم لوحة فوتوغرافية وقطعة يورانيوم فوجد ان اللوحة صورت قطعة اليورانيوم رغم الظلام ولذلك لم يجد هذا العالم بدءاً من تحليل هذه الظاهرة بان اليورانيوم يصدر اشعة لها هذا الاثر في اللوحات الفوتوغرافية . اما مدام كوري فقد وجدت ان حجارة البتسبلند الذي يستخرج منه اليورانيوم اقوى في الاشعاع من اليورانيوم نفسه وعزت ذلك الى وجود عنصر آخر اقوى في الاشعاع من اليورانيوم وبذلك اكتشفت العنصر المسمى الراديوم وهو ذلك العنصر الثمين الذي يستعمل في الطب الحديث . والراديوم اقوى في الاشعاع من اليورانيوم مليون مرة وجرام الراديوم يقدر ثمنه بعشرات الالوف من الجنيهات ولذلك نحد الحكومات تساعد المستشفيات الكبيرة في شراء جرام الراديوم او جزء منه لما له من الفائدة الكبيرة في الطب . واذكر ان الامة الاميركية اهدت الى مدام كوري جراماً واحداً من الراديوم بواسطة الرئيس هاردينج تقديراً لخدماتها في هذا المضمار عند زيارتها لاميركا سنة ١٩٢١

والاشعة التي تخرج من العناصر المشعة مثل الراديوم واليورانيوم وغيرها على ثلاثة انواع سميت بالحروف الاولى من الحروف الهجائية اليونانية فسميت اشعة الفا ، وبيتا ، وجاما ويمكننا في الواقع ان نسميها او نصطلح على تسميتها باشعة الف واشعة باء واشعة جيم على الترتيب . واشعة الف واشعة باء فند أمكن البرهنة على أنها دقائق لها كتلة وشحنة إلا أن اشعة باء هي في الواقع الالكترونات تخرج من الجسم بسرعة تقرب من سرعة الضوء وعلى ذلك تكون كتلتها مثل كتلة الالكترون اي صغيرة جداً وهي تساوي $\frac{1}{1836}$ من كتلة ذرة الايدروجين . اما اشعة الف فشحنها موجبة وكتلتها اكبر كثيراً من كتلة اشعة باء بل ان كتلتها تساوي ٧٤٠٠ مرة كتلة الالكترون أو تبلغ اربعة امثال كتلة الايدروجين . اما اشعة جيم فليس لها كتلة ولا يصحبها شحنة بل هي في الواقع مثل اشعة اكس أي انها موجات مستعرضة إلا أن طول موجتها اقصر من طول موجة اشعة اكس

والآن فلنتكلم عن اشعة الف واشعة باء اللتين أفادتتا في فهم تركيب الذرة . وقد برهن رذرفورد على أن الدقيقة من اشعة الف هي نواة ذرة الهليوم وقد اثبت ذلك بتجارب كثيرة . وهذه النواة كما ذكرنا من قبل كتلتها اربعة امثال كتلة ذرة الايدروجين وبها اربعة بروتونات والكترونان اي ان عليها وحدتين من الشحنات الموجبة وقد وجد انها تخرج من العنصر بسرعة تقرب من $\frac{1}{10}$ سرعة الضوء واذا ما خرجت من الذرة فان الذرة يقل وزنها طبعاً وبذلك تصبح ذرة عنصر جديد وله مكان جديد في الجدول الدوري . وقد وجد أن هذا المكان يبعد عن المكان الاصيلي خانتين في الاتجاه المتناقص . اي ان الذرة اذا فقدت شحنتين موجبتين — ولا يكون هذا الا من النواة — فان العنصر يتحول الى يتخذ مكان عنصر آخر اي يتحول اليه

اما اذا فقدت النواة دقيقة من اشعة باء فان عدد الشحنات السالبة في النواة ينقص . ومعنى هذا ان الشحنات الموجبة في النواة يزيد اثرها بمقدار الوحدة فتغير الصفات الكيميائية للعنصر مع عدم تغير كتلة الذرة ويحتل العنصر مكاناً جديداً في الجدول الدوري . ولكن في هذه المرة في الاتجاه المتزايد . اي ان الذرة اذا فقدت دقيقة من اشعة الف فان الذرة تنقص خانتين في الجدول الدوري . واذا فقدت دقيقتين من اشعة باء فان الذرة تزيد الخانتين ثانية اي ترجع الى مكانها الاصيلي في الجدول الدوري وبهذا يصبح عندنا في الجدول الدوري عنصران يحتلان مكاناً واحداً في الجدول الدوري وهذان العنصران يختلفان في الوزن ويتفقان في الصفات الكيميائية . ومثل هذين العنصرين يسميان نظائر Isotopes وهذا الموضوع — وهو موضوع دراسة النظائر — قد اهتم به العالم الانكليزي استون Aston وبرهن على ان جميع العناصر لابد ان يكون وزنها الذري عدداً صحيحاً فان لم يكن كذلك فلا بد ان يتكوّن من مزيج من نظائر اي ان الكيميائيين لا يستطيعون فصل هذه النظائر كيميائياً ولكن يمكن فصلها طبيعياً . فمثلاً إذا كان الوزن الذري للكور — وهو الغاز السام — ٣٥٥٥ فقد برهن استون على انه يتركب من نظيرين وزنهما الذري ٣٥ و ٣٧ بنسبة خاصة على الترتيب . وكذلك برهن على ان النيكل Nickel ووزنه الذري ٥٨٦٧ يتركب من نظيرين وزنهما الذري ٥٨ و ٦٠ على الترتيب . وقد يتساءل البعض وكيف يمكننا فصل هذه النظائر بعضها عن بعض . والجواب انه يمكن فصلها بطريقة القوة الطاردة Centrifugal Force كما تفصل القشدة عن اللبن او كما تفصل الحجارة الكبيرة عن الاخرى الصغيرة بتحريكها حركة رحوية

وقد حاول قدماء الكيميائيين تحويل مادة الى اخرى فلم يفلحوا ولكن قد افلح علماء الطبيعة الحديثون بفضل مباحثهم في العناصر المشعة وتركيب الذرة . ولكن بدلاً من ان يحوّلوا العناصر البخسة الى الذهب — وهو بغية قدماء الكيميائيين — اقول بدلاً من ذلك اكتشفوا انه يمكن أن يتحول الراديوم وهو أغلى بكثير من الذهب الى نوع من الرصاص . ولكن اذا هم اخفقوا في الحصول على الذهب من العناصر البخسة فقد فازوا بتوسيع نطاق المعرفة وهو اهم

اسبانيا ومشكلاتها

بين الملكية والجمهورية

كأنَّ اسبانيا بعد انشاء امبراطوريتها الاستعمارية في القرن الخامس عشر وما يليه ، أقامت بمعزل عن اوربا . فالمُثل الديمقراطية التي ذاعت في اوربا بعد الثورة الفرنسية ظَلَّت لا تلتقي الاَّ صدًى ضعيفاً في اسبانيا . وظلَّ ملوكها مستبدّين بامرهم حتى سنة ١٨٧٦ ، اذ سلّموا بوضع دستورٍ والاصغاء الى مشورة مجلس نيابي . ومع ذلك ظَلَّت اسبانيا بعد الدستور بلاداً رجعية يسيطر عليها اصحاب المصالح من رجال الكنيسة ورجال الجيش . ولكنها اليوم جمهورية تميل الى الاشتراكية بعد ثورة غير دامية ثلّت عرش آل بوربون . ونحن لا نستطيع ان نفهم الانقلاب الاسباني الذي وقع سنة ١٩٣١ على حقيقته ، الاَّ اذا طوينا السنين الى مطلع القرن الحالي . ففي سنة ١٩٠٢ لبس الفونسو الثالث عشر — وكان قد وُلد ملكاً اي ولد بعد وفاة ابيه — التاج والارجوان وتقلّد الصولجان واقسم بالقسم التالي : «اقسم بالله العظيم والانجيل المقدسة بان ارعى الدستور والقوانين . فاذا فعلت ذلك فليجزني الله والاَّ فليدعني الى الحساب »

وكانت مهمة الملك الشاب مهمة صعبة . فحركة العمال في اسبانيا لم تكن قد نظّمت بعد ، ولكن الفقر كان ضارباً اطناباً بين جماهيرهم ولاسيما في ولاية الاندلس ، حيث اتجه العمال في اطيان الملاك الكبار الى الشيوعية ، وفي مدريد حيث شرع عمال الصناعات ينظمون صفوفهم وفقاً لآراء سورل الاشتراكي الفرنسي ، وفي برشلونة حيث فزع القطلونيون من استبداد القشتاليين الى الفوضوية . اما الفونسو فلم يواجه المشكلات مواجهة الرجل . وكان يميل بطبعه ونشأته وتربيته الى تأييد الكنيسة والجيش وكبار الملاك واصحاب المصانع . اما القطلونيون فكان يكرههم فاضاف الحق الى الكرم ، لما رمى احد فوضويهم قبلة على مركبة عرسه ، ثم لما قتلوا كانالياس اعلى وزرائه مقاماً في نفسه فلما نشبت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ رغب زعماء الحياة الفكرية في اسبانيا في الانضمام الى الحلفاء وكان في مقدمة هؤلاء الفيلسوفان اونا مونو Unamono واورتيجا ايكاست Ortega y Casset حتى انهم اوفدوا وفداً (وكان من اعضائه السنيور ازاناريس الوزير الاسبانية في عهد الجمهورية) الى باريس . ولكنَّ الملك الفونسو ومؤيديه من الاحزاب المحافظة قضوا ببقاء اسبانيا على الحياد . فلما وضعت الحرب اوزارها رأت اسبانيا ان ثروتها قد زادت ، ولكن حكومتها ظلت في معزل عن رغبات الشعب ، تعوزها الكفاءة في تدبير شؤون البلاد . وكان الفونسو ادرى الناس

بمواطن الضعف في حكومته ، فظن ان خير علاج انما هو تدخُّلهُ الشخصي . فكانت محاولته الاولى خائبة . ذلك أنه بعث ، من دون معرفة الحكومة او قيادة الجيش ، بقائد يدعى سلفستر لتنظيم هجوم على الريف في مراكش ، فهزم شر هزيمة . وليس ثمة ريب في ان تبعة هذه الهزيمة واقعة على كتفي الملك . فاعتاظ الملك لهذه الهزيمة ، ودبر انقلاباً يحرره من قيود الدستور . وكانت الوزارة قد طلبت استرجاع الجنرال بريمو ده ريشيرا من قيادة الجيش في قطالونيا ، فرفض الملك ان يوقع الامر ، وأجبر وزير الحربية — الكالا زامورا وهو رئيس الجمهورية الآن — على الاستقالة . ثم سمح للجنرال ده ريشيرا ان يحمل وزير الخارجية على مغادرة اسبانيا ، ورفض ان يسمح للكورس (المجلس النيابي) بالاجتماع

من بريمو ده ريشيرا الى الثورة

كان ذلك في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٣ ، فكان هذا العمل ايذاناً بأن الدستور الاسباني قد اصبح حرفاً مماتاً . وظن الفونسو ، ان ذلك اليوم هو بدء حكمه المطلق . ولكنه اخطأ الظن ، لانه كان بدء حكم مطلق يمارسه بريمو ده ريشيرا . وده ريشيرا رجل دكتاتوري الطبع من ولادته . وصفه السنيور مادراياغا فقال : شديد الوطنية ، قوي الخيال ، لا يصبر على البطء والاناة ، سريع الانفعال ، قليل التعلم ، يعتمد على البداة ، ويحاول ان يعالج اعوص المشكلات بأبسط الاساليب كأنه الاسكندر ، يقطع العقدة بالسيف بدلاً من ان يفكها . ثم هو متصف بالجرأة الادبية والشجاعة . كريم الطبع لم يحقد في خلال حكمه المطلق على معارضيهِ . كان اندلسياً واذن كان داهية يحسن تصريف الامور » . وقد لبث ده ريشيرا في منصبة الدكتاتور ، سبع سنوات ، فأصلح من خلل الحكومة وأصاب بعض وجوه من النجاح في ادارة شؤون البلاد . فكانت القطارات تقوم وتصل في مواعيدها . ومنع الاعتداء عليها . وأقبلت التجارة والصناعة في عهده . فانه خفض سعر العملة لكي يشجع تجارة الصادر . وأزهرت الزراعة . وأنشئ بنك زراعي . وخفت سورة العمال بالسماح لهم بإنشاء نقابات على مثال النقابات الإيطالية

ولكن ثمن ذلك كان باهظاً . ذلك ان الدكتاتورية لا تعيش الا اذا كُمت الافواه والاقلام ، وقاموا يرضى شعب بذلك طويلاً . فقد مارس ده ريشيرا رقابة شديدة صارمة على الصحافة . فتوقف عن الصدور عدد من الصحف الاسبانية التي كان يكتبها اعلام المفكرين والاحرار وكانت من امجاد الصحافة الاسبانية . ونفي زعماء الفكر الاسباني كالفيلسوفين اوانومو وجراست ، وقضى على النزعة الحرة في الدين ، كما قضى على النزعة الحرة في السياسة ، وأصبح التعليم احتكاراً للكاثوليك وكان نصف اطفال اسبانيا — بنين وبنات — لا ينالون من التعليم الا مبادئه الاولى ، وسمح للكنائس بوضع كتب الدراسة وفرضها على مدارس الحكومة لاستعمالها

ولذلك ما لبثت الاركان التي تقوم عليها الدكتاتورية حتى تصدعت . فالزعماء في عالم التجارة اخذوا يخشون نتيجة الوسائل الحديثة المبتكرة التي يعمد اليها ده ريفيرا في ميادين المال والاعمال . وكان تخفيض سعر العملة ذا فائدة اولاً ، ولكن التخفيض افلست السيطرة عليه من يد الحكومة وبدأت العملة تتدهور وليس هناك ما يكبحها او من يكبحها . ثم ان عدم التوازن في الميزانيات المتوالية احدث قلقاً في النفوس ، فاستفحلت الريبة في اعمال الدكتاتور وفائدتها . حتى الجيش اخذ يتردد في تأييد الحكم القائم . فكان فيه فريقان فريق يبغي الاصلاح ويرمي اليه ، وفريق يؤيده ويدفع عنه . ومن وراء ذلك كان الفونسو يبحث عن وسائل يتخلص بها من ده ريفيرا نفسه . ذلك ان الدكتاتورية كانت دكتاتورية الجنرال لا دكتاتورية الملك ، ومع ان الدكتاتور كان يتظاهر دائماً باحترامه وولائه للعرش الا ان رغبات العرش كانت لا تلتقي منه العناية الوافية

فلما احس الملك في سنة ١٩٢٩ ان عبء الحكم مدى سبع سنوات قد ناء بكلكله على الدكتاتور الجنرال ، ظن ان الفرصة قد سنحت ، لانشاء دكتاتوريته الخاصة . وكان المعروف حينئذ ان ثورة ذات اغراض جمهورية تتحفز للثوران في حامية الجنوب ، فاقترح ده ريفيرا ان يقيم استفتاء عسكرياً ليعرف ميل الجيش بوجه عام . وكان هذا الاقتراح غريباً في بابه ، فاتخذ الملك منه عذراً ليطلب من الدكتاتور استقالته ، فاستقال من دون اية مقاومة او اعتراض

وكان هم الفونسو حينئذ ان يقنع الامة بأنه كان غير موافق على الدكتاتورية ، ولا يرغب فيها فألف وزارة جديدة أقام على رأسها الجنرال برانجر . وأعلن أن المحافظة على الدستور سوف تكون دقيقة كل الدقيقة في المستقبل . ولكن الامة رفضت ان تصدق ، ان الفونسو ما كان يرغب في الانقلاب الذي احدثه ده ريفيرا . وعلى كل حال رأت الامة ان دكتاتورية ده ريفيرا تفضل دكتاتورية الملك او الجنرال برانجر اذا كان لا بد من التفضيل بين الديكتاتوريتين لانها في ظل الاول كانت اكفأ منها في ظل الثاني . ووعدت الحكومة الجديدة باجراء انتخاب عام في مارس سنة ١٩٣١ لاقامة بناء الدولة على اساس نصف دستوري . ولكن الاحرار والجمهوريين ادركوا ان الانتخابات سوف تكون مهزلة فأعلنوا قرارهم على مقاطعتها . عند ذلك اضطر الملك في فبراير ١٩٣١ ان يعيد الضمانات الدستورية فاقتنع الاحرار بالرجوع عن قرار المقاطعة ولكن زعيمهم كونت رومانوز اعلن أنه سوف يطلب انشاء جمعية تأسيسية لوضع دستور جديد . فلما عرفت نية رومانوز ألغيت الحكومة الانتخابات العتيدة ، ولكنها عجزت عن البقاء في مناصبها فاضطرت ان تستقيل ، فحاول الملك ان ينشئ وزارة تنهض باعباء الحكم الدكتاتوري فلم يجد الا الاميرال انزار

ولكن الميل الى الجمهورية في اسبانيا كان قد بدأ ينتشر ويذيع . وارتفع في مدن كثيرة ، صياح الجماهير « ليسقط الملك الفونسو » . وبدأ اهل قطالونيا ينادون ويطالبون باستقلالهم . فلما سمع للفيلسوف اوانانومو ان يعود من المنفى استقبله الشعب ، وطوائف الشباب بوجه خاص ،

استقبالاً حافلاً ، فكان في هذا الاستقبال ربح من العاصفة التي تتحفر عند الافق للانطلاق ولما انقضت سنة على سقوط ده ريثيرا بدا لمراقبي تطور الحالة في اسبانيا ، ان الملكية مقضي عليها . وكان الفونسو ذكياً ، فتبين هذا التحول قبل غيره . وفي ابريل سنة ١٩٣١ أجريت الانتخابات البلدية فكان الفوز فيها للجمهوريين ساحقاً ، فلم يبق امام الملك الا ان ينسحب . فغادر البلاد وحده من دون ان يتنازل عن العرش . وانشئت حكومة وقتية ثم وضع الدستور لاسبانيا الجمهورية وانتخب زامورا رئيساً

الرسمور الجمهوري والاصلاح الاجتماعي

في نوفمبر سنة ١٩٣١ أقر الدستور في الكورتس باجماع ٣٦٨ عضواً من اعضائه (وامتنع ٩٨ عضواً عن الاقتراع) . وكان منشؤه من اصحاب النزعة الحرة ، الذين تصوروا السبيل الى علاج مشكلات اسبانيا سبيلاً خالياً من التطرف والعنف . بهذا الدستور اصبحت اسبانيا جمهورية ديمقراطية لها مجلس نيابي واحد (في فرنسا مجلسان احدهما للنواب وآخر للشيوخ ، وكذلك في الولايات المتحدة الاميركية) ينتخبه الرجال والنساء على السواء . ومنح الناخبون حق المراقبة على المجلس ، بمنحهم حق طلب الاستفتاء . فاذا وافق ١٥ في المائة من الناخبين على وجوب استفتاء الشعب في مسألة ما وجب استفتاءها فيها

وحل الدستور مشككتي اسبانيا القديمتين . اما الاولى فشكلة المكافحة الممتازة التي تتمتع بها الكنيسة في اسبانيا وقد حلها بمصادرة جميع املاك الكنيسة . ذلك ان الثورة كانت ضد الاكليروس ولكنها لم تكن ضد المذهب الكاثوليكي . فالاسبان ما يزالون كاثوليكاً مستقيمي الرأي ولكن الدستور قضى على سيطرة اليسوعيين على التعليم في اسبانيا ، وعلى تمتع رجال الرهبانات والاديرة المختلفة بالري والشعب والشعب حولهم يتصور جوعاً ويتحرق ظمأ . ومنع رجال الاكليروس بواسطة الدستور من الاشتراك في عمل التعليم

واما المشكلة الثانية فشكلة العمال ، وقد خطا الدستور نحو حلها خطوة اولى ، اذ منح العمال في كل منشأة صناعية او تجارية — اذا زاد عددهم على خمسين — حق تأليف لجان يحق لها ان تطالب بتنفيذ عقود العمل ، وفحص حسابات الشركة ، وحضور اجتماعات المديرين . ولكنهم لم يمنحوا حق الاقتراع في جلسات المديرين ، وهذا ما اعترض عليه الشيوعيون في اسبانيا ، وعلى اساس اعتراضهم هذا لم يعترفوا بالدستور الجمهوري . وفي سبتمبر سنة ١٩٣٢ وافق الكورتس على القانون الزراعي او قانون الفلاحين Agrarian Law . وبمقتضاه منحت الحكومة السلطة ان توزع على الفلاحين افراداً او جماعات ، ما صادرت من املاك الفونسو وارضى اليسوعيين وبعض الملاك والملكيين منهم بوجه خاص ممن اشترك في فتنة الجنرال سان خورخو . بل ومنحت كبار الحكومة كذلك حق مصادرة

الأمالك البور او التي لم تحسن زراعتها على ان تعوض اصحابها قدرأ من المال على اساس اثمان تلك الاراضي كما دونها اصحابها في دفاتر الحكومة لفرض الضرائب عليها . وكان غرض وزير الزراعة ان يكون توزيع الاراضي للجماعات دون الافراد في الغالب تنشيطاً للروح التعاونية

١١ مقاطعة قطلونيا فتعرف في دوائر السياسة باسم «ارلندة» اسبانيا . اي ان موقعها من اسبانيا كوقوف ارلندا من بريطانيا . فالشعب القطلوني يختلف عن القشتاليين سلالة ولغة وتقاليده . ولكنهم مع ذلك يعتمدون في حياتهم الاقتصادية على القشتاليين ، والقشتاليون يعتمدون عليهم . فلهذه الحكومة الاسبانية في القرن التاسع عشر فخطر عليهم استعمال لغتهم واُغتيت محاكمهم وعملتهم . وفي اواخر القرن التاسع عشر ، ظهرت بينهم بوادر نهضة قوية ، انتهت في سنة ١٩٣١ - لما وقعت الثورة الاسبانية - الى اعلان استقلالهم وانشاء جمهورية قطلونية مستقلة . فواجهت الحكومة الجمهورية الوليدة في مدريد ، مشكلة الاعتراف باستقلال قطلونيا من دون ان تنفصل عن الجمهورية الاسبانية . وفي سبتمبر سنة ١٩٣٢ اقر الكورتس مشروع استقلال قطلونيا الذاتي Autonomy فاصبح لها برلمانها الخاص ومجلس تنفيذي - اي وزارة - ورئيس . ولما اقيم الاحتفال الرسمي بهذا الاستقلال شهد السنيور ازانو رئيس الوزارة الاسبانية حينئذ وخطب فيه فقال موجهاً الكلام الى الكولونيل مارسيا رئيس قطلونيا : « حريتمكم والجمهورية متصلتان لا تنقسم عقدهما »

أما في الناحية الاجتماعية فقد منعت النساء حق الاقتراع في الانتخابات ، واعترف بشرعية الطلاق ، والقضاء على الوصمة التي يوصم بها الاطفال المولودون خارج النطاق الزوجي . وهذا كله من شأنه ان يبدل العلاقة الكائنة بين الرجل والمرأة ويغير من شكل الاسرة . ففي بلاد كانت فيها المرأة مستعبدة لا حقوق لها ، وموقف الرجل نحوها موقف سيطرة وامتلاك لجسمها وروحها ، لا بد ان تسفر هذه القوانين عن تحول كبير في مقامها الاجتماعي

وكانت الحكومة الجمهورية قد اعدت مشروع خمس سنوات تنشئ بموجبه في خلالها ٢٧ الف مدرسة والشيء منها في اواخر السنة الماضية (١٩٣٣) نحو سبعة آلاف مدرسة . ولكن ثمة مشكلة خطيرة نشأت عن الغاء مدارس الاديرة ذلك أن نحو ٦٠٠ الف تلميذ وتلميذة لا يجدون مدارس يتعلمون فيها غير ان وزارة المعارف تقدر العدد بنحو ٣٠٠ الف ، وهو على كل حال عدد لا يستهان به

اما الموقف الآن فمحفوف بالشك . احزاب اليمين لا تجاهر بنزعها الملكية ، وانما تطلب الغاء قوانين اصلاح الاجتماعي التي اقرها الكورتس الجمهوري الاول ، كقوانين العمال والفلاحين والرهبنات . واما احزاب اليسار فبعضها يرى الجمهورية في خطر ، والمتطرف منها غير راض عن الجمهورية كما نشئت لانها اقرب الى البورجوزية منها الى الاشتراكية او الشيوعية . فالطريق الآن ممهد لاسبانيا لتتخذ احد سبيلين . اما الرجعية ونقض ما تم على أيدي الجمهوريين او المضي في الثورة الى نتائجها المنطقية . والموقف الآن موقف حيرة وتردد فكل تنبؤ في هذا الصدد كثير المزالق

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للكاتب عبد الرحمن شهبندر

الوطنية

الوطنية شعور عميق يحدو صاحبه الى مؤاخاة عدد عظيم من الناس (هم الامة) يعتقد انهم يشاركونه في مثل عليا يقدسها في نفسه وهي تستلزم حقوقاً وواجبات ، وتختلف هذه المثل العليا باختلاف المقاييس الاخلاقية الزمنية والنظرات المعنوية الاعتبارية ولكنها بالاجمال تجمعها كلمة عامة هي الثقافة

وتزداد سرعة الامم التي فيها عروق الحياة نابضة الى الاعتصام بحبل الوطنية المتين على قدر هبوطها في هوة المصاعب وتعرضها لعوامل التفتت والاستغلال

فالامة تتألف اذن من افراد يشعرون كما قال الاستاذ (مكدوجال) ^(١) بانهم متماسكون تماسكاً طبيعياً بروابط لها عندهم من القوة والصدق بحيث يكون في ميسورهم ان يعيشوا بالسعادة والهناءة اذا كانوا معاً ولكنهم يصابون بالضم اذا ما تفرقوا . وهم يرفضون كل خضوع وانقياد للشعوب التي لا تشاركهم في هذه الروابط . فما هي هذه الروابط يا ترى ؟

هي في نظري قائمة على أساس جوهري مبناه التجانس والاتصال وما الى ذلك من اسباب التشابه ، فهي تتطلب التماثل في الاوضاع والعادات والانساب ، والاتصال الزمني واتحاد المصلحة ، هي في عالم الانسان مصداق للمثل الذي يطلق على ذوات الاجنحة « ان الطيور على اشكالها تقع » بل هي مصداق للحديث « الارواح جنود مجنودة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » ومع كل ما يقف في سبيل الوطنية الصادقة من العقبات وما يعتور زعماءها من المقاومات الداخلية والخارجية فهي كما تنبأت دائرة المعارف البريطانية في احدي طبعاتها الاولى « تتقدم بسرعة والمرجح ان تكون عاملاً قوياً في اوروبا لمدة اجيال قادمة فتؤدي الى انشاء وحدات سياسية وتعيد الى سالف العهد لغات قد انحطت وتستولد ادبيات مستحدثة »

ولما انتشرت الافكار الاشتراكية المتطرفة واشتدت شوكة الشيوعية عقب الحرب العالمية خيف

على الوطنية وظن الناس ان عهد كافور وغاريبالدي وماتسيني وبسمارك ومن هذا حذوهم من اعلام القوميات لم تعد له صلة بزماننا لان الجامعة الوطنية عند اصحاب هذا الظن هي كالجامعة الدينية اصبحت من مخلفات القرون الوسطى، ولكن نهضة الطليان والترك والامان الحديثة وما تبعها من انتشار الافكار الفاشستية الوطنية بصورة فعالة حتى في بلاد الديمقراطية العريقة كل ذلك خيب آمال اللاوطنيين الاندثاريين وقضى - ولو مؤقتاً - على فكرة الذين يزعمون ان الانسان يستطيع ان يتخلى عن تراثه القومي وثقافته الوطنية. ومالم تشترك جميع الامم الراقية اشتراكاً اقتصادياً وسياسياً في هذا الاندثار والتخلي فمن المستحيل ان تتحقق فكرة الاشتراكية الدولية او الاخوة العالمية، لانه من انكر النكر ان ثبت في سورية او في مصر مثلاً فكرة الاخوة الانسانية وفي فرنسا او انكلترة فكرة تنازع البقاء في آن واحد. ولعل اخفاق عصبة الامم يرجع سببه في الدرجة الاولى الى ان الميطرين عليها قد اصرؤا على ان تبقى جميع القوة في ايديهم وان يتنازل غيرهم عن جميع اسباب دفاعه، وهكذا نسوا ان يبدأوا بأنفسهم فينها عن غيها، ويعلموها ما يحاولون ان يعلموه غيرها

وزى رؤاد الوطنية الحديثة قد قاوموا بكل ما اوتوه من قوة النظريات الانسانية العالمية التي بثتها الثورة الفرنسية لان مثل هذه النظريات تفتت الشعب فتحوله الى افراد لكي تؤلف منهم فيما بعد خليطاً من الغوغاء. فلا عجب ان يعلن (ماتسيني) حرباً عواناً على اللاوطنيين الارضيين الذين يدعون الناس ان يحب بعضهم بعضاً من غير تفريق في الجنسية، لانه يعد مثل هذه الدعوة عبثاً وقائماً من الاساس على المستحيل عقلاً

وعند (ماتسيني) ^(١) ان الامة مرتبة وسط بين الفرد من جهة وبين مجموعة الجنس البشري من جهة اخرى، وفي طاقة المرء ان يفهم امته ويحبها لانها مؤلفة من مخلوقات تشبهه، وهي تنطق اللغة التي ينطق بها وتتحدى بالميل الطبيعية التي يتحدى بها، وقد أدبتها التقاليد التاريخية المشتركة، وفي الامكان تصويرها في الذهن وحدة وطنية مستقلة فالامة والحالة هذه مرتبة وسط بين البشرية وبين الفرد. (ترجمة حياة ماتسيني ص ٢٧٣). وفي وسع المرء ان يحيط بالبشرية وذلك بان يتصورها فسيفساء من امم كل منها يتألف من افراد متجانسين، والامم هي رعايا البشرية كما ان الافراد هم رعايا الامة. اما عهد الانسانية فلا يجوز ان يمضيه الافراد بل يمضيه الشعوب الحرة المتساوية ذات الاسماء والاعلام الخاصة والتي تحس بحوزتها المستقلة

وقد مثلت الوطنية كما فهمها بسمارك وماتسيني في القرن التاسع عشر دوراً خطيراً في نشوء الوعي السياسي في اوربا، ولكن الكتئاب زعموا عقب الحرب العالمية انها لا تصلح لحل العضلات التي استجدت، فما قولهم دام فضلهم في مساعي الهتلريين في يومنا الحاضر لضم النمسا متجاوزين في ذلك

ونحن في
الطوال
والجوان
واصله

في الشعوب
الحفاظة

فيه بتط

والتأثير

في سواد

ولكن

جبارة ق

قلها من

يستأثر

الاتاق

الباهر في

وما تأخر

ما بعده

البولشفي

سأر المذ

وشهداؤ

الذي يهد

كعبها،

الشعوب

وخلوداً

حدود النظرية البسماركية وذاهبن في التطرف الى ابعد منها؟ اليس التجانس اللغوي والثقافي واتصال البلاد ومصلحتها وتنظيمها السياسي كل ذلك من القواعد الوطنية التي ساقى النازي الى هذا العمل؟ ألم تدلنا الوطنية الفرنسية في الغرب وفي الشرق، في فرساي وفي عصبة الامم، في المؤتمر الاقتصادي العالمي وفي مؤتمر نزع السلاح، في بلاد الحماية وفي بلاد الانتداب، على ان قاعدة بسمارك التي تلاها في خطابه سنة ١٨٥٠ لا تزال محترمة محز مفاصل الامم في سنة ١٩٣٤ وخواها «ان المبدأ الصحيح الوحيد للخطة التي تسلكها الدولة المعظمة انما هو الانانية السياسية» ألم يدخل الجنرال غورو دمشق الشام في سنة ١٩٢٠ مفتخراً بسحق سورية التي رأسها حليفه، والتي نالت قبل ذلك ببضعة عشر شهراً تصريحاً مشتركاً من فرنسا وانكلترا بحقوقها في الاستقلال، والتي قال عنها الحلفاء انفسهم في عهد عصبة الامم انها اهل له؟ وأما جميع تلك التفسيرات التي فسرت بها هذه الوعود والعهود الشفهية والخطية، الرسمية وغير الرسمية، لدخول المستعمرين البلاد فالحين مغتصبين فهي تفسيرات اهل الحيل الشرعية الذين يؤولون اصرح النصوص وأقدس العقود لمصلحتهم الشخصية او مصلحة وكلائهم المادية. وقد سمعت في احد الايام شيخاً اشتريته فرنسا بالوظيفة يدعو الناس الى طاعتها في سورية بما تلاه عليهم من نص القرآن «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم» ثم ان القوي يتمتع منذ القدم بحق تفسير الشرائع السماوية والارضية لمصلحته وأما الضعيف فيرفع يديه الى السماء طالباً الرحمة، ولو انه بدلاً من ان يرفعها الى السماء لطم بها وجه المنافقين لكان اقرب الى استئزال الرحمة واستدراار البركة

كذلك نحن اذا حللنا خطة فرنسا في شمال افريقيا تحليلاً دقيقاً وجدناها قائمة على الفكرة البسماركية ايضاً، وبدلاً من ان يكون النموذج البروسي في هذه القضية هو الذي يجب ان يهضم غيره ويمثله نرى النموذج الفرنسي اللاتيني هو الذي يحاول «بالدم والحديد» كما قال بسمارك ان يمتص غيره من عناصر العالم العربي. وهذه لعمرى وطنية التوسعيين من اهل البسطة السياسية، وان نجحت طريقتهم في البلدان المتجانسة ذات الثقافة المتماثلة فهي محكوم عليها بالاخفاق في البلدان الاخرى، وحسبنا ان نشير هنا الى ايرلندا والصراع العنيف الذي دام حقبةً لكنزتها الى ان سنحت فرصة الحرب العالمية فأعلنت استقلالها المعلوم وهي تقطع اليوم عرى اتصالها ببريطانيا ولا تقبل مع انكلترا غير معاملة اللند للند

وقاعدتنا في تحديد الحلف العربي القادم هي قاعدة ليس فيها دم ولا حديد كقواعد المتغلبين هذه بل قائمة على تجاذب روحي يناسب المستوى العقلي الذي بلغناه وجميعها قولنا «طاقة الثقافة العربية بأوسع معانيها ان تضم تحت جناحيها جميع العناصر التي اكتسبت التماثل والتجانس بفعلها واما ما لا تتسع له معدتها فيكون خارجاً عن حوزتها»

وقد يعترض علينا معاشر السوريين معترض فيقول : ما بالنا نبحت في الحلف العربي الاكبر ونحن في عقر دارنا مقسمون ممزقون الى دويلات ؟ وهل من الحصافة في شيء ان نحبر المقالات الطوال في وصف (الشوكولاته) وطبخها للذين يموتون من الحاجة الى الخبز على قارعة الطريق ؟ والجواب ليس عسيراً متى عرفنا ان الوعي القومي اذا دب في الافراد اصبح خالداً وان الامم الحية واصلة الى غرضها ولو لاقت في سبيل ذلك اضعاف ما لاقى الصربيون واليونانيون والبولنديون

﴿ شأن الوطنية عند المعاصرين ﴾ ومما يدلنا على المقام الرفيع الذي تتمتع به الوطنية الصادقة في الشعوب الحية المعاصرة المسألة الآتية التي لم نعهد لها مثيلاً في الشرق على اقل تقدير وهي ان المحافظة على العقائد الدينية في الاقطار عامة — ولا سيما التي فيها نزعة روحية ظاهرة — امر مرغوب فيه يتطلب عناية الذين يقودون الشعب في نهضته السياسية ، وذلك لحاجتهم الى الاستعانة بالرأي العام والتأثير في الدهماء ، لان الخروج على العقائد هو مثل امتهان حرمة التقاليد المقدسة يدعو الى النفرة في سواد الشعب ، والقائد هو في حاجة دائماً الى استرضاء الجنود واستمالتهم والآن ما حاربوا تحت لوائه ، ولكن زعيماً سياسياً حربيّاً مثل مصطفى كمال باشا لم يهمل قضية الدين فقط بل حاربها محاربة جبارة قد لا تقل من بعض الوجوه عن محاربة (لنين) لها وضربها في الصميم ، ولم يدخر وسعاً في قلبها من الاساس من غير ان يفقد شيئاً عظيماً من هيئته ، وهو وان احدث له خصومة لا يستهان بها في العالم الاسلامي ، الا ان المعجبين به من المسلمين انفسهم الذين يحلونه محل اللائق به من الاعتبار — مع احتفاظهم بعقائدهم الدينية — هم لا يستهان بهم ايضاً ، فكان عمله الباهر في ميدان الحرب والسياسة قد طغى في نظرهم على سائر الاعترافات فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وكان انقاذ الشعب المستعبد من ربة الذل ولعنة الاستعمار حدث يجب ما قبله ويمحو ما بعده ، ومما يسترعي الانظار ان الحملة عليه في العالم الاسلامي لم تبلغ جزءاً من شأوا الحملة على الاتحاد البولشي في العالم النصراني . ولعلّ للدعاية الرأسمالية الواسعة شأنًا في هذا المضمار

﴿ تنمة ﴾ : وقصارى القول اننا لا نخطئ اذا قلنا ان الوطنية مثل الاشتراكية — ومثل سائر المذاهب السياسية التي تتناول سعادة الافراد ورفاهيتهم — هي دين له كتبه المقدسة وانبياءه وشهداؤه وحروبه ، وزداد الحماسة التي تحفز اهله الى الاقدام وتحملهم على البذل بقدر الخطر الذي يهدد حوزتهم من الدول حولهم . ولا جرم ان تسمو الوطنية في اعين الشرقيين خاصة ويعلو كعبها ، ذلك ان بلدانهم اصبحت هدفًا يرمى وغنيمة تقتسم ، وما لم يهبوا للدفاع عنها كما هبت الشعوب في القرون الوسطى للدفاع عن العقائد الدينية المقدسة كانت النتيجة كفرًا بنعمة الوطن وخلوداً في جحيم الاستعمار

سياسة بريطانيا الخارجية

قواعدها الأساسية وصلتها بنزع السلاح (١)

كثيراً ما يقال ان سياسة بريطانيا الخارجية غير جلية ، وان البلدان المتصلة بها بصله السياسة والاقتصاد قلما تدري ما تستطيع ان تتوقعه من موقف بريطانيا في المسائل المختلفة . بل يقال انه لو حددت بريطانيا موقفها في مطلع سنة ١٩١٤ او قبل ذلك لاجتنب وقوع الحرب ، ويقال كذلك انه لو وقفت بريطانيا موقفاً حازماً من مشكلات منشوريا ومسألة النزاع بين المانيا وفرنسا ، ومعضلة تنقيح معاهده فرساي ، وهي المسائل التي تقلق بال العالم اليوم ، حلّت هذه المشكلات حالاً نهائياً . واذن يعزى استمرار القلق العالمي ، الى تردد بريطانيا وغموض سياستها . والمسألة التي يثيرها هذا الكلام مسألة اساسية . فلننظر في تفصيلاتها

لننظر اولاً اليها من الوجهة التاريخية . في الفترة بين سنة ١٦٨٩ ومعركة وآرلو ، كانت بريطانيا مشتبكة في حرب ما ، في كل سنة من سنتين من سني هذه الفترة — فسنو الحرب خلالها كانت ٦٣ سنة وسنو السلم كانت ٦٣ سنة كذلك . فنشأ عن ذلك ان الامة البريطانية احسّت انها سئمت هذه الحال . فلما انشئت الحكومة الديمقراطية الضميمة في بريطانيا ، بعد اصلاح سنة ١٨٣٢ جرت بريطانيا على مبدأ الامتناع عن الاشتباك في حروب البر الاوربي كطريق نحو السلام . فانقضت عليها نحو مائة سنة بعد ذلك — لولا حق الانزجاج في حرب القريم — وهي متمتعة بالسلام ، صادفة عن نزاعات البر الاوربي . وكانت نتيجة ذلك انها اصابته اقبالا مادياً ، وكان نجاحها المادي ذا فائدة لها ولجيرانها ، بل وللعالم قاطبة ، كسبل نجاح مادي على الاطلاق

فالمسألة التي واجهها رجالها في مطلع القرن العشرين ، كانت هذه : هل ثمة باعث كاف يبعثهم على تغيير خطتهم التي جروا عليها

من السهل ان نلتفت الى الحوادث بعد وقوعها ونقول كان يجب ان تفعل كذا او كذلك ، وقد يسهل الآن ان نقول انه لو فعلت بريطانيا كذا او كذلك قبل سنة ١٩١٤ لاجتنب وقوع الحرب الكبرى . ولكن الذين كانوا يمشون في غمار الحوادث المتتابعة حينئذ ما كانوا يرون ما نراه الآن او يحسون بما نحس به

قال السر هربرت صموئيل : ولما كنت وزيراً في الوزارة البريطانية التي سبقت الحرب مدة خمس

(١) عن بحث السر هربرت صمويل احد زعماء الاحرار البريطانيين ووزير الداخلية سابقاً

سنوات وأشرفت على اعلانها اظن اني اعرف كيف سارت الامور حينئذ . واني اذا التفت الى الوراء ، الآن ، على ضوء ما حدث بعد ذلك ، اجدني غير متفق مع الذين يقولون انه لو اعلنت بريطانيا في جلاء ووضوح انضمامها ، الى فريق فرنسا او الى فريق المانيا ، لاجتنب وقوع الحرب . بل اني لا اعتقد ، انه ما كان في وسع اية وزارة بريطانية ، ولا اي حزب بريطاني ، ان يسلك هذا المسلك . ذلك انه لو فعلنا ، لكننا عدنا مرة اخرى ، الى الاشتباك في مشكلات توازن القوى الاوربية . وهذا النظام من توازن القوى لم يكن في وقت ما ، ضماناً من ضمانات السلام . بل على الضد من ذلك كان دائماً باعماً من بواعث الاحتكاك المفضي الى الحرب . ولو ان بريطانيا تحالفت مع احد هذين الفريقين لتحتّم عليها ان تتحمل تبعه الاعمال التي يعملها حلفاؤها . وكيف نعلم ان حلفاءها لا يندفعون في سبيل المطامح المنطوية على خطر على السلام اعتماداً على مساعدتها وتأبيدها ؟

وعلى الضد من ذلك ، ان موقف بريطانيا المنعزل او المنفصل كان يمكنها من ان تستعمل نفوذها في سبيل السلام . كذلك فعلت في حروب البلقان سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ اذ استعملت نفوذها ، لمنع تلك الحروب المحلية من الامتداد كالنار في الهشيم . وليس ثمة ما يدل على انه لو وقعت حينئذ حروب اخرى لتعذر عليها ان تستعمل مكانتها في سبيل تأييد السلام ، كما استعملتها في حروب البلقان . بل ان السر ادورد جراي ، استعمل نفوذه ومكانته باخلاص تام ، في صيف سنة ١٩١٤ لهذا الغرض العظيم ، ومرّت بنا لحظة من الزمان ظننا فيها انه قد يفوز

يقال احياناً ، انه لو اعلنت بريطانيا المانيا ، اعلاناً رسمياً ، بانه اذا اخترق حياد البلجيكي ، حمل ذلك الاخر اقريقيا بريطانيا على خوض المعترك اي لو اعلنت بريطانيا المانيا بهذا ، لما كانت الحرب . هذا ما يقال . ولكن اعلاناً من هذا القبيل كان يعني ضمناً ان بريطانيا تبقى على الحياد اذ كان زحف المانيا على فرنسا من غير طريق البلجيكي

نعم لا بد ان تعني حينئذ قيادة الجيش الالماني بتغيير خطتها . ولكن الحرب بعد ذلك تصبح اقرب وقوعاً بدلاً من اجتنابها بمثل هذا التصريح . اما اذا كان تصريح بريطانيا لا يعني وقوفها على الحياد اذا هوجمت فرنسا على الاطلاق ، فهو يعني انها اصبحت في صف فرنسا مهما يكن من امر المانيا . وهذا عود منها الى موقف ما زالت تريد ان تتجنبه . أما اذا رفضت المانيا ان تقيم وزناً لتصريح بريطانيا كائناً ما كان فالحالة تبقى على ما كانت عليه بل وتزيد تعقداً وخطراً

هذا من الناحية الخارجية وملابساتها . اما من الناحية الداخلية فان انضمام بريطانيا الى احد الفريقين ، او تصريحها بالتصريح الذي كان ينتظر منها على قول بعضهم ، من شأنه ان يقسم الامة البريطانية الى فريقين . ذلك ان الديمقراطية البريطانية شيء متأصل في النفوس ، والاعراب عن حرية الرأي حق لا نتنازل عنه . والوقوف قبل سنة ١٩١٤ الموقف الذي يقال الآن انه كان يجب علينا

ان نطقه كان لا بد ان يلتقي حينئذ ، معارضين ومؤيدين وكذلك تنقسم البلاد وتفتتها ازمة خطيرة
ثم ان الشعب البريطاني ، لكي يقتنع بوجوب التضحيات العظيمة التي تقتضيها الحرب ، يجب ان يقتنع
اولاً بان الحرب تشهر في سبيل غرض صالح وانه كان من المتعذر اجتناب تلك الحرب بوسيلة شريفة .
ولو ان حكومة بريطانية ، كائنة ما كانت ، حاولت في مطلع القرن العشرين ان تنضم الى احد الفريقين
الاوربيين الكبيرين - فرنسا وفريقها أو المانيا وفريقها - او لو أنها صرحت بتصريحاً يعني ضمناً انضمامها
الى احد الفريقين في حالة نشوب حرب بينهما ، لكان نشأ في بريطانيا حينئذ جدال سياسي خطير ،
لا بد ان يقضى في النهاية الى انقسام الامة بعضها على بعض . ذلك انه من المتعذر في حالة كهذه
الحالة ، ان تقنع الجمهور بان الغرض من هذا الانضمام او من هذا التصريح ، هو منع الحرب ، كما يقال .
بل لهاجم الكتائب الاحرار الوزارة مسندين انضمامها او تصريحها ، الى اغراض امبريالية ، او الى رغبة
منها في القضاء على خصم قبل ان يشتد ساعده . واذا اضطرت الحكومة حينئذ ان تزيد الانفاق
على اسطولها - كما اضطرت حكومة بريطانيا بين سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١٤ - لما صدق الشعب ان
الغرض من هذه الزيادة انما هو الدفاع عن كيان البلاد ، بل لنعزها هذه الزيادة ، الى غرض الاستعداد
للحرب التي اعترف بها ضمناً في انضمام الحكومة الى أحد الفريقين . ثم اذا كان لا بد من وقوع
الحرب حسبت الامة نشوبها نتيجة للسياسة التي جرت عليها الحكومة وعندئذ فقد تلقى الحكومة
معارضة فتكون النتيجة اللازمة لخطه كهذه ، خيبتين ، خيبة في السلم واخرى في الحرب !

ثم ان خطة بريطانيا الخارجية مرتبطة من ناحية اخرى ببلدان الدومنيون المستقلة استقلالاً
ذاتياً - اي كندا واستراليا وزيلندا الجديدة وجنوب افريقية (لم تكن ارنلدا حينئذ في عدادها) -
وهذه البلدان تصر على ان تكون مقدراتها في ايديها . وبريطانيا تسلم بذلك . بيد أن حكومة لندن
مضطرة ، اضطراراً مستمراً الى اتخاذ قرارات عامة ، لها صلة بشؤون كل جزء من الامبراطورية
البريطانية . لذلك تحيط حكومة لندن بحكومات الدومنيون والهند ، علماً بتفصيلات كل مشكلة دقيقة
تعرض لها او كل قرار خطير تتخذه . وهذه بحكم الطبع لا تميل الى الاشتباك في شؤون اوربا المعقدة

تكلما عن الاركان التي تقوم عليها السياسة الخارجية البريطانية بوجه عام وأثرها في
موقف بريطانيا من الحرب الكبرى قبيل اعلانها . ويقول السر هربرت صموئيل ان الحالة اليوم
تشبه بوجه عام الحالة قبيل الحرب . فالشعب البريطاني الآن يتردد كل التردد قبل الاقدام على
الاشتراك في اي حرب لأي غرض . فهو يمت الحرب ويحسبها على ما قاله فيها احد كبار قواده
«سحقاً مكروهاً» . ولكنه - اي الشعب البريطاني - يقدر التبعة الملقاة على عاتقه في وجوب
التعاون للمحافظة على السلام . وقد مضى في ناحية النهوض بهذه التبعة ، الى مدى عقد معاهدة
ضمان عسكري في غرب اوربا (المقصود معاهدة لوكارنو سنة ١٩٢٥) وهذه المعاهدة تنطوي على

مخاطرة عظيمة . فاذا اقتضت الحال وجوب تدخل بريطانيا في غرب اوربا فان الشعب البريطاني ، مع شدة مقته للحرب ، لا يتأخر عن تنفيذ العهود التي قطعها . غير ان الرأي العام البريطاني ، معارض الآن معارضة صريحة في توسيع نطاق هذه المعاهدة

وبلاد الدمنيون توافق بريطانيا على هذا الموقف بوجه عام . ولكن خشيتها من الاشتباك في الشؤون الاوربية عظيمة جداً ، حتى انك لا تجد بلاداً واحدة منها ، قد ابرمت معاهدة لوكارنو . فهي تحتفظ بحقها في الحكم ، اذا اقتضت الحال خوض بريطانيا غمار حرب اوربية تنفيذاً لعهدة لوكارنو . وحينئذ قلما ان تعاونها وتشترك معها ، واما ان تعرض عن ذلك

ويرى السر هربرت صموئيل ان الرأي العام البريطاني يفضل الانسحاب من الشؤون الاوربية لو كان ذلك في نطاق السياسة العملية ، ولكنه يدرك في الوقت نفسه ، ان هذا الانسحاب غير عملي . وهو الى ذلك معارض اشد المعارضة في انتهاج خطة تقوم على عقد المحالفات . واذن لم يبق أمامه الاً أحد سبيلين — أما السبيل الاول فهو استعمال الاساليب التي كانت مستعملة قبل الحرب الكبرى ، اي الاساليب الدبلوماسية والنفوذ الدبلوماسي والتدخل الدبلوماسي بين حين وآخر . اما السبيل الثاني ، فهو السبيل القائم على الاشتراك في المفاوضات واستعمال وسائل جمعية الامم . والكثرة الغالبة في بريطانيا تفضل الاسلوب الثاني على الاول . فسياسة بريطانيا قائمة على اساس جمعية الامم وفي هذا تؤيدها بلدان الدمنيون وحكومة الهند

ولكن الطريقة الثانية ، لا يرغب فيها الشعب البريطاني ، الاً اذا كانت اتمية بالمعنى الصحيح ، لان بريطانيا لا ترغب ان تقوم وحدها ، في الشؤون العالمية ، مقام البوليس ، فهي لا ترغب ان تتعهد بان تبعث بالجنود البريطانيين والبحارة البريطانيين معرضة لحياتهم للخطر ، الى مكان بعيد ، حيث يقوم نزاع بين دولتين او اكثر ، مع ان مصالحها في ذلك المكان لا تفوق مصالح غيرها من الدول الاخرى . ولما كانت الضرائب التي يؤديها الشعب البريطاني اكبر من الضرائب في اية امة اخرى ، فانه يرفض ان يتخذ على عاتقه تبعات جديدة تزيد نفقاته والضرائب المفروضة عليه

اما اذا اشتركت جميع الامم في عمل دولي ما ، فان الشعب البريطاني حينئذ لا يحجم عن القيام بنصيبه التجاري والمالي وما اليهما ، للاقتصاد من دولة خرقت عهدة كلوج (عهدة تحريم الحرب سنة ١٩٢٨) او عمدت الى الاعتداء على غيرها ، وهذا العمل في حد نفسه ، ينطوي على مغامرة عسكرية لا يرغب فيها الشعب البريطاني بوجه عام . ولكن السر هربرت صموئيل يعتقد انه لا يحجم عنها اذا اشتركت الامم الاخرى معه في ذلك

خذ مثلاً على ذلك مشكلة المحيط الهادي — والمحيط الهادي كما تعلم منطقة من مناطق الخطر في السياسة العالمية الآن . ان الامم التي تهتم هذه المشكلة في المقام الاول ، هي روسيا واليابان

والولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا. ولكن واحدة فقط من هذه الدول عضو في جمعية الامم. فبأي حق تدعى احدى هذه الدول وحدها - المقصود بريطانيا لانها الوحيدة بينها المنتظمة في الجمعية - من قبل الجمعية للنهوض بتبعات كبيرة كان يجب ان تشترك الدول الاربع جميعاً في حمل عبئها في هذه المسائل الدولية الخطيرة تنظر بريطانيا بعين العناية العظيمة الى موقف الولايات المتحدة الاميركية. قال السر هربرت: قال لي احد الاميركيين مرة، لو ان بريطانيا واميركا تتفقان على العمل معاً لكانتا تحكمان العالم. فأجبتُهُ الجواب المنتظر، ولماذا تريدها، او لماذا تريدانها ان تحكما العالم؟ خير للعالم، ان يحكم نفسه. ولكن الواقع انه اذا اتفقت الولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية البريطانية على العمل معاً، كان لهذا الاتفاق اثر عظيم في السياسة الدولية على شريطة ان توجهها نفوذها الى الخير العام لا إلى اغراض ضيقة خاصة. واذا شاءتا ان تكون خطتهما مشتركتين او متحاذيتين وجب زيادة التشاور والتعاون بينهما

اذا تبصّر القارئ في هذه القواعد التي عرض لها السر هربرت في بحثه، استطاع ان يدرك تلكثر بريطانيا في قبول فكرة « الضمانات » التي تطلبها فرنسا، شرطاً لعقد اتفاق نزع السلاح. فبمقتضى المشروع البريطاني، الخاص بهذا الموضوع، والمذكورة البريطانية التي عدلت فيها بعض مواد المشروع الاصلي، تقترح بريطانيا على فرنسا ان توافق على تسليح المانيا بأسلحة دفاعية معينة. وان تنقص فرنسا سلاحها في بعض النواحي. فأعربت فرنسا في ردّها عن قبولها ذلك اذا ضمن تنفيذ الاتفاق. وحجبتها في ذلك ان المانيا قد تخل بمواد الاتفاق وتصنع اسلحة ممنوعة فيه، وان لجنة الرقابة الدولية قد ثبت ذلك. فاذا تفعل الدول حينئذ وما هي الوسائل التي تتخذها لقسر المانيا على المحافظة على العهود التي قطعها في الاتفاق الذي وقعته. اما بريطانيا، فتقول، استناداً الى خططها التقليدية، انها تعمد في حالة كهذه بالتشاور في الوسائل التي يمكن اتخاذها لتنفيذ الاتفاق المعقود. اما فرنسا فتقول ان الوعد بالتشاور لا يكفي وانها تطلب وعداً بالعمل. فلما وجهت حكومة بريطانيا الى حكومة فرنسا، سؤالاً عن الضمانات التي تطلبها فرنسا، بعثت فرنسا بمذكرتها الاخيرة وفيها رفض ان تسلم بشرعية تسليح المانيا وباجراء مفاوضات نزع السلاح في غير حرم مؤتمره بجنيف ولكن اذا امتنعت بريطانيا جرياً على خطتها المعروفة عن توسيع نطاق معاهدة لوكارنو، اي اذا امتنعت عن قطع عهود حربية اخرى على البر الاوربي، فما حجتها في الامتناع عن قبول الضمانات الاقتصادية، كقطع الصلات المالية بالبلاد المعتدية ومنع التصدير اليها او الاستيراد منها؟ حجتها في ذلك انه اذا لم تشترك الولايات المتحدة الاميركية في هذه الضمانات، فقد تصطدم بريطانيا، وهي تنفذ الضمانات الاقتصادية بالولايات المتحدة الاميركية الباقية على الحياد. وهذا ما تتحاشاه. ولكن اقترح الرئيس روزفلت بان تمتنع الحكومة الاميركية في احوال معينة عن اي عمل من شأنه عرقلة القرار الدولي لمعاقبة امة معتدية قد يكون فيه مخرج من هذا المأزق

مجد الرواد

الفرد نويز Alfred Noyes شاعر انكليزي في الطبقة الاولى بين شعراء انكثرا المعاصرين . استشرف بنظره تاريخ ارتقاء المعرفة فاختر من سير روادها الحوادث التي كانت معارك فاصلة بين جيوش النور وجيوش الظلام ونسج من ذلك ملحمة شعرية عظيمة سماها « حملة المشعل » . وفي ما يلي قطعة اجراها على لسان تيجوبراهي — وهو فلكي دنماركي من علماء القرن السادس عشر قضى ٢١ سنة برصد الافلاك في مرصد اوراينبيرج ثم اضطر ان يغادر بلاده وبلجا الى رودلف الثاني في براغ وكان جلوسهم ان يعين مواقع الف نجم قيل ان يموت ولكنه لم يعين الا مواقع سبعائة منها قبل طرده من بلاده — مخاطباً مريديه قبل مبارحته وطنه

ما اقل ما اعلم — عملتُ عمل قزم ! ان الرجال الذين سوف يتبعونني
قد يزيدون ، بفن ادق من فني ، عشرات الالوف . ولكن مجموعتي تنفذهم
من عناء خمس وعشرين سنة ، وتقربهم الى هدفهم ، الى ملك النواميس
الذي لن ارى . اننا على عتبة عصر من المكتشفات العظيمة . فأنا احس
كما يحس الحالم ، بالفجر ، قبل ان يفتح عينيه . كثيرون منكم سوف يشاهدون
تلك المكتشفات . وفي ذلك اليوم تذكرون اجتماعنا الاخير في اورا نبرج
وكيف قلت لكم ان عملنا هذا لا بد ان يفضي الى انتصارات العصر المقبل .
قد يفسانا المنتصرون . وماذا يهمنا ذلك ؟ سوف يظفرون بسعف النخل
واهزيج الثناء . اما مجدنا فمجد الآباء في ابناهم ، غبطتنا غبطة
المانح ، غبطة العامل على صفحة الصخر الصلد طوال الليل ، يحفر
فيه مواقع الاقدام ، ليرفع عليها من يجيء بعده ، الى الاعالي
فيطيل التحديق في العوالم المكتشفة حديثاً .
عندئذ لا تجدونني على القمة ، فاذا هبطتم ، ابحثوا عني في الظلام
عند سفح الالكة ، تحت الاوراق المتناثرة . هناك نختبي نحن
الرواد ! لان فينا كبراً ، وعلى العالم ان يبحث عنا
قبل ان يكتشف قبورنا !

ترجمة شيطان

رأي الدكتور طه حسين في قصيدة الاستاذ العقاد (١)

«...لست اخفي عليكم اني قرأت له قصيدة لن ينقضي إعجابي بها وقد أقرأها عشرين مرة او ثلاثين والسبب في ذلك اني اجد فيها كلما قرأتها معنى جديداً ، او معاني جديدة . ثم هذه الطرافة المدهشة وتستطيعون ان تبحثوا عن مثلها في الشعر القديم فلن تجدوا لها شبيهاً . هي طويلة ، ولكنها على طولها قصيرة تبلغ مائتي بيت وعشرين

» أما موضوعها فشيطان . اراد العقاد ان يترجم لشيطان ، ويظهر ان العقاد سمى ترجمة الناس ، وسمى نقد الناس وما يكتبون وما ينظمون فأبى الا ان يبحث فوفق الى شيطان خلقه خلقاً ومشى معه فأبعد في المشي . انه خلقه في اول القصيدة وصعد معه السماء وهبط به الى الجحيم ومن حسن الحظ انه قتله في آخر القصيدة . هذا الشيطان غريب ، خلقه واذن له كما اذن للشياطين ان يغوي الناس ما استطاع فهبط الى بلاد الزنج ولكنه لم يكدرى هذه البلاد وأهلها حتى ضاق بالارض وسكنها ورأى انه ارفع من اغواء الزنوج فارتحل عنهم وطوف الارض وما زال يطوف حتى بلغ بحر الروم او بحر العجم حيث البلاد المتحضرة ، وهناك استطاع ان يخدع الناس فأخرج لهم شيئاً يسمى الحق ، ولكنه الاعتداء الشنيع المنكر الذي افسد الحياة الانسانية افساداً ، ثم كلفه ان ينوب عنه في فتنة الناس . نظر الى الناس وقد وقعوا جميعاً في شركه وخضعوا لفتنته فاحتقرهم ، وكفر الشيطان بالشر ، ارأيتم شيطاناً يكفر بالشر الا عند العقاد ؟ والطريف ان هذا الشيطان خالف طبيعته وظفر بما لن يظفر به شيطان ، ظفر بالنعو ، واذن الله له في ان يصعد الى الجنة ويعيش بين الملائكة عيشة راضية في مكان لا سبيل الى تصويره في الشعر بأجل من تصوير العقاد . ولكنه شيطان لا يرضيه شيء ولا يقنع بشيء ، وما اسرع ما ضاق بالجنة ورفاقه الملائكة ، حتى خيل الى الذين يرافقونه انهم ينظرون الى الجحيم وقد تجسد في وجهه ، ثم يوحى الله الى الجنة فاذا هدوء شامل ، وسلام كامل ، وأمن وسكينة واذا الشيطان المتمرد قائم أمام جلال الله . أترون انه خضع او اضطرب او احس شيئاً مما تحسه النفس وهي في مثل هذا الموقف ؟ كلا ، ظل مرفوع الرأس شامخ الأنف متحدياً ، ينكر على الله آياته ، ويتحدى الله ان ينزل به المكروه ، ثم ينزل المكروه به فاذا النار قد استحال

(١) من خطبته في حفلة التكريم التي اقيمت يوم ٢٧ ابريل الماضي وأشير اليها في مقتطف مايو

حجراً . ومع ذلك فطبيعته لم تتغير حتى بعد المسخ بعد ان اصبح حجراً هامداً . طبيعته مفسدة دائماً . أليست تتخذ الصور الخلابة من هذا الصخر؟ هذا الشيطان الذي احياء العقاد وأمانته وصور لنا حياته هذا التصوير البديع ، هذا الشيطان اسمحو الي وليسمح لي العقاد وأنا أعترف بأني متأسف جداً ، هذا الشيطان هو شيطان العقاد وشعره ، وهذه النفس الطامحة التي لا حدّ لآمالها ، هذه النفس التي لا يرضيها شيء ولا تستريح ولا تطمئن الى شيء ، ولا ترضى الا لتسخط ، ولا تستقر الا لتتحرك حركة لا حدّ لها حتى اذ خرجت من الحياة وانتهى عهداها بالوجود فان آثارها ما تزال قائمة تعمل في النفوس وتغريها وتبعث فيها الحركة ، وان كان الشيطان قد استحال الى رماد في القبر هذا الشيطان هو سحر صاحب الفن والذي نلاحظه في كل أثر من آثار العقاد او الشعراء النابهين أمثال العقاد (انظر ديوان العقاد ج ٣ ص ٣٣٨)

« أعترف اني عند ما قرأت القصيدة وقرأتها وقرأتها ، فكرت في شعراء آخرين ليسوا عندنا ولا هم بين شعرائنا ولكنهم يعيشون في اوربا ، يعيشون في اوربا القديمة والحديثة ، فكرت في جوت حين يصور ابليس وهو يتحدى خالقه ، فكرت في بول فاليري وهو يصور الحية حين أغوت حواء ، وفكرت في ملتون حين يصور الجمة الضائمة . ومع ذلك فهل كان العقاد مقلداً لهؤلاء الشعراء ، هل أخذ عنهم ، أو هل أخذ العقاد عن شعراء العرب القدماء

« كلاً أيها السادة ، لم يأخذ العقاد عنهم بل قرأ هؤلاء ، وهو لا يقرأ الاّ فهم ، ولا يفهم الاّ دقق وهو بهذه القراءة وبهذا الدرس المتصل الذي لا يعرف العقاد له حدّاً ، والذي فرضه العقاد على نفسه فرضاً ، بهذا الدرس المستمر الطويل قد خلق لنفسه قوة لم يعرفها غيره من شعرائنا ، قوة خاصة خارقة لا يعرفها شعراء العرب لانهم من أقل الناس قراءة في هذا العصر ، خلق العقاد لنفسه قوة شاعرة لا نجد لها نظيراً الاّ في اوربا حيث يلمس الشعراء الفن لا في الادب وحده بل في العلم وفي كل شيء آخر . من هذا كله استطاع العقاد ان يكون هذا المارد المتمرد هذا الشيطان الذي لا حدّ له »

تعليق الشاعر

« ترجمة شيطان » هي احد أثريّن من آثارى الادبية انتجتهما الحرب العظمى فأما الاول فنشور وهو رسالة « مجمع الاحياء » وقد كتبها في اوائل الحرب

وشرحت فيها فلسفة القوة ورجحت عليها جانب الحق وانتهت منها الى ان الطبيعة توحى الى الاحياء ان تتصارع وان الصراع يحضنها وينشئ بينها ميزات القوي وهو الحق في النهاية

فاما قاربت الحرب العظمى ان تضع اوزارها ولم تر لها نتيجة حاضرة ولا متوقعة تكافئ احوالها واطارها غامت على النفس غيمة حزن يائس وبدا لي كأن حوادث التاريخ لا تعدو ان تكون اضطراباً متقلباً كاضطراب العناصر الطبيعية التي لا تحفل شيئاً بمقاييس الاخلاق والمثل العليا ، وان الامم العاقلة المتحضرة تنور الى الحرب كما ينور بركان او ينور اعصار ، فلا فرق بين غوص حضارة في اعماق التاريخ الانساني وغوص جزيرة في اعماق الاوقيانوس ، وهذه هي الحالة التي عبرت عنها في « ترجمة شيطان » . وجعلته من اجلها يقول وهو يحتقر ان يفسد الناس لان غاية الصالح والفاسد منهم سواء :
 ما له يفسد قوماً عدموا آية الرشد ، وهبهم رشدوا !
 وعلام السلب مما غنموا وهم لو غنموا لم يُحسدوا

كلهم طالب قوت والثرى ذل قوم او تعالوا مخصب وقصارى الامر في هذا الورى راسب يطفو وطاف يرسب
 ومما يحسن ان اسجله في هذا الصدد ان الجزء الثالث من ديواني كان وشيكاً ان يظهر دون ان تظهر فيه هذه القصيدة ، لان الغيمة اليأس التي اوحتها الي تغيرت شيئاً فشيئاً واصبحت انظر الى الحياة واطوار التاريخ بغير تلك النظرة . وانما نُشرت مصادفة لانني كنت اتحدث الى بعض الاخوان ومنهم الاستاذ عبد الرحمن صديقي — اثناء طبع الجزء الثالث — عن القصائد التي انوي حذفها ومنها هذه القصيدة . فسألوني عنها وعن موضوعها وأصرُّوا اصراراً شديداً على وجوب نشرها ، ثم انتهت بعد مراجعة نفسي الى أن أضمتها الديوان واقدم لها بتمهيد قلت فيه :
 « ولما شرعت في طبع الشعر المجتمع لدي خطر لي ان احذف القصائد التي اشترت اليها لتغير الباعث على نظمها وعدولي عن محور الرأي فيها ، ولكني عدت الى نفسي فقلت : ولماذا احذفها ؟ ان الضرر الذي امنعه بحذفها أقل من الضرر الذي انا مانعه بنشرها ، وحسبها انها لم تكن الاً طوراً طبيعياً من اطوار فكرة وفترة معقولة من حياة قلب ، فلم ارضح حذفها لاجل ذلك وليعلم الذين تعرض لهم هذه الاطوار انه ما من حالة يبلغ اليها الشك واليأس الاً ومن بعدها للاطمئنان سبيل »

السَّيْطَانُ إِمَامُ اللَّهِ

فاذا الجنة أمن وسكون كسكون الليل في ضوء القمر
 خشعت حتى الشوادي في الغصون وصغت حتى وريقات الشجر
 ساعة ثم انجلي موقفها عن جلال الله فرداً في علاه
 غابت الاملاك لا تعرفها وبدا الشيطان معروفاً تراه
 وبدا الشيطان معروفاً ترى كبرياء الكفر في وقفته
 عالي الجبهة يأبى القهقري وتوج النار من نظرتة
 وتنحني كل مشهود فما ثم الا الله والطاغي المريد
 ويكاد الكون ما بينهما يغلب الشك عليه فيبيد
 ساعة اخرى وقد حسم القضاء وانتضى العفو وحق الغضب
 ساعة للنحس حلت والبلاء ومتى حلت فأين المهرب ؟
 حاقت اللعنة . حاقت كلها وقضاها المنعم المنتقم
 وجناها وهو لا يجهلها ذلك الجاني الذي لا يندم

هاتف في الخلد لما هتفا نفذ السهم فمن ذا الهاتف
 أهو الرحمن ؟ لا واأسفا بل هو الروح العصي العاصف
 هو روح يحسد الله وما أعجب الحاسد لله الصمد
 كلما أبصره محتكما أصغر الكون وارزى بالأبد
 هو ناع سمجت في عينه نعم الله فأسمى يحبها
 حبة يزرعها في كونه تلکم النعمى، فأين الجود فيها ؟
 هو طاع يأنف الصغو الى سائل يسأله عما جنى
 يحسب الصغو عقاباً قد غلا كيف لو أعذر او لو أذعنا ؟
 فرمى بالهجر لا يحفله حيث لا يبدأ خلق بالكلام
 ويمجد القول او يهزله ولعينيه وميض وابتسام

مختارات من بيرون

﴿البحر﴾ ختم لورد بيرون «تشينلد هارولد» - وهو عنوان قصيدة من ابلغ قصائده الطويلة - بما تواضع القصاد على تسميته «نشيد البحر». ففي الدور الاول من هذا النشيد يتجلى نفوره من الاجتماع واستثنائه بالوحدة والافتراق «لا لانه يبغض الانسان بل لان حبه للطبيعة اشد» ثم تمر في مخيلته صور الدول التي نشأت ودالت وما تعاقب على العمران من آيات التغير والانقلاب فخطب البحر قائلاً «والعالم في تغير مستمر الاك يا بحر! لا يقدر الزمن ان يخطط على جهتك الزرقاء اسرار الهرم ولا ان يرسم على محياك آثار الضعف والشيخوخة». ثم «ايتها المرأة الصقيلة التي نرى فيها صورة الخالق في كل زمان، سواء اكنت ساكناً او كنت ثائراً، في النسيم العليل او في العاصفة المحتاجة، حول القطب ثلجاً وجليداً او عند خط الاستواء خضماً زائراً عظيماً»

﴿مشهد طبيعي﴾ «هذه هي الساعة حين تسمع من الاغصان نغمات العندليب الشجية. هذه هي الساعة حينما تبدو عهود المحبين حلوة في كل كلمة يهمسونها. والنسيم العليل، والماء الصافي يطربان الاذن بموسيقاهما. الندى رطب كل زهرة وفي الفضاء انبثقت الزهتر. وقد زاد ازرقاق البحر. وقد قتم لون الاوراق. وفي السماء ذلك الابهام الواضح الذي يعقب الخذلان النهار. والشفق اخذ يذوب امام القمر ...»

﴿الجبل الابيض﴾ «الجبل الابيض ملك الجبال. توجهه (يتكلم الشاعر بلسان روح المسكان) عليها من زمن بعيد. على عرش السخور في حلال الغيوم. التاج من الثلج. وحول وسطه الحراج. وفي يده جرف الثلج المنهارة. لكن قبل ان ينهار الجرف قاصفاً كالرعد يجب ان يلبث هنيئة ليتلقى الاوامر مني. والنهر الجليدي البارد الذي لا استقرار له، يتقدم يوماً فيوماً. لكن انا الذي آذن له في المسير او في البقاء مع سائر الجليد. انا روح المسكان. اخضع الجبل لي او ازعزع اركانه ...»

﴿تشاؤم﴾ وأأسفاه! ما الحياة الا حلم لا يوقظنا منه غير الموت. وما عدا ذلك اوهام تتغير بتغيرنا. كل منها يخدعنا بدوره. حتى يسدل الموت ستاره فنرى الحقيقة الرهيبة. اليس من الغريب انه كلما ازداد شعورنا بأن الحياة عبث، ازداد تعلقنا

باهداها ، بكل ما نملك من قوة ؟ هذا دليل آخر على ما فينا من طبيعة الحيوان . لانه لو كان الروح العالي الذي نفخه فينا الخالق ، متسلطاً على الطبيعة الحيوانية ، لكتنا نسر بطرح العبء الذي يثقلنا ونشئ منه ، باحثين عن وجود آخر يتغلب فيه النور على الظلام . من بلغ الخامسة والثلاثين ولم يشعر بالسأم يسم الجذل اليسير الذي يكون نصيبه في بعض الاحيان . نبداً الحياة برجاء الحصول على السعادة ثم ينكشف لنا ان ذلك محال ، فنطلب الملذات ، ولكن حتى الملذات تتخلص من قبضتنا ، فننتهي الى التوق الى الراحة ، ولا ننال الراحة الا بالموت »

﴿ رجاء ﴾ « ايها الالم .. انت تلين الانسان كما يلين الالهيب الحديد .. فمن لم يعرفك ايها المعلم ، لم يعرف من الحياة الا اسمها الاجوف . بل هو يطفو على وجه الحياة كما لو كان طافياً على غيمة من غيوم الصيف ، ليس له أثر يتركه وراءه ... لا قطرة عرق من جبينه . ولا دمعة تذرف من عينيه . وقدمه لم تدمها الحجارة المبتوثة في طريقك .. »

لماذا تحبني

للشاعرة مسر برونغ زوجة الشاعر روبرت برونغ

اذا كان لك ان تحبني ، فليكن لاجل الحب فقط .
لا تقل انا احبها لبسمتها ، لنظرتها ، لحديثها اللطيف
للفتة في فكرها تتسق مع فكري وتنشئ شعوراً
بالراحة والطمأنينة كل يوم من ايام الحياة .
لان هذه الاشياء بمحذاتها ، يا حبيبي ، قد تتغير
او قد تتغير في نظرك ، والحب الذي نُسج منها
ينحل كما نُسج . ولا تحبني لما تشعر به من الاشفاق
اذ تمسح الدموع على خدي . فقد ينسى الكائن الذي
تطول نعماء في عطفك ، ان يبكي ، فيفقد حبك كذلك .
ولكن احبني للحب ، لكي يمضي حبنا ، حياً الى الازل

قبرة شلي

لتوماس هاردي

نظمت على مقبرة من ليجهورن — حيث نظم شلي قصيدته في القبرة

هنا في مكان ما ، من هذه المرجة ، يرقد في حمى الارض الفسّاءة
لعمدها العمياء عن وفائها ، شيء يُبعث النبوءة في روح شاعر .
انه حفنة من تراب تجاوزتها العيون وأهملها الناس

هو التراب — تراب القبرة التي سمعها شلي
وبعثها روحاً خالداً في ثنايا الزمان ، مع انها عاشت ككل طائر
غيرها ولم يدر بخلدها معنى خلودها !!

لقد نعمت بحياة هائلة وديعة ثم هوت يوماً ما كومة من الريش
والعظام .. لا يُعرف كيف ماتت .. ولا متى غنّت اغنية الوداع ..
ولا أيّان حلل الفناء عناصر حياتها !!

ومن يدري ! ربما تستقر هذه الروح في صعيد هذه المخضرة التي
تضطرب في مسارح عيني ! او ربما تخفق في خضرة آسة متزاهرة !
او تغفو في صبغة عنبة على منحدرات هذه الارباح

فانسلي يا بنات عبقور .. انسلي وابحي عنها ..
عن هذه الحفنة الصغيرة من التراب الذي لا يقوّم بمال
وهاتي حُقّة مبطنة بالفضّة مغلفة بالذهب مرصعة بالجواهر !

ولنضعها فيها بسلام مقدسة على الزمن ، جزاء
ما اوحى به الى شاعر ، فسما الى عليا طبقات
الافتنان والسحر في سماء الفكر والالخان !!

[ترجمة م . ع . الهمشري]

قيل ا
خدماته على
قبل ان اسأ
كان موقف
على رجلها تم
التي لا تتمتع
على كل حال
وليس
حياة المرأة
البلاط يحق
الروايات ،
صورة المرأة
المرأة الفرنسية
المرأة الفرنسية
نعم ان
عهد نبوليون
ان تغادر بلا
سماحه ، الأ
عمومية اذا
يشاء الأ اذا
من هذا ك
ابنهما ، ولا
والازو
ولكن الزو
لا ينفصل ا

المرأة الفرنسية

حقوقها وآدابها ومكانتها الاجتماعية

قيل ان وفداً ذهب الى الامبراطور لويس فيليب لينبئهُ بأن فرنسا عادت لا تحتاج الى خدماته على العرش فقال « لست اميل الى اجابة طلبكم . ولكنني على كل حال لا اتحرك من هنا قبل ان اسأل زوجتي » ! وقد كان لويس فيليب من طبقة فرنسية متوسطة وموقفهُ نحو زوجته انما كان موقف طبقته نحو المرأة الفرنسية . وليس من يستطيع ان ينكر ، ان للمرأة في فرنسا سلطاناً على رجالها تحسدها عليه نساء البلدان الاخرى . فقد تفاخر نساء تلك البلدان بما فزن به من الحقوق التي لا تتمتع بها المرأة الفرنسية وقد يشفقن عليها لانها متى تزوجت تعامل معاملة القاصر ، ولكنهن على كل حال يحسدهن على المكانة العالية التي نالها بمحمتها وحسن تديرها

وليس في العالم امرأة اُسيء فهمها كما اُسيء فهم المرأة الفرنسية . فالمذكرات التي نشرت عن حياة المرأة في بلاط الملوك تصورها بالصورة التي اجملها فولتير بقوله « كل امرأة متزوجة في البلاط يحق لها ان يكون لها عشيق واحد على الاقل » . اما كتاب العصر الحديث ، وبوجه خاص كتاب الروايات ، من جوتييه الى فرانس الى موباسان وكوليت وبروست ، فقد شرّحوا عواطفها ورسموها في صورة المرأة التي لا تعمل لها الا الاستسلام لشهواتها . ولكن من تستعج له فرصة النفوذ الى حقيقة المرأة الفرنسية ، كما اتيج للعسز برومي احدى زعيمات الكواتب الاميركيات ، يقل معها ، ان المرأة الفرنسية هي رأس البيت ومدار الاسرة

نعم ان القانون الفرنسي يعاملها معاملة القاصر الذي يحتاج الى وصي . وهذا القانون يرتد الى عهد نبوليون ولم يصب من التحول بعد ذلك الا شيئاً قليلاً . وفيه ان الزوجة الفرنسية لا تستطيع ان تغادر بلادها الا اذا اذن لها زوجها في ذلك . ولا تستطيع ان تفتح حساباً في بنك من دون سماحه ، الا اذا كانت تمارس صناعة او تجارة . ولا تستطيع ان تزور اصدقاءها او تختلف الى محلات عمومية اذا رفض زوجها الموافقة . وللزوج الحق في السيطرة على الاولاد ، والتصرف بملكها كيف يشاء الا اذا ضمن عقد الزواج شرطاً خاصاً بانفصال عقار الرجل عن عقار المرأة . بل واغرب من هذا كله ان رجلاً مطلقاً يستطيع ان يسحب مالا من مال زوجته او دعتة في البنك باسم ابنتها ، ولا قبل لها بمعارضة ذلك او منعه ، ما زال المال باسم الولد

والازواج الاندال كثير ما يستغلون هذه القوانين التي تستعبد المرأة الفرنسية لزوجها . ولكن الزوج الفرنسي يوجه عام ، لا يفكر في نهب زوجته لان الزوجين في رأيه متحدان لا ينفصل احدهما عن الاخر . وهو شديد الوداعة ، فلا يفتح رسائلها الخاصة ، ولا يلملي عليها

ما يجب ان تفعله في زيارتها ولو كان القانون يسمح له ذلك . نعم تجد في بعض المناطق الريفية حيث العقيدة الكاثوليكية ما تزال متسلطة على النفوس ان سيطرة الرجل معترف بها ، ولا بد للمرأة من التظاهر بخضوعها لزوجها . ولكن الزوجة الفرنسية في الريف ليست مظلومة ، كما يتصور الغريب عن فرنسا عند مطالعة القانون الخاص بحقوق النساء

واذا تحدثت الى المرأة الفرنسية قالت لك ان الحرب اطلقت حريتها في كثير من النواحي . فقبل سنة ١٩١٤ كانت المرأة الفرنسية الكريمة من سكان العاصمة كانت او من سكان غيرها من المدن لا تجرؤ على ان تظهر في مقهى من المقاهي او مسرح من المسارح الا مع زوجها . ومجرد الاقتراح على السيدة ان تسوق سيارتها بنفسها او ان تشترك في العاب رياضية عامة او ان تنظم في سلك حرفة من الحرف ، كان يحدث صدمة اجتماعية . وكانت الفتاة الفرنسية خاضعة لمراقبة دقيقة حتى زواجها . فكل ما تقرأه كان يراقب . وكان تعليمها اما خاصا في دار والديها او في مدرسة من مدارس البنات فلما جاءت الحرب وولت كانت جميع هذه الحواجز قد اندكت . فلا يندر الآن ان تجد فتيات الطبقة المتوسطة الراقية او الطبقة الارستقراطية ، يذهبن الى مدرسة عالية او كلية ، يذهب اليها اشقاؤهن . ولا ريب في ان اتساع افق الحياة امام الفتاة الفرنسية والمرأة الفرنسية ، قد كان باعثا على نمو قواها في نواح مختلفة . ولكن ذلك لا يمنع ان المرأة الفرنسية كانت حتى قبل ايام الحرية الجديدة ، مخلوقا له مكانة عظيمة في المجتمع الفرنسي

في استطاعة المرأة الفرنسية ان تهز كتفيها استخفافا بالقيود التي يقيد بها القانون الفرنسي . لانها تستطيع ان تسيطر بذاتها وحكمتها على زوجها فينقاد لرايها ، فهي تقول في ذات نفسها « علي ان اضمن سروره وراحته ورفاهته في كل ساعة من ساعات النهار » وهذه هي القاعدة الاولى في دستور حياتها . فاذا علمت ان زوجها اقول اعدت له من الوان الطعام ما يشتهي ، واعدت بيديها الاطباق التي يفضلها على غيرها . واذا درت ان يومه في عمله كان شاقا ، كانت اول من يقترح البقاء في البيت في ذلك المساء . واذا عرفت انه يكره الانتظار ، بذلت ما تستطيع لتكون دقيقة في جميع المواعيد . واذا رأت من الحكمة قضاء اجازة الصيف في الريف في سبيل صحة الاولاد ، ولم يستطع زوجها ان يقضي اكثر من اسبوع او اسبوعين معهم ، تركت في دارها في المدينة الخادم الذي جمع كل ثقتها للعناية بزوجها

ثم ان الزوجة الفرنسية تفعل كل ما تستطيع لكي يصبح زوجها وهو لا يستطيع الاستغناء عنها . وليس عن عبث تقلدها لزام الاتفاق على الاسرة . وانما ذلك لحكمة وهي انها تدبر مالية الاسرة خيرا مما يدبرها هو . ثم انه يبيح لها ان تشرف على نفقاته لان له ثقة بتدبيرها . فهي تستطيع مثلا ان تصنع من فستائين قديمين فستائنا جديدا . واذا وجب ان تقيم في بيتها مأدبة صغيرة لبعض اصدقاء الاسرة ، فهي في الغالب تستطيع ان تعد المعدادات من دون اية ثقة كبيرة . ومن المشاهد في فرنسا بعد الحرب ،

ان ارتفاع نفقات المعيشة وهبوط الدخل قد حتم على الفرنسيين ، وعلى الفرنسيات بوجه خاص ، مواجهة صعاب كثيرة . ولكن المرأة الفرنسية نهضت بهذا العبء على خير وجه . فقد تستغني عن بعض خدماتها ، وتتخذ في دارها نزلاء لزيادة دخل الاسرة ، وهذا يقتضي منها زيادة عملها ولكنها تفضل ذلك ، كما قالت كونتيسة فرنسية ، على ما تواجهه من الهم في آخر كل شهر عند ما يستحق عليها دفع النفقات الرتيبة

وتروي مسز بروملي ، انها تعرف سيدة فرنسية بارعة الجمال ، رشيقة الملابس ، قد تظن اذا حادثتها لأول مرة ان كل ما يهمها في الحياة شؤون الادب والفن . ولكن هذه السيدة تنفق كل يوم احد من صباحها الى ظهره مع زوجها في مكتبه ، تراجع معه دفاره . وهو من ناحية يستشيرها في كل صغيرة وكبيرة من شؤون عمله . ولكنها ، بحكمها ، لا تقف منه موقف المشير المتعالي ، بل تعرض الرأي كأنه رأيه فيحس هو أن زوجته لا تتعدى على حقوق الرجل وامتيازاته

ثم ان المرأة الفرنسية بارعة كل البراعة في توجيه زوجها او اقناعه . فهي تقول في ذات نفسها « ان القانون الفرنسي ينص على ان الزوجة يجب ان تتبع زوجها . ولكنني سوف اقوده في السبيل الذي يجب ان يسير فيه لأنه لا يستطيع ان يصمد لقوة ارادتي ، وتخفي عليه اساليب دهاني » . فهي اذا ارادت ان تقنعه بشيء عمدت الى ترديد حجتها أولاً وثانياً وثالثاً حتى يسلم اعياء . ويروي ان جوريس الاشتراكي الكبير — وقد كان ملحداً — كان يختلف وزوجته في موضوع تعليم اولادها تعليماً دينياً . وان زوجته تغلبت عليه في آخر الامر فسلم بتعليم اولاده التعليم الديني الذي ترضيه زوجته . ذلك انه كان محباً للسلام والسكينة علاوة على كونه ملحداً فأثر السلام والسكينة في بيته على مخالفة زوجته في هذا الموضوع

ولكن المرأة الفرنسية تعمد في الغالب الى اساليب الاطراء والتلق في سبيل رأي تراه . قبل ان زوجة ارادت ان تبعث بأولادها الى مدرسة دينية فعارض زوجها في ذلك . فقالت : « اني اراك متفوقاً على سائر الرجال في قوة الخلق ، واحترم فيك اعجابك بالصفات المعنوية العالية ، وهذه الصفات الممتازة رسخت في نفسك بواسطة تعاليم الكنيسة في حداثتك فلماذا تريد ان تحرم اولادك منها ؟ » وكان ذلك الرجل معجباً بصفاته وخلقه ، فأقرّ ذهب اولاده الى مدرسة دينية

وقلما تصرّح المرأة الفرنسية برأيها كاملاً في موضوع ما . فاذا اختار زوجها شقة للسكن تبعده عن حي صواحبا قالت ان الشقة ليس فيها غرفة مريحة للتدخين — اذا كان زوجها من مدمنيه — او قالت هي بعيدة عن مكتبه . وتروي حكاية عن رجل منقذ يحسن الغناء ويميل الى الشاد قطعة معينة وهو يحلق في الصباح او في مناسبات اخرى . والراجح ان زوجته سمعته يردد هذه الاغنية مئات المرات . ولكن قلما اعربت تلك الزوجة بخلاعة واحدة من خلجات وجهها عن تبرّرها بها ، بل كانت تقول دائماً « ما أعجب ذا كرتك يا فرنسوي » او ما هو من قبيل ذلك . وروت مسز بروملي

كذلك ان صديقة مثقفة من صديقاتها كانت قد تزوجت رجلاً لا يمتاز بشيء إلا باسمه الضخم . وكان من الشائع المعروف ان هذه الزوجة تسيّر هذا الزوج كما تشاء او « تقوده من انفه » كما يقول الفرنسيون . ففي ذات ليلة ، كان هذا الرجل يحض شايًا على وشك الزواج النصيح على مسمع من الضيوف في مأدبة بداره ، واطال في وجوب كون الرجل سيّد الاسرة . ثم التفت الى زوجته وقال « المرأة تريد ان تحكم أليس كذلك ؟ فأجابت « ميه وي فيليب » وعلى ثغرها بسملة لطيفة وليس في صوتها أثر للسكند او الاستنكار

والمرأة الفرنسية تقوم بوظيفتها كامرأة ، خير قيام . فهي حريصة كل الحرص على الوديعة الثمينة التي القتها الحياة بين ايديها ، حتى لقد تمتنع احياناً عن اطلاق هذه الوديعة من قيود عنايتها بعد بلوغ السن القانونية . وهي تربي اولادها تربية طبيعية ، لا تقسح فيها مجالاً للنظريات المتضاربة في علم النفس الحديث ، فتطبعهم بطابع الصدق والحرص وحسن السلوك . وقد تكون الام طبّاخة تشتغل اثنتي عشرة ساعة في النهار ، ولكن ذلك لا يحول بينها وبين الاشراف على تعليم ابنائها وتثقيفهم . او قد تكون محامية ، فلا يمنعها ذلك عن السهر لصنع ملابس طفلها . او قد تكون من سيدات الطبقة الراقية تحضر السهرات والمآدب . على ان واحدة من اولاء السيدات ربّت سبعة اولاد ، كان اربعة منهم اولادها وثلاثة اولاد شقيقتها ، وما كانت تهمل ان تشرف بنفسها كل صباح على شؤون نظافتهم ولبسهم قبل ذهابهم الى المدارس ، او مساعدتهم بعض الظهر في اعداد دروسهم

والوالدان الفرنسيّان يحسّان بتبعة كبيرة قبل اولادها . فهما لا يقنعان بتعليمهم وتثقيفهم ، بل قد يقتتران على نفسيهما شديد التقدير ، لكي يبتاعا داراً او مزرعة او اي عقار ، يورثانه لهم وكثيراً ما يظلّ الوالدان الفرنسيّان — والام بوجه خاص — باسطين جناحيهما على اولادها ، حتى بعد تزوج الاولاد واستقلالهم في الحياة

ولما وضعت الحرب اوزارها تمهد امام المرأة الفرنسية كثير من السبل التي كانت وعرة ، قبلها . فابواب المهن الحرة مفتوحة امامهن الآن ، وكذلك الجامعات . وقد اصاب بعض النساء نجاحاً عظيماً في الاعمال التي مارسنها ، ولكن حكمة المرأة حفظتهن من غضب الرجل المهدد في ميدان عمله لان المرأة الفرنسية احتفظت في ميدان الاعمال برشاقتها وانوثتها ، وامتنعت عن جرح الرجل في كبرائه وقد ظلت بعض النساء الفرنسيات تمارسن الاعمال بعد الزواج . ولكن هؤلاء لسن القاعدة . والمرأة الفرنسية تدرك ، او تعتقد ان « البيت » هو اهم ما في الحياة . فهي لذلك تفضل « البيت » على « العمل » اذا كانا متعارضين او لا يمكن الجمع بينهما

لا ريب في ان الفرنسي يؤخذ عليه عدم انصاف المرأة من ناحية التشريع . ولكن المرأة الفرنسية ببراعتها وحكمتها قد نالت مكانة اعلى من المكانة التي يمنحها اياها القانون . والفرنسي يعلم ذلك . وليس عبثاً ان يكون الرمز الذي تتمثل فيه فرنسا في طوابعها واوراقها الرسمية — صورة امرأة

الزوجة أم الولد؟^(١)

— ١ —

تفشى بين قوم آمنين وباء جارف
وتلاه جوع عاث في الارض فساداً
فمات جمهور كبير بالوباء
وبقي الآخرون يتضورون من آلام الجوع
وهب الجميع يصرخون ويولولون
« ان الآله انزل بنا المصائب لذنب أتيناها »
وهرول الكهنة الى المذبح يسجدون ويضرعون
« انقذنا من المرض ، نجنا من الجوع
خذ منا ما تريد ومن تشاء
اطلب أعز شخص علينا واقرب انسان الينا
فنحن لك من الطائعين »

— ٢ —

ولكن ازدادت مصائبهم وتعددت ضرباتهم
وجاءهم جيش العدو يهب ويقتل ويستبيح
جرت الدماء انهاراً ، وتكدست اشلاء القتلى تلالاً
فجعل الناس يصعدون زفرات حرى ويبعثون انيناً ملاً الفضاء
حاسبين الطبيعة ثارت عليهم بكل قواها وحملت عليهم بجيوش عناصرها
فصلوا للآله وتضرعوا ، حتى سمعوا الجواب
« ان ملككم سعيد بزوجه وولده
أعطوني أعزهما عليه واقربهما الى قلبه »

— ٣ —

ذهب الكاهن يطوي الفياقي ويتوقل الجبال
والملك لاه عنه بالصيد والقنص
لا يهتم بأمور العرش ولا يعبأ بمهام الملك.
وجد الكاهن الملكة ومعها ولدها الوحيد

(١) ترجمة فيها تصرف يسير لقصيدة نظمها الشاعر تيتسون وعرض فيه لهذا السؤال

جميل الوجه ، طلق المحيا ، باسم الثغر ، ذهبي الشعر
نظر إليه الكاهن فحسبه الضحية المطلوبة
فصرخ وقد هزه الفرخ واستخفه السرور
« ان الآله اجابنا فلنقدم له الولد »

— ٤ —

رجع الملك ولم يصب من الصيد نصيباً وافرأ
واقبلت عليه الملكة تذرف دموعاً تزري بالجمان
« لقد أخذوا ولدنا ليهدروا دمه انقاذاً للبلاد »
فالخالة تاعسة والوباء والجوع ملأ الارض جيفاً منتنة
والآلهة يجب ان تعطى شيئاً يرضيها
لتكف عن تعذيب هذا الشعب المنكود
ربك قل لي وقد اخذوا ولدنا للتضحية
أهل هو أعز شيء عليك ام أنا زوجتك ؟

— ٥ —

اطرق الملك ملياً وقد ارتجت عليه أبواب الكلام
وخفق قلبه وجلاً واضطراباً لذلك السؤال المفاجئ
« ما نفع الجواب ايتها الحبيبة وقد حكم الكاهن والحكم نافذ »
ثم أخذ يناجي نفسه ويسأل ضميره وكلاهما لا يحير جواباً
« ايها اعز علي ؟ لا اقدر ان احكم — لا اقدر ان احكم »
لكن الكاهن فرح لاستجابة صلاته فأخذ الولد وهو يقول
« قد حصلنا على أعز شخص عليه ، ولده الوحيد »

— ٦ —

شحنوا المقصلة وعروا الولد من الثياب
وقف الكاهن على المذبح وقد رفع السكين
وما أوشك ان يهوي على عنق الولد حتى رأى الام تحول بينهما وهي تقول
« اذبحوني أنا »

عينا حاول الملك ان يرجعها ، وعن قصدها يثنيها
لكنها تملصت من قبضته وصرخت من صميم الفؤاد
« انا اعز شخص عليه ، انا اقرب انسان الى قلبه »

وارتمت على المذبح وهي تقول « اذبحوني انا »
 فرح الكاهن بذلك لانه علم ان البلاد لا شك خالصة فرفع رأسه نحو السماء وقال :
 ايها الآله ، ها نحن نقدم لك حياة بشرية
 أيهما اعز عليه ، ايهما اقرب الى قلبه — لا نعلم
 الجمال والصحة

الاكنة او حب الصبا

تظهر الاكنة او حب الصبا في الجبهة والانف والذقن والصدر والظهر والكتفين وأما كن
 اخرى من البدن ولكن اكثر ظهورها في الوجه . ويكون ظهورها غالباً بين السنة الرابعة عشرة
 والسنة العشرين من العمر ، ولا سيما في الذين يكثر برد ايديهم وافواههم او الذين تكون دورتهم
 الدموية ضعيفة . وتزيد بالامساك وقد يرافقها سوء الهضم . وتشتد اذا قلت الرياضة البدنية ،
 وقلَّ غسل الوجه ، لضعف فعل الغدد الجلدية . ومن اعراضها العامة القبض وسوء الهضم وضعف
 الدورة الدموية ، وهي تفعل كاسباب لها . وحب الصبا نفسه نقط سود صغيرة تدلُّ على ان افواه
 القنوات الدهنية قد سدَّت بالغبار والوسخ ، واذا عصرت خرجت منها مادة دهنية كاللودة الدقيقة .
 او كثيراً ما يكون هناك انتفاخ محمَّر والنقطة السوداء في رأسه ، وقد يكون صغيراً اصغر من حبة
 العدس ، ويزول سريعاً ، او كبيراً اكبر من الفولة ، ويبقى اسابيع او اشهرآ ، ويقيح ثم يشفى
 ويبقى مكانه ندبة او تصلب دائم

ومن اشدَّ الهموم التي تعرو الفتاة في الصبا ، هو عند ما تبدأ هذه الاكنة بالظهور . فالفئة
 تخشى ان يتحول بعضها كبيراً ويتقيح ويترك مكانه ندبة تشوه صفاء الوجه

✽ العلاج ✽ يجب الالتفات الى الصحة العامة . ومداواة سوء الهضم والقبض ونحوها ،
 بالرياضة وحسن اختيار الاطعمة التي تترك فضلات تسهل حركة الامعاء . واذا كان الجسم ضعيفاً
 وجبت تقويته بشرب زيت السمك ، مثلاً ، او غيره من المقويات ، وبالرياضة في الهواء الطلق
 ونور الشمس على حسب ما يحتمل الجسم من ضروب الرياضة . واذا كان مصاباً بفقر الدم وجبت
 معالجته ، واذا كان قليل الحركة والرياضة وجب ترويض الجسم في الخلاء ، وتعهده بالغسل بالماء
 البارد ، وتنشيطه بالمناشف الخشنة . وتقوى غدد الجلد على افرازها بدهنها بدهون خاصة قبل
 النوم يصفها الطبيب ثم غسلها صباحاً ومساءً ، بمذوّب خفيف جداً من السلياني جزء منه في
 عشرين الف جزء من الماء او قحمة منه في اقة من الماء ، او بماء كولونيا . ولا بد من عصر امكنة
 النقط السود مراراً كل يوم بعد غسلها حتى يخرج ما فيها . اما البثور التي يظهر فيها القيح ، فتلمس
 بعود دقيق غمس في الحامض الكربوليک النقي فيساعد على شفاؤها وزوالها

عَقْلُ الطِّفْلِ

فِي تَطْوُّرِهِ

لاحمد عطية الله

— ٥ —

﴿ الدور الاول : من الولادة الى الثالثة ﴾ ان جسم الطفل بعد الولادة يكون غير متناسق الاعضاء . لان بعض هذه الاعضاء يكون متقدماً في نموه على الاجزاء الاخرى . وتأخذ نمو الجسم في التكامل والتناسق بسرعة فتتعادل الاطراف وتقوى العضلات فلا ينتهي هذا الدور إلا ويكون للطفل القدرة على الحركة والمشي والكلام

كما ان حواس الوليد لا تقوم بوظيفتها على وجهها الاكمل في بادئ الامر . وتأخذ في الدقة والتطور بكثرة استعمالها « راجع المقال السابق » واغلب الحركات التي يقوم بها الطفل في هذا الدور أعمال منعكسة لا يمكن أن يسيطر عليها . وعندما يتم نمو عظامه وعضلاته يظهر ميل الطفل للحركة . وتبدو الغرائز المختلفة المتصلة بهذه الغريزة كالميل للاستطلاع والتقليد والحل والتركيب واللعب والتطور الجسمي والعقلي الذي يحدث في هذا الدور نلخصه فيما يلي

﴿ الاسبوع الاول ﴾ يميز الطفل الفرق بين الاشياء المضيئة والمظلمة . يراقب الاشياء التي تمر ببطء أمام عينيه . يبدأ في استعمال الاذن في اليوم الرابع

﴿ بعد الشهر الاول ﴾ يمكن للطفل ان يميز بين الاصوات . يفرق بين الاشياء الحلوة والمرّة . يدرك الروائح النفّاذة . يظهر اشتنازه أو ألمه وذلك بتحويل رأسه بعيداً عما يضايقه . أو ببكائه

﴿ بعد ست أسابيع ﴾ ترتقي قدرته على الانتباه . بمعنى أنه يستطيع أن يدير وجهه الى المكان الذي يصدر منه الصوت او يندفع الى اتجاه شيء يريد أن يبلغه يميز صوت الانسان عن غيره من الاصوات

﴿ بعد الاسبوع السابع ﴾ يمكن للطفل ان يظهر استحضانه بالابتسام ويقدر على تمييز والدته . كما انه تسكن حاجته بسماع الاغاني

﴿ بعد الاسبوع التاسع ﴾ يكون للطفل القدرة على الحركة ولكن بلا قصد ولا غاية . تظهر غريزته لتقليد الاصوات . وكذلك تظهر عليه معالم الانفعالات لا سيما الغضب والاستغراب والخوف . وعلى الاخص الخوف من التغيير الفجائي كما اذا حملناه فجأة من مجلسه

﴿بعد الشهر الثالث﴾ يظهر الطفل استعداداه للمرح ومقدار قدرته على الضحك
 ﴿بعد الشهر الخامس﴾ يمكن للطفل ان يجلس منفرداً دون مساعدة ، ويحمل الأشياء بيده .
 ويضعها في فمه كما انه يبسط ذراعيه طلباً لمله ويستطيع ان يميز بين شخص وآخر
 ﴿بعد الشهر السادس﴾ يراقب الأشياء التي تسقط من يده على الارض . يدرك صورته في
 المرآة ويراقبها بشغف . كما انه يشير الى الصورة بأصبعه .
 ﴿بعد الشهر الثامن﴾ يظهر الطفل سروراً للاصوات يحدثها ويرمي الأشياء الى الارض بقصد
 ﴿بعد الشهر التاسع﴾ يبدأ الطفل ينطق بعض الالفاظ البسيطة لاسيما الاسماء التي يطلقها
 على ابويه . مثل بابا . ماما . نينا . دادا وان كان هذا الاستعداد يظهر في بعض حالات قبيل هذه السن
 ﴿بعد الشهر العاشر﴾ تظهر غريزة الميل للحركة كما انه يبدي لذة وارتياحاً الى الاكل الذي
 يتناوله ويميز والديه بعد غياب بضعة ايام
 ﴿بعد الشهر الحادي عشر﴾ يحاول الوقوف على قدميه
 ﴿بعد الشهر الثاني عشر﴾ تبدو في الطفل علامات الغيرة ، كما تظهر فيه بعض الميول
 الاخلاقية فهو يشعر بالخطأ والصواب
 ﴿الشهر السادس عشر﴾ تبدأ قدرته على نطق بعض الكلمات الاختيارية مثل لاثم . آ . نعم .
 ويبكي اذا نهزناه
 ﴿الشهر الثامن عشر﴾ يمكن للطفل في هذا السن ان ينطق ببعض جمل صغيرة عن والده
 ويميز بعض الأشياء الغريبة كالحصان او القطار
 ﴿الشهر التاسع عشر﴾ يقدر الطفل على استعمال ذاكرته . يظهر ميله للاقتناء . يأخذ مظهر
 الانانية والاثرة بأن يخطف اللعب التي في يد غيره من الاطفال ويبحث عن المكان الذي يريده بنفسه
 ﴿الشهر العشرون﴾ يظهر ميل الطفل للاجتماع والاختلاط
 ﴿بعد عامين﴾ تظهر عناية الطفل بنظافة نفسه فلا يميل مثلاً الى بلّ ملابسه او جسمه بالماء
 او الى اللعب في الطين والوحل
 ﴿الطفل في عامه الثالث﴾ ظهور غريزة اللعب باستعمال الادوات التي يجد انها وسائل
 للعب . فيتخيل العصا قطاراً ، والصناديق الفارغة جنوداً . تظهر قدرته على تقدير الزمن الماضي
 المستقبل . يميل الى الاعتداد بنفسه والى العناد ، يبدأ في الشعور بأنه له شخصية مستقلة عن
 حوله . يقدر الطفل على التمييز بين الكذب والحقيقة . يفرق بين ما يقوم بقصد المزاح او بقصد
 الجد . يمكنه اذا أمر ان يعين اذنه او فمه او انفه تعييناً صحيحاً او في صورة تعرض عليه . يمكنه
 ان يكرر جملة لا تزيد على ست كلمات بلا خطأ . يمكنه ان يكرر رقماً مكوناً من عددين . يمكنه ان
 يعدد الأشياء المعروفة لديه على صورة معروضة امامه . يمكنه ان يعدد أسماء بعض افراد عائلته

الأمراض النفسية

الهستيريا (الهرع : الجلي)

للدكتور شكري جرجس

عرف هذا الداء منذ القدم وكانوا في العصور الوسطى ينسبونه الى الشياطين والجن او السحرة او غضب الآلهة . ولم يزل هذا الاعتقاد سارياً عند عامة الشعب المصري حيث يستعملون الزار لاجراجه . ثم اعتبر من الامراض التي تنتاب النساء فقط وزعموا انه ناتج من «بخار بيت الرحم الحار» ولقد ظهر هذا المرض بشكل وباء من وقت لآخر ولم يزل يظهر حتى الآن في بعض الاوساط المدرسية

واول من شرع يدرس هذا المرض درساً علمياً هو العلامة الدكتور الفرنسي (شاركو) فكان يظن ان الفكر اهم باعث من بواعثه . ولذا ابتداءً بحنه من هذه الوجهة فاسفر عن نتائج باهرة وخصوصاً على يد تلميذه البرفسور (جانيت) بياريس الذي اعتقد ان اصل الداء هو اضطرابات في العقل . ولقد ادنى هذا الاكتشاف الى تغييرات هامة في الطب ثم جاء الاستاذ (فرويد) النمساوي فاخرج نظرياته الهامة في التحليل النفسي

هذا المرض لا ينحصر في مملكة واحدة او جهة واحدة بل هو عام في كل زمان ومكان غير انه يقال ان بعض الشعوب كاللاتين والصقالبة واليهود اكثر تعرضاً له من غيرهم . ويكثر ظهوره حوالي سن المراهقة ويندر بعد الخامسة والعشرين ولا يعرف قط بعد سن الخامسة والاربعين . وهو كثير الانتشار في الاطفال وخصوصاً البنات . ولقد يكون للوراثة اثر خطير فيه نظراً للوسط والحالات التي يوجد فيها الطفل في اول نشأته . اما العنصر المهم الداعي لظهور هذا الداء فهو الدعر والخوف الشديد . ولكن في بعض الاحيان تكون العوامل المسببة له هي عدم الرضى عن الحياة باجمعها او عن المعيشة التي وجدت في وسطها المريضة مثل عدم الارتياح الى الحياة الزوجية او قد ينشأ عن ان المريض لا يرتاح الى وظيفته او مهنته او عن حملته تبعة كبيرة فوق طاقته . او قد يكون سببه في بعض الاحيان موت بعض الاقارب فجأة او ضياع محبة عزيز على النفس . وقد ينتشر هذا الداء فجأة في شكل وباء في المدارس وخصوصاً الداخلية منها وكذلك في الاوساط الدينية كالاديرة وغيرها

﴿اجتناب هذا الداء﴾ اما عوارض هذا الداء فكثيرة ومتنوعة حتى انه غالباً ما يشتبه فيها بعوارض اي مرض آخر ويمكننا تقسيمها الى : —

(١) عوارض عصبية

(٢) عوارض نفسية

(٣) عوارض حسية

(٤) عوارض تختص باعضاء الانسان

فالعوارض العصبية تظهر في شكل نوبات تشنجية تنتاب المريضة من وقت الى آخر وغالباً تكون بعد تغير نفساني شديد وهذا اما يعقبه رأساً او بعد مضي وقت قصير او يتخلله بكاء وضحك على التوالي . وفي هذه الحالة تشكو المريضة من احتقان في العنق مع بعض آلام شديدة في بعض اجزاء الجسم وبعد ذلك تتشنج المريضة وتصير في شبه غيبوبة فتقع على الارض وقد تستمر هذه الحالة بضعة دقائق وبعدها تعود المريضة الى رشدها . هذه النوبات تختلف عن حالات اخرى تعرف بنوبات الصرع Epilepsy ففي هذه الحالة تفقد المريضة وعيها فقداً تاماً وخفاة تقع على الارض وتجرح نفسها جروحاً خطيرة وتعض لسانها وتتنفس بسرعة وتغمض عينيها بشدة حتى لا يمكن فتحها بالقوة ويعقب كل ذلك غيبوبة طويلة

اما العوارض النفسية فأولها ضعف الارادة والتشوق الى الحب والحنان والتأثر باقل فكرة طارئة . ولقد ينتهر المريض اقاربه واصحابه نظراً لسوء فهم حالاته النفسية وهذا مما يزيد الطين بلة . ولربما كانت حالتهم العقلية من حيث الذكاء جيدة ، ولو انهم بعض الاحيان يصابون بفقدان الذاكرة نظراً لتضارب العوامل النفسية فيهم . فاذا كانت شديدة تكونت تلك العوارض التي يسير فيها المريض مسافات بعيدة على غير وعي ولا هدى ويفقد الشخصية بأجمعها

﴿الهروع والحزن المستمر﴾ يصف الطب الحديث نوعاً مخصوصاً من هذا الداء يسمى (هستريا الزعل) وهي تختلف عن الهستريا الجسدية . ولو ان لكليهما سبباً واحداً نفسانياً . ففيها كما يدل اسمها يصبح المريض عبداً لتأثيرات حزن عميق واوهام خيالية Phobia وهذا النوع كثير الانتشار حتى انه ليندر ان نجد شخصاً لا تنتابه هذه العوارض . فمثلاً الخوف من الظلام . وعلى ذلك لا يمكن للمريضة ان تدخل او تجلس في غرفة مظلمة . كذلك الخوف من بعض الحيوانات كالقيران والهررة وغيرها او الخوف من السكاكين او اي شيء مدبب والخوف من المكروبات او من علو شاهق او من السير في الصحارى . فالمرضى يمتلئ رعباً اذا حاول السير في ميدان فسيح لا يوجد به انسان وكذلك الخوف من اماكن ضيقة كالسفر في القطارات او عبور نفق او الخوف من الامراض او اخذ العدوى او غير ذلك من انواع الخوف المختلفة التي لا يمكن حصرها . ولقد تركز هذه

العوارض في بعض اجزاء الجسم وفي هذه الحالة يجب على الطبيب الحاذق ان يفرق بين الحالات الحقيقية والحالات الناشئة من الهستيريا التي غالباً ما تكون مصحوبة بأرق وانقباض النفس . ولقد تزداد هذه العوارض ويستهدف المريض الى نوع من الجنون

ومن ضمن العوارض التي ربما لا يلاحظها المريض هي فقد الحس في بعض اجزاء الجسم وغالباً تكون في جهة واحدة منه على ان المريض لا يجد غضاضة من ذلك . ولكن في بعض الاحيان تزداد حساسة بعض الاعضاء كالعين مثلاً ولذا يتألم من الضوء البسيط ويحب الحجر المظلمة

الشلل الناتج من الهستيريا * اما الشلل الناتج من الهستيريا فلا يؤثر في عضل واحد بل في مجموعة بذاتها كاليد او الرجل ولكن لا تضعف هذه العضلات وتضمحل كما في الشلل العادي وفي بعض الاحيان تظهر حالات عجيبة اخرى بدلا من وقوع الشلل فمثلاً يلتفتخ البطن وتظهر المرأة كأنها حامل . كذلك في بعض الاحيان توجد رعشات متوالية اما في اليد او في العنق او ان القلب ينبض نبضاً سريعاً ويقل التنفس مع سعال شديد

ولقد تظهر الهستيريا بشكل عوارض في القناة الهضمية او آلام في المعدة او سوء هضم او صعوبة في الباع او بشكل قيء يستمر بضعة سنوات ونفوس من الاكل مما يفضي الى هزال المريضة وضعفها . وفي بعض الاحيان يظهر انتفاخ في الجسم كله (Oedema) واسهال شديد وغير ذلك من العوارض الكثيرة

ومن الحالات العجيبة التي رأيتها ان اصابع اليد التي يمسك بها الانسان القلم تأخذها حركة ميكانيكية وتتقلص كلما وضع قلم بها وهو ما يعرف برعشة الكاتب

اما كيفية تشخيص هذا الداء فأتركه للطبيب الحاذق لانه ليس من السهل التفريق بين العوارض الحقيقية والعوارض الناشئة من الهستيريا فعلى الطبيب ان يتعرف الحالات النفسية التي تختلج في ضمير المريض والوسط الذي يعيش فيه حتى يمكن تشخيصه بدقة

وهذا الداء ليس يخطر على حياة المريضة ولكنه ينعص عيشتها وعيشة من حولها من الاقرباء ولقد تعتمد المريضة في بعض الاحيان الى الانتحار بعد ان تيأس من شفائها وخصوصاً بعد ذهابها عبثاً الى عدة اطباء وكثرة المصاريف التي صرفتها

* منشأ الداء ونظرية التحليل النفسي * ان اول من درس هذا الداء درساً علمياً هو (جانيت) بياريس ولقد برهن ان سببه هو انفعالات نفسية في العقل الباطن تظهر بشكل هذه العوارض ثم أتى بعد ذلك الدكتور (بابنسي) وأثبت ان الهستيريا عبارة عن تأثير الايحاء الذاتي (Autosuggestion) لان اغلب هؤلاء المرضى ضعاف الارادة وعلى ذلك يسهل الاستهواء النفسي . واستمرت تلك النظرية حتى أتى العلامة (فرويد) وتقدم خطوة اخرى وبين ان الافكار المعارضة

للرغبات في الصغر تحفظ في العقل الباطن لما يصحبها من آلام او حزن او غير ذلك وتلك الافكار تحاول ان تظهر بشكل هذه العوارض الهستيرية وهو يقول ان تلك الرغبات او الاحلام اللذيذة تتعارض مع ما يجده الانسان من الحالات الحقيقية المرة وعلى ذلك يحب المريض ان يعيش في عالم آخر ويفضل احلامه اللذيذة عن مواجهة الحقيقة ويؤكد الاستاذ (فرويد) ان اكثر تلك الرغبات تتعلق بالذة التناسلية بأكبر معانيها وخصوصاً في عهد الطفولة . وحيث ان هذه الرغبات قد اودعت في العقل الباطن (Sub-Conscious) ومنعت من الظهور في العقل الواعي (Conscious Mind) فتجهد ان تجد لها منفذاً وغالباً ما تظهر بشكل مستتر نظراً الى المقاومة التي تجدها في العقل الواعي ، واذا حللنا معظم هذه العوارض نجد ان اغلبها ينطبق على هذه النظرية لان معظمها عبارة عن ارضاء لتلك الرغبات فالقوة الكامنة في العقل الباطن من تأثير هذه الرغبات تتحول الى عوارض جسدية * كيف يمكن علاج الداء * ان اهم نقطة يجب ملاحظتها هي الاجتهاد في منع ظهور هذا الداء قبل وقوعه . فلقد تبين لنا انه يجب تربية الاطفال تربية حقة وتنقيف مداركهم وخصوصاً بما يتعلق بحالاتهم النفسية . ومع انه يوجد في بعض العائلات استعداد لهذا المرض غير انه يمكن اجتنابه بتعليم ماهية الغرائز وخصوصاً غريزة التناسل التي يعتبر الاستاذ (فرويد) Freud انها تبتدىء من عهد الطفولة . ويجب الاحتراس من قمع تلك الغرائز بالقوة ويجب ان يدرك جميع الآباء خطر هذا الموضوع ويدرسوه بدقة من كل الوجوه لانه ربما يكونون هم السبب في تعريض مستقبل الطفل لذلك الداء بجهاهم تلك الحقائق

اما العلاج الذي كان يصفه بعض الاطباء كالتدليك او الكهرباء بنوعها او غير ذلك من العلاجات الطبيعية فلا فائدة منها لان اصل الداء ليس جسيماً بل هو عقلي . ولو ان هذه العلاجات تفيد في بعض الاحيان اذا كانت لها تأثير نفسي بالايحاء الى المريض . اما المسكنات كاملاح البروميد وغيرها فلا تفلح بل غالباً ما تضر الشخص . واحسن علاج اكتشف في العصر الحاضر هو العلاج النفسي Psycho-therapy فهو العلاج الوحيد للشفاء فلاستهواء يفيد في اكثر الحالات ولكن ضمن علاج هو التحليل النفسي Psychonalysis انما هناك بعض عقبات لهذا العلاج منها طول المدة التي يضحي بها الطبيب ومجهوده الذي يبذله لاطهار الافكار الكامنة في العقل الباطن المسببة لهذا الداء ثم وضعها امام العقل الواعي وبهذه الطريقة امكن شفاء عدة اشخاص بالقطر المصري كانوا قد يئسوا من رجوعهم الى حالاتهم الطبيعية الاصلية

باب المراسلة والمناظرة

العرض عند عرب الجاهلية

بين الاب لامنس المستشرق وصاحب الكتاب

بقلم بشر فارس

يعلم قراء المقتطف انني اخرجت كتاباً باللغة الفرنسية عنوانه « العرض عند عرب الجاهلية » (ارجع الى « مكتبة المقتطف » يونيو ١٩٣٣) وبه نلت شهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس وقد أراد الله لهذا الكتاب ان يظفر برضى المستشرقين فضلاً عن نقاد الصحف والمجلات في الشرق العربي وفي اوروبا . الآن ان الاب لامنس المستشرق المقيم ببيروت والكاتب في مجلة المشرق بدا له ان يعيب كتابي . فعقد في « المشرق » (يوليو ١٩٣٣ صفحة ٥٤٨) فصلاً ذهب فيه الى ان في كتابي مواضع للنكير والغمز . فرددت عليه من فوري . فأبى ان ينشر ردي ، بل عاق عليه تعليقا مضطرباً . فأدر كته بردي آخر كان حظه حظ الاول . وكأني بالاب لامنس يعيب كتابي ثم يأتي ان ينشر اجابتي لاني تتبعت تأليفه عن العرب تتبع من لا يعرف الهوانة ولا التواني . وبيان ذلك انني اخذت عليه تحميله على الاسلام واستخفافه بالعرب ، ثم اشرت الى سقطاته في الترجمة وأوهامه في التعليل ونهت الى اضطراب مصادره . هذا ، ثم اني لما رأيت مجلة المشرق قد سُدَّتْ دوني ، خروجا على سنة المناظرة فزعت الى المقتطف الرحب وهاءنذا انقل ما دار بيني وبين الاب لامنس

اولا — نقد الاب لامنس الاول

الشرف (العرض) عند العرب قبل الاسلام

لقد كان من السهل لحسين سنة خلت ، ان يؤلف كتاب كهذا . وذلك ان الناس كانوا يقرّون اجالا بصحة نسبة الشعر الجاهلي بكامله وبصحة نسبة الاحاديث المتعددة وما اليها من نوادر وشروح وتعاليق اما اليوم فقد اصبح العلم ينظر نظر الشاك الى الكثير من هذه المواد . على ان المؤلف لا يجمل ذلك ، بل يعرف خاصة نظريات طه حسين في الموضوع ، ويحاول تفنيدها بطريقة تضطرب بين النجاح والفشل هذا والكتاب حسن الطبع ، مقبول المظهر ، لا بأس في انشائه الفرساوي (كذا) على الغالب ، ولا بأس كذلك في اسلوب البحث فيه وهو الاسلوب الذي استفادته المؤلف من اساتذة علم العمران في فرنسا . اما مواد البحث فتظهر كافية على الغالب . الآن ان المؤلف لا يستند في اكثر قياساته الا

الى كتاب او اثنين من مؤلفات العرب . فضلاً عن ان كثيراً من الاستنتاجات لا تركز على اس متين ، حتى يسهل (كذا) على الناقد ان ينقضها بعشرات الشواهد تفيد عكس ما يرمي اليه الكاتب . وفوق ذلك تراه يستند ، في ما خص حادثة جاهلية ، الى الدكتور غوستاف لوبون . وهذا لعمري غاية الغايات ، اذ لا يخفى على احد ان ذاك الطبيب لم يكن ليحسن كتابة اسمه بالحروف العربية ثانياً — ردى على هذا النقد

حضرة رئيس تحرير مجلة « المشرق الغراء »

أما بعد فقد اطلعت في « المشرق » على نقد للكتاب الذي ألفته وعنوانه « العرض عند عرب الجاهلية » ، ولي في ذاك النقد آراء ، وفي مأمولي ان يفسح لها مكان في « المشرق » ان ناقد كتابي يأخذ عليّ معالجة موضوع عولت فيه على الشعر الجاهلي على حين هذا الشعر مشكوك في صحته . والحقيقة اني لم اعتمد عليه اعتماد من يريد ان يفحص عن الادب الجاهلي وليكني استندت اليه لا تدبر العقلية الجاهلية ذهاباً مني الى ان ذلك الشعر يدل عليها ويشف عنها وان كان غير صحيح ، ذلك بان الذين وضعوه كله او بعضه حملوه على شعراء الجاهلية فاضطروا الى ان يعارضوا الشعر الجاهلي المعارضة كلها فجاءت قصائدهم على نحو قصائد الجاهليين مبنياً ومعنى ، ولقد بينت ذلك في مكانه (ارجع الى ص ٩ وما يليها) . ثم ان الناقد يأخذ عليّ رجوعي الى الحديث النبوي ، فانه يعده موضع نظر بل محل شك . والتحقيق اني رجعت اليه على غير اندفاع ولا تهور . هذا واني اقت ميزاناً موزعاً بين فقه اللغة والقرائن في سبيل تمحيص الاحاديث التي عولت عليها (ارجع الى ص ٦ و٧ الحاشية) . وبعد فما لامساغ فيه للشك ولا مجال للجدل انه لا منصرف عن الشعر الجاهلي والحديث لمن يريد ان يتدبر الجاهلية ثم ان الناقد يحكم في بعض فصول كتابي متنقصاً ايها طاعناً فيها دون ان يقيم الادلة على حكمه . مثال ذلك قوله « ان طريقة تفنيدي لآراء الدكتور طه حسين تضرب بين النجاح والفشل ، وقوله « لا بأس في اسلوب بحثي » ، وقوله « ان مواد البحث تظهر كافية على الغالب » ، وقوله « ان استنتاجاتي لا تركز على اس متين ، حتى (كذا) يسهل على الناقد ان ينقضها بعشرات الشواهد تفيد عكس ما ارمي اليه » وهناك مطاعن لا تثبت عند النظر . منها قوله اني استشهد بالدكتور (غوستاف لوبون) . والحقيقة اني لم اعتمد على تصانيف الرجل الا في تحفظ وحذر . (وقد صرحت بذلك في ص XXII) والدليل على قولي هذا انني ذكرت كلامه ثلاث مرات : مرة حين تحدثت عن الحياة الصحراوية الشاقة (ص ١٢٠) ولا يختلف اثنان في هذا . وأما المرتان الاخرتان (ص ٢٤ ، ١٧٦) فلم اذكر (غوستاف لوبون) الا في تحفظ ما بعده تحفظ ، وشاهد ذلك اني نقلت كلامه في صيغة الشك والاحتمال التي يفتن اليها كل من له اطلاع على النحو الفرنسي . ومن تلك المطاعن أيضاً قوله « انني لا استند في اكثر قياساتي الا الى كتاب او اثنين من مؤلفات العرب » . والواقع انني عولت في تصنيف كتابي على ما يزيد على سبعين مصنفاً عربياً قحاً (ارجع الى جدول المصادر)

على انني اذكر الآن من تلك المصادر «القرآن والحديث والسيرة وكتب التاريخ التي ترجع الى الجاهلية وصدر الاسلام وامّات كتب الادب والاخبار كمثّل كتاب الاغانى والبيان والتبيين للجاحظ وكتاب الحيوان له وكتاب البخلاء له والعقد الفريد لابن عبد ربه والاشتقاق لابن دريد والاصنام لابن الكلبي والمعارف لابن قتيبة وعيون الاخبار له والميسر والقداح له وطبقات الشعراء لابن سلام ومجمع الامثال للعديني والكمال له برد والامالي للقالي والعمدة لابن رشيقي والمزهر للسيوطي ثم الحماستين وديوان حسان وديوان السموأل والمفضليات وشعراء النصرانية، فضلاً عن المعجمات وكتب اللغة»
ثالثاً — تعليق الاب لامنس على ردي (المشرق ٢٤ نوفمبر ١٩٣٣)

لقد أثار وصفنا لكتاب الأديب بشر فارس (في مشرق هذه السنة، ص ٥٤٨ — ٥٤٩) حماسة المؤلف فأتحفنا بكتاب طويل، نسي فيه ان يشكر لنا التقريظ (كذا)، ولكن لم ينس ان يحتج شديداً على النقد. اما نحن فليس علينا الاّ ايضاح واحد، وهو اننا لم نقل ان المؤلف يجهل موضوعه، بل اشرنا الى انه يكتب غالباً بشاهد او شاهدين في تأييد أمر يسهل على الناقد نقضه بعشرة شواهد تفيد عكس ما يرمي اليه الكاتب
رابعاً — تعليق على ايضاحه

نقدت مجلة «المشرق» الغراء في عددها الصادر في يوليو هذه السنة كتابي «العرض عند عرب الجاهلية» الذي الفتته باللغة الفرنسية فرأيت في ذلك النقد ما لا يجدر بكتابي فبعثت الى «المشرق» برد على ذلك النقد ولكنه لم ينشر «لشدة اسلوبه»؟ الاّ ان صاحب النقد عاد الى الموضوع في شهر نوفمبر الماضي فصرح بأنه لم يأخذ عليّ الاّ شيئاً واحداً هو اكتفائي غالباً بشاهد او شاهدين في تأييد أمر يسهل على الناقد نقضه بعشرة شواهد تفيد عكس ما يرمي اليه الكاتب والذي عندي ان النقد لا يثبت على هذا النحو. ولقد كان يحق لمن نقد كتابي ان يضرب الامثال فيما يذهب اليه. هذا ثم ان صاحب النقد رأى انني لم اشكر له ثناءه على كتابي فاني اعتذر اليه من فعلتي. على انني لم افطن البتة انه وصف كتابي الوصف الحسن

ذلك ما دار بيني وبين الاب لامنس ثبتت الله قدمه والذي استخلصه من هذا كله ان الرجل تقم عليّ دفعي بعض نظرياته وأقواله في العرب والاسلام. وعندي ان الاولى بالاب لامنس ان ينازلي في الميدان الذي جلت فيه فيصرعني والحجج المواضي بين يديه. فان العلم لا يدفع الاّ بالعلم. وان بدا للاب لامنس ان يجادلني بعد هذه فليبادر — باديء بدء — الى التنصل مما رميته به وليسع سعيه في رد الاوهام المختلفة التي نسبتها اليه من طريق علمي ووالله ثم الله لولا اني رأيت واحداً ممن يلحق بالمستشرقين قد غاب ناحية من نواحي كتابي مستنداً الى نقد لامنس لما شغلت باب المراسلة والمناظرة الى هذا الحد. واما ذلك الذي غاب كتابي ولقد ارسلت الى المجلة التي نشر فيها نقده («دير اسلام» الالمانية، العدد الاخير) ما يدفع قوله دفعاً

مكتبة المقتطف

الملاح التائه

ديوان علي محمود طه — ١٦٠ صفحة قطع وسط — ثمنه ٨ غروش

إذا أردت أن اكتب عن شعر فقرأته كان من دأبي أن أقرأه متنبهاً أتصفح عليه في الحرف والكلمة إلى البيت والقصيدة إلى الطريقة والنهج إلى ما وراء الكلام من بواعث النفس الشاعرة ودوافع الحياة فيها وعن أي أحوال هذه النفس يصدر هذا الشاعر وبأيها يتسبب إلى الإلهام وفي أيها يتصل الإلهام به وكيف يتصرف بمعانيه وكيف يسترسل إلى طبعه ومن أين المأني في رديئه وسقطه وبماذا يسلك إلى تجويده وابداعه

ثم كيف حدة قريحته وذكاء فكره والملكة النفسية البيانية فيه وهل هي جبارة متعسفة تملك البيان من حدود اللغة في اللفظ إلى حدود الإلهام في المعنى ملكة استقلال تنفذ بالأمر والنهي جميعاً أو هي ضعيفة رخوة ليس معها إلا الاختلال والاضطراب وليس لها إلا ما يحمل الضعيف على طبعه المكشود كلما عنف به سقط به ؟

أتبين كل هذا فيما أقرأ من الشعر ثم أزيد عليه انتقاده بما كنت أصنعه أنا لو أني عاجلت هذا الغرض أو تناولت هذا المعنى ثم أضيف إلى ذلك كله ما أثبتته من أنواع الاهتزاز التي يحدتها الشعر في نفسي فاني لا طرب للشعر الجيد الوثيق أنواعاً من الطرب لا نوعاً واحداً وهي تشبه في التفاوت ما بين قطرة الندى الصافية في ورق الزنبقة وقطرة الشعاعة المتألقة في جوهر الماسة وموجة النور المتألهة في كوكب الزهرة

وأكثر الشعر الذي ينظم في أيامنا هذه لا يتصل بنفسه ولا يخف على طبعي ولا أراه يقع من الشعر الصحيح إلا من بعد وهو مني أنا كل رجل يمر بي في الطريق لا أعرفه فلا ينظر إلي ولا أنظر إليه فما أبصر منه رجلاً وإنسانية وحياة أكثر مما أراه ثوباً وحذاء وطربوشاً . والعجيب أنه كلما ضعف الشاعر من هؤلاء قوي على مقدار ذلك في الاحتجاج لضعفه وألهم من الشواهد والحجج ما لو ألهم بعدده من المعاني والأحوال لكان عسى

فاذا نافت المعاني الفاظها واختلفت الألفاظ على معانيها — قال : أن هذا في الفن . . . هو الاستواء والاطراد والملاءمة وقوة الحبك . وإذا عوض وخانه اللفظ والمعنى جميعاً وأساء ليتكلف وتساقط ليتحذلق وجاءك بشعره وتفسير شعره والطريقة لفهم شعره — قال : أنه أعلى من أدراك معاصريه وأن عجرفة معانيه هذه آتية من أن شعره من وراء اللغة ، من وراء الحالة النفسية

من وراء العصر . من وراء الغيب . كأن الموجود في الدنيا بين الناس هو ظل شخصه لا شخصه والظل بطبيعته مطموس مبهم لا يبين ابانة الشخص . واذا اهلك الشاعر الاستعارة وأمراض التشبيه وخلق المجاز بحبل — قال لك : انه على الطريقة العصرية وانما سدود وقارب وأصاب وأحكم . واذا سمي المقالة قصيدة وخلط فيها خلطه وجاء بها في اسوأ معرض وأقبحه وخرج الى ما لا يطاق من الركاكة والغثاثة — قال لك : هذه هي وحدة القصيدة فهي كل واحد افرغ افرغ الجسم الحي رأسه لا يكون الا في موضع رأسه ورجلاه لا تكون الا في موضع رجله ...

تلك طبقات من الضعف تظاهرت الحجة من اصحابها على انها طبقات من القوة غير ان مصداق الشهادة للاقوياء عظامهم المشبوحة وعضلاتهم المقتولة وقلوبهم الجريئة أما اللسنة فهي شهود الزور في هذه القضية خاصة

هناك ميزان للشاعر الصحيح وللآخر المتشاعر فالاول تأخذ من طريقته ومجموع شعره انه ما نظم الا ليثبت انه قد وضع شعراً والثاني تأخذ من شعره وطريقته انه انما نظم ليثبت انه قرأ شعراً ... وهذا الثاني يشعرك بضغفه وتلفيقه انه يخدم الشعر ليكون شاعراً ولكن الاول يريك بقوته وعبقريته ان الشعر نفسه يخدمه ليكون هو شاعره

اما فريق المتشاعرين فليمثل له القارئ بمن شاء وهو في سعة ... واما فريق الشعراء ففي اوائل امثلته عندي الشاعر المهندس علي محمود طه . اشهد : اني اكتب عنه الآن بنوع من الاعجاب الذي كتبت به في المقتطف عن اصدقائي القدماء : محمود باشا البارودي واسماعيل باشا صبري وحافظ وشوقي . رحمهم الله واطال بقاء صاحبنا . فهذا المهندس الشاب اوتي من هندسة البناء قوة التمييز ودقة المحاسبة ووهب ملكة الفصل بين الحسن والقبح في الاشكال مما علت من العلم وما علت من الذوق وهذا الى جلاء الفطنة وصقل الطبع وتموج الخيال وانفساح الذائرة وانتظام الاشياء فيها وبهذا كله استعان في شعره وقد خلق مهندساً شاعراً ومعنى هذا انه خلق شاعراً مهندساً وكأن الله تعالى لم يقدر لهذا الشاعر الكريم تعلم الهندسة ومزاوتها والمهارة فيها الا لما سبق في عامه انه سينبع نبوغه للعربية في زمن الفوضى وعهد التقليل وحين فساد الطريقة وتخلف الاذواق وتراجع الطبع ووقوع الغلط في هذا المنطق لانعكاس القضية فيكون البرهان على ان هذا شاعر وذلك نابغة وذلك عبقرية — هو عينه البرهان على ان لا شعر ولا نبوغ ولا عبقرية . وهذه فوضى تحتاج في تنظيمها الى (مصلحة تنظيم) بالهندسة وآلاتها والرياضة واصولها والاشكال والرسوم وفنونها فجاء شاعرنا هذا وفيه الطب لما وصفنا فهو ينظم شعره بقريحة بيانية هندسية أساسها الاتزان والضبط ، وصواب الحسبة فيما يقدر للمعنى ، وابداع الشكل فيما ينشئ من اللفظ ، والا يترك البناء الشعري قائماً ليقع ، اذ يكون واهناً في اساسه من الصناعة ، بل ليثبت ، اذ يكون اساسه من الصناعة في رسوخ وعلى قدر

وديوان «الملاح التأه» الذي أخرجه هذا الشاعر لا ينزل بصاحبه من شعر العصر دون الموضوع الذي اومأنا اليه ، فما هو الا ان تقرأه وتعتبر ما فيه بشعر الآخرين حتى تجد الشاعر المهندس كأنه قادم للعصر محملاً بذهنه وعواطفه وآلاته ومقاييسه ليصلح ما فسد ، ويقيم ما تدعى ، ويرمم ما تحرب ، ويهدم ويبني

ديوان الشاعر الحق هو اثبات شخصيته ببراهين من روحه . وها هنا في «الملاح التأه» روح قوية فلسفية بيانية ، تؤتيك الشعر الجيد الذي تقرأه بالقلب والعقل والدوق ، وترآه كفاء اغراضه التي ينظم فيها ، فهو أكثر حين يكون الاكثار شعراً ، مقل حين يكون الشعر هو الاقلال ، ثم هو على ذلك متين رصين ، بارع الخيال ، واسع الاحاطة ، تراه كالدائرة يصعد بك محيطها ويهبط ، لا من انه نارل او عال ، ولكن من انه ملتف مندمج ، موزون مقدر ، وضع وضعه ذلك ليطوح بك وهو شعر تعرف فيه فنية الحياة ، وليس بشاعر من لا ينقل لك عن الحياة نقلاً فنياً شعرياً ، فترى الشيء في الطبيعة كأنه موجود بظاهره فقط ، وترآه في الشعر بظاهره وباطنه معاً ، وليس بشعر ما اذا قرأته ، واسترسلت اليه لم يكن عندك وجهاً من وجوه الفهم والتصوير للحياة والطبيعة في نفس ممتازة مدركة مصورة

ولهذا فليس من الشرط عندي ان يكون عصر الشاعر وبيئته في شعره ، وانما الشرط ان تكون هناك نفسه الشاعرة ، على طريقتهما في الفهم والتصوير وانت تثبت هذه النفس بهذه الطريقة ان لها ان تقول كلماتها الجديدة ، وانها مخولة له الحق في ان تقولها ، اذ هي للعقول والارواح اخت الكلمة القديمة — كلمة الشريعة التي جاءت بها النبوة من قبل

وليس في شعر علي طه من عصرياتنا غير القليل ، ولكن العجيب انه لا ينظم في هذا القليل الا حين يخرج المعنى من عصره ويلتحق بالتاريخ ، كرناء شوقي ، وحافظ ، وعدلي باشا ، وفوزي المعلوف ، والطيارين : دوس وحجاج ، والملك العظيم فيصل . فان يكن هذا التدبير عن قصد وارادة فهو عجيب ، وان كان اتفاقاً ومصادفة : فهو عجب ، على انه في كل ذلك انما يرمي الى تمجيد الفن والبطولة في مظاهرها ، متكلمة ، وسياسية ، ومغامرة ، ومالكة

اما سائر اغراضه فانسانية عامة ، تتغنى النفس في بعضها ، وتمرح في بعضها وتصلي في بعضها ، وليس فيها طيش ولا فجور ولا زندقة الا ... ظلالات من الحيرة او الشك ، كتلك التي في قصيدة « الله والشاعر » واطنه يتابع فيها المعري ولست ادري كم ينخدع الناس بالمعري هذا ، وهو في رأيي شاعر عظيم غير ان له بضاعة من التلفيق تعدل ما تخرجه « لانكشير » من بضائعها الى اسواق الدنيا ومما يعجبني في شعر علي طه انه في مناحي فلسفته وجهات تفكيره يوافق رأيي الذي اراه دائماً ،

وهو ان ثورة الروح الانسانية ومعركتها الكبرى مع الوجود — ليستا في ظاهر الثورة ولا في العراك مع الله كما صنع المعري وأضرابه في طيشهم وحماتهم ، ولكنهما في الهدوء الشعري للروح المتألمة ، ذلك الهدوء الذي يجعل الطبيعة نفسها تبتسم بكلام الشاعر كما تبتسم بازهارها ونجومها ويجعل الشاعر اداة طبيعية متخذة لكشف الحكمة وتغطيتها معاً ، فان العجيب الذي ليس اعجب منه في التدبير الالهي للنفوس الحساسة — ان زخرفة الشعر وما يجري مجراه في الفن إنما هي ضرب من زخرف الطبيعة حين تبدع الشكل الجميل لتتعم اغراضها من ورائه ولو ثارت الازهار — مثلاً — على الوجود وخالفه ثورة اولئك الشعراء لما صنعت شيئاً غير افساد حكمتها هي ، وما يتصل بهذه الحكمة من المصالح والمنافع ، ولن تنتصر الاً ببقائها أزهاراً ، فذلك حربها وسلاحها معاً

وأسلوب شاعرنا أسلوب جزل ، أو الى الجزالة ، تبدو اللغة فيه وعليها لون خاص من الوان النفس الجميلة يزهو زهوه فيكثر منه في النفس تأثيرها وجمالها وهذه هي لغة الشعر بمخاصته . ولا بد أن ننبه هنا الى معنى غريب ، وذلك انك تجد بعض النظامين بحسنون من اللغة وفنون الادب ، فاذا نظموها وخلا نظمهم من روح الشعر — ظهرت الالفاظ في اوزانهم وكأنها فقدت شيئاً من قيمتها كأن موضعها في هذا النظم غير موضعها في اللغة ، وما اختلف اللفظ ولا تغير ، ولكن موضعه ثم هو الذي اعلن افلاسه ، اذ اقامه مقام الذي يريد ان يعطي ثم هو اذا وقف لا يصنع شيئاً الاً ان يعتذر بأنه لم يجد ما يعطيه فهذا كان رجلاً من الناس ، وكان في ستر وعافية ، فلما وقف موقفه انقلب مدلساً كاذباً مدّعياً فاختلقت به الحال وهو لم يتغير

وما الاسلوب البياني الاً وسيلة فنية لمضاعفة التعبير ، فان لم يكن هذا ما يعطيه كان وسيلة فنية اخرى لمضاعفة الخيبة وهذا ما تحسه في كثير من شعر النظامين او البديعيين في العصور الميتة وتحسه في الشعر الميت الذي لا يزال ينشر بيننا

وعلي طه اذا حرص على اسلوبه ، وبالغ في اتقائه واستمرّ يجريه على طريقته الجيدة متقدماً فيها ، متعمقاً في اسرار الالفاظ وما وراء الالفاظ ، وهي تلك الروعة البيانية التي تكون وراء التعبير وليس لها اسم في التعبير ، معتبراً اللغة الشعرية — كما هي في الحقيقة — تأليفاً موسيقياً لا تأليفاً لغوياً — فانه ولا ريب سيجد من اسعاف طبعه القوي وعون فكره المشبوب ، والهام قريحته المولدة — ما يجمع له النبوغ من اطرافه ، بحيث يعده الوجود من كبار مصوريه ، وتتخذ الحياة من بلغاء المعبرين عنها في العربية ، ومن ثم تنظمه العربية في سمط جواهرها التاريخية الثمينة ويصله السلك بشوقي وحافظ والبارودي وصبري الى المتنبي والبحري وابن الرومي وابي تمام ، الى ما وراء ذلك ، الى الجوهرة الكبرى المسماة جبل النور البياني ، الى امرئ القيس

وليس هذا ببعيد على من يقول في صفة القلب :

يا قلب عندك اي اسرار ما زلن في نشر وفي طي
يا ثورة مشبوبة النار اقلقت جسم الكائن الحي
حملته العبء الذي فرقت منه الجبال واشفقت رهبا
واثرت منه الروح فانطلقت تحسو الجحيم ونأكل اللهيا
وعجيت منك ومن ابائك في اسر الجمال وربقة الحب
وتلفقت المتكبر الصلف عن ذلة المقهور في الحرب
ووهمت ناراً ذات ايامض فبسطت كفك نحوها فزعا
مرت بعينك لمحة الماضي فوثبت تمسك بارقاً لمعا
والارض ضاق فضاؤها الرحب وخلت فلا أهل ولا سكن
حال الهوى وتفرق الصحب وبقيت وحدك انت والزمن

ولو ذهبنا نختار من هذا الديوان لاخترنا اكثره ، فقصائده ومقاطيعه تتعاقب ، ولكن تعاقب الشمس على أيامها تظهر جديدة الجمال في كل صباح ، لان وراء الصباح مادة الفجر ، وكذلك تأتي القصائد من نفس شاعرها
مصطفى صادق الرافعي

شهرزاد

تأليف توفيق الحكيم . طبعة دار الكتب ١٦٢ ص ، من القطع الكبير

هذا الكتاب الثالث الذي اخرجهُ الاستاذ توفيق الحكيم في مدة سنة واحدة . وهذا الكتاب منسوج على منوال الكتباين الاولين من حيث انه يعتمد الى اسلوب بعض الروائيين الفرنسيين وغيرهم الحاليين امثال جيرودو Giraudoux ولنورمان Lenormand ومترلنك Maeterlinck وهذا الاسلوب معروف بالرمزي Symbolisme وميزته انه يرمي وراء تحريك الاشخاص الموهومة الى فكرة فلسفية او خلقية بعيدة

والواقع انك لا تصيب فكرة بعيدة الغور عند الاستاذ توفيق الحكيم في رواية شهرزاد فمحورها أن الانسان ربما سُم الماديات وتاق الى الروحانيات فلا يستقر على حال لانه متصل بالحياة اتصالاً عنيقاً حتى انه يظل كالمعلق بين السماء والارض . وهذه الفكرة تدور لسكل ذهن الا ان راعة الاستاذ توفيق الحكيم انما هي في السياقة . فهو يحكم سرد الرواية ويحكم الحوار ويحكم هيئة البيئة . وكأنني به قد حذق فن الروايات التمثيلية . ومن هذه الناحية فهو صاحب فن حقاً واما لغة الرواية فتتراوح بين الفصاحة والاضطراب . فانك تراها تصعد الى البلاغة ثم تنحدر الى الضعف . ولكن الاسلوب حيٌّ وهجّاج

وبالجملة ، ان شهرزاد لقطعة من قطع الفن المسرحي بمعناه المحدود ، ثم انها لطليعة الفن الرمزي في المسرح العربي
بشر فارس

استشارات الطبيب الممارس

الجزء الاول في امراض الاطفال لمؤلفيه الاطباء

ترابو استاذ السرريات الطبية والعصبية في المعهد الطبي العربي والمجاز في اللغة العربية من المفوضية الافرنسية وعضو مراسل وطني لجمعية المستشفيات الطبية والامراض العصبية في باريس. ومحمد محرم الاستاذ في المعهد الطبي العربي وعزة مريدان مساعد الخاير في المعهد الطبي العربي طبع بمطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٣٣

هو كتاب في عشرة مجلدات صدر الجزء الاول منه في امراض الاطفال وطلب مني نقده فقرأته واني أبدي فيه الملاحظات الآتية

اهداء الكتاب : — فلما يصدر كتاب في الشرق الاً ويهديه مؤلفه الى ذي منصب كبير او شهرة واسعة او سري او ثري او ما اشبه ومما لفت نظري في هذا الكتاب انه لم يهد الى المفوض السامي او رئيس الجمهورية او الى احد الوزراء او السراة او الاغنياء او الى رئيس من رؤساء المؤلفين مما يدل على انهم رجال علم وعمل يعلمون كيف يحفظون كرامة انفسهم ولو انني رأيت ان الكتاب اهدي الى رجل كبير من رجال الدولة كنت القيته من يدي كما وقع لي قبلاً وقرظته مرضاة لصاحب المقتطف او حياء من مؤلفه) ولكن هذا الكتاب مصنف علمي انقده عن رضى وسرور بلا حكم سابق على مؤلفيه او لهم مقدمة الكتاب : — وجيزة جداً وخالية من التبعجج شأن العلماء الحقيقيين فأخذ الكتاب يرتفع في نظري ووضعت علامة حسنة جداً لمؤلفيه ولا سيما الدكتور ترابو مع انه اخرجني من الشام برؤوس الحراب فما كاد يختفي ذيلي سنة ١٩٢٠ حتى ظهر رأسه فخرجت من دمشق قائماً طريداً شريداً وعدت ودخلتها بعد عشر سنوات من الباب الشرقي فريقاً رافع الرأس . فاننا وزميلي الدكتور ترابو على صلح دائم الى ان يقضي الله امرأً كان مفعولاً

طبع الكتاب : — حسن جداً وهو مطبوع على ورق صقيل وبحرف جميل ومعنى بتصحيجه أشد العناية فلم أر فيه من الخطأ المطبعي الاً النادر جداً مما لا يعتد به لغة الكتاب : — لغته عربية علمية فصيحة خالية من التعقيد واني اذكر مثلاً منها وهو ما ورد في الصفحة الاولى حتى لا يقال انني انتخبت المثال فقد جاء فيها مانصه : لا يعطى الوليد في اليوم الاول من الولادة شيئاً من الحليب واما في الايام التالية فيعطى ثمانين غراماً في اليوم الثاني ثم يضرب هذا المقدار في عدد الايام كلما تقدم عمر الوليد حتى اليوم السادس وهذا المقدار من الغذاء يقسم الى ثمان رضعات على ان تكون الفاصلة بينها ساعتين ونصفاً وعليه يمكن تلخيص ارضاع الوليد الذي تتراوح سنه بين يومين وستة أيام على الوجه الآتي . ثم يلي ذلك جدول فيه رضعات الايام الستة الاول ثم جدول آخر فيه تغذيته في السنة الاولى . فقوله الوليد خير من قوله الطفل الحديث الولادة وقوله الحليب خير من قوله اللبن لان اللبن قد يكون حليماً وقد يكون خائراً او حامضاً والمراد هنا اللبن الحليب دون غيره فالعبارة فصيحة وخالية من الحشو والتعقيد ويتعذر ان

يزاد عليها
وهاك

الناحية القل
الح . وجاء
عن اللبن و
في وضعه
ثم ان

والفرنسية
الشرح فصي
الآخري في
يدل دلالة
المصط
جری عليه
وضعوا له
التي جرو
الامثلة فق
هؤلاء الا
واحدة بل
ولولا ضيق
بالفرنسية
في الاقصر
السورية و
وانه ي
الجامعة الس
الطب والاد
المعهد فقو
يطلب
والثن اربع
فمسي

يزاد عليها حرف او ينقص منها حرف بلا تغيير المعنى وهي عبارة علمية موجزة صريحة المعنى
وهاك مثلاً آخر وهو ما جاء في ص ٣٣٩ في علاج التهاب الشغاف قال : توضع المنفطات على
الناحية القلبية كصبغة اليود او القطن اليودي او المنفطات الطيارة والافضل وضع كيس من الجليد
الخ . وجاء في ص ٣٤١ في علاج التهاب التامور قال : اذا كان التهاب التامور حاداً يحمى المريض الا
عن اللبن ويستريح راحة مطلقة ويوضع على قلبه كيس من الجليد وهو في الاضطجاع الظهرى ويوضع
في وضعة نصف الجلوس متى لم يحتمل الاضطجاع ويحتمل الجهد والحركة الخ

ثم ان رؤوس الفقرات مكتوبة بالعربية والفرنسية واذا وردت كلمة اصطلاحية كتبت بالعربية
والفرنسية والكتاب كله على هذه الصورة يفهمه العامة ولا تنبو عنه الخاصة اي ان الكتاب علمي دقيق
الشرح فصيح العبارة موجزها فهو في جلالته ودقته وابعاده شبيه بالمؤلفات الفرنسية وهي تفوق المؤلفات
ال اخرى في ذلك على ما اعلم اي الاجاز في الوضوح ولعل ذلك من خصائص هذه اللغة . وهذا الكتاب
يدل دلالة واضحة على ان اللغة العربية لا تقل عن غيرها في الايضاح العلمي ودقة التعبير فالذنب ليس ذنبها
المصطلحات الطبية . — لا ريب انها عربية فصيحة معتنى في انتقائها اشد العناية وهو ما
جرى عليه اساتذة هذا المعهد في استعمال المصطلحات العربية فما لم يعثروا له على اسم عربي قديم
وضعوا له مصطلحاً عربياً . اما بالترجمة او بالاستعارة او بالتعريب ولو احببت ان اذكر المصطلحات
التي جروا عليها لذكرت له شيئاً كثيراً منها وقد اصابوا في معظمها تمام الاصابة واني اضرب بعض
الامثلة فقط منها الخديج والوليد والرضيع والطفل وهي الفاظ عربية معروفة ومشهورة ولكن
هؤلاء الاساتذة احسنوا اختيارها وساروا على وتيرة واحدة في استعمالها ولم يخلطوا فيها ولا مرة
واحدة بل استعملوا كلاً منها ومن امثالها في المكان الذي يجب فيه استعماله وهي كثيرة جداً
ولولا ضيق المقام لاوردت بعضها . ثم ان جميع هذه المصطلحات العربية قد كتبت وكتب ما يقابلها
بالفرنسية . واني اعيد ما قلته قبلاً في توحيد المصطلحات الطبية في مقال تلي في المؤتمر الطبي
في الاقصر ان من رأيي في توحيد هذه المصطلحات ان يمثل اهل سورية طبيب من اطباء الجامعة
السورية والآخر من العرب ان ينفرد اطباء مصر على كفاءتهم بهذا الامر الجوهرى

وانه يتعذر عليّ ان افي هذا الكتاب حقّه من التقريظ فهو مثل جميع المؤلفات التي تصدر من
الجامعة السورية جدير بالعلماء ان يطالعوه وان يقتبسوا منه ولما كان هذا الكتاب خاصاً بتلامذة
الطب والاطباء فاني اشير على كل تلميذ وطبيب عربي اللغة ان يقتنيه ويقتني سائر مؤلفات هذا
المعهد ففوائدها العلمية واللغوية كثيرة جداً

يطلب هذا الكتاب من احد مؤلفيه الدكتور ترابو من اساتذة المعهد الطبي العربي بدمشق
والجن اربعون فرنكاً فرنسياً يضاف اليه اجرة البريد وهو ثمن زهيد بالنسبة الى فوائده الكتاب
فعسى ان يتحفنا اساتذة المعهد الافاضل ببقية الكتب التي وعدونا بها امين الملعوف

هوامش الصحفي العجوز

برسوم العريان وآخرون

لا أعرف في هذا العصر كاتباً للتراجيح والسير والشخصيات أقدر من هذا الصحفي العجوز —
 أنه يعتمد الى الشخصية ملأت الدنيا وشغلت الناس يقص سيرتها عليك فإذا بهذه الشخصية الطويلة
 العريضة لا تشغل أكثر من هامش واحد في صحيفة الاهرام على أنك قد تقرأ عشرات الكتب في
 تلك السيرة بعد ولكنك لن تجد شيئاً واحداً يستحق الذكر لم يأتك به هذا الهامش السحري العجيب
 وعندى ان مقدرة الصحفي العجوز في هذا الضرب من الكتابة راجعة الى ما في الرجل من المعية وفن
 موهوب — ويقولون في تعريف الالمعي بأنه هو الذي يظن بك الظن كمن رأى وقد سمع — فإذا كان هذا
 صحيحاً فالصحفي العجوز من أكثر الناس المعية لأنه من أقدرهم على استخلاص الحقائق مما يحيط بها من
 الزيف فهو اذا نفذ الى قضية من القضايا التي تقع في دائرة البحوث المؤرخين فليس حكمه عليها الا توقيع الزمن
 وخاتمه على سجل تلك الحقيقة. بل ليس هو الا الرسوم الذي تصدر به تلك الحقيقة للأجيال — أما الفن فلا
 أظن لهذا الرجل فيه ميزة أكثر من قدرته على الاستهواء وأنا أتحدّثك ان تأتيني في كل ما تقرأ للصحفي العجوز
 باستعارة او تشبيه او شيء من هذا الذي يصطنع توشية للكلام في عرف البيانين. وانما انت في كل لفظة
 واجد حقيقة وفي كل حقيقة واجد فائدة وفي كل فائدة واجد لذة. وهكذا يقبض الرجل على قرائه فلا
 يتركهم حتى يعطيهم كل ما عنده من المعلومات وهو في نفس الوقت لا يشعرهم أنه يعطيهم شيئاً.
 ولعله حقيقة لا يحس بأنه يعطي اي شيء — هو يعطي من على (الهامش) فكانه يقول خذوا هذا
 الشيء السهل البسيط — وهنا يسمح لنا السيد توفيق حبيب بالقبض عليه بتهمة التلبس بالفلسفة
 أجل اني أتهم السيد توفيق بالفلسفة وبالشعر ايضاً. ولا اظنه مهما تبرأ من الشعر وتنكر للفلسفة
 بمستطيع ان ينجو من هذا الاتهام اللهم الا ان يغير عنوانه «على الهامش» ويكتب بدله «في صميم
 الحياة»، فالحياة لا هامش لها وكل ما يقع فيها منها ومن صميمها كما يقول الدكتور هيكل وكما هو
 رأي الصحفي العجوز ذاته غير ان صاحبنا العجوز يريد ان يجعل من عنوانه «على الهامش» اشعاراً
 لقرائه بأن اختبارات العلماء من امثاله — ونحقيقاتهم وتدقيقاتهم كل اولئك في نسبته للحياة لا يزيد عن
 الهامش في نسبته للكتاب العظيم او في نسبته لجريدة الاهرام — واذن هل الشعر والفلسفة شيء غير هذا
 يا سيد توفيق وليت شعري اي صميم للحياة وراء ما جئت به في الهوامش ألسنت في هامش تتكلم عن برسوم
 العريان او القديسة كاترينه. وفي هامش آخر تتكلم عن فورد اليس هذان هما الجانبان — المادي والروحي،
 اللذان يتكوّن منهما هيكل هذه الحياة وهل تتألف الحياة الا من المادة والروح او من الاشخاص والاثار
 أشهد اني قرأت في هوامش الصحفي العجوز تراجيح سير وشخصيات خسبتني أولاً اقرأ كتاباً في
 الحياة وعدت ثانياً خسبتني اقرأ الحياة في كتاب. وهكذا ظل يستهويني الرجل ويفتني ويصيبني حتى
 وددت لو أملك ان اقيم كتابه في معرض ثم اطلق عليه متحف الصحفي العجوز محمود أبو الوفا

الس
 لان السف
 التحزب
 فاذا
 وصفه ل
 وكات
 كعقد ف
 لمعاهد
 القارى
 بعد جه
 يتعرف
 كتب ال
 المختلفة
 ولم
 تتوالى
 خذ
 كاملة لم
 في
 وتحت
 الاسمر
 حيا
 الخبز. و
 وه
 ميدان
 ولك
 كيف
 جز

لندن

تأليف احمد عطية الله — صفحاته ٣٦٨ قطع المقتطف — مطبعة عيسى البابي الحلبي

السفر مدرسة الحياة . والارض كتاب لا يقرأ منه المقيم في بلد واحد ، الا فصلاً واحداً . لان السفر يصقل الطبع ، ويثقف العقل ، ويقيد الخيال بقيود الحقيقة ، ويطلق الفكر من اغلال التحزب الاجتماعي والتاريخي ، ويوسع افق النظر الى الحياة والعمران

فاذا كان كاتب الرحلة راوياً لحوادث التاريخ وعبره ، مأمراً باداب الامم وطبائعها ، استطاع ان يجعل وصفه لرحلة ما ، قطعة من الادب العالي ومن هنا اقبال الناس على مطالعة الرحلات او ما كان من قبلها وكانت هذه السطور يعجبه في كتب الرحلات ، استيفاء كل موضوع في فصل على حدة . كعقد فصل مثلاً لاسباب المواصلات في مدينة من المدن ، وآخر لمنشأاتها الصحية ، وآخر لمعاهدها العلمية العامة . لانه يعتقد ان الكتابة على هذه النحو ترسم صورة اوضح في ذهن القارئ من تجزئ الموضوعات وتفريقها في صفحات الكتاب فلا يستطيع القارئ ان يلمسها الا بعد جهد جهيد . . ولكنه يعترف كذلك ان الرحلة نفسها لا تماشي هذه الجمع والاجمال . فالمسافر يتعرف الى الاشياء والاعمال والمنشآت والطبائع كما تتوالى على حسه . وترتيب المادة في كتاب من كتب الاسفار وفقاً لهذا التوالي يحمل القارئ على الاحساس ، بانه مصاحب للكاتب في مراحل المختلفة ، فهو افضل في اغراء المطالع بمواصلة المطالعة من طريقة الاستيفاء على الاسلوب الاول ولعل هذا الاعتبار هو الذي حمل مؤلف « لندن » على تجزئته فصولاً قصيرة ، تتوالى عليك كما تتوالى مشاهد بلاد جديدة رحلت اليها ، ففي كل فصل طرافة الشيء الجديد ، وخفة اللمحة الاولى خذ وصفه « الحمام ترافلجار » ترى فيه هذه اللمحة العابرة . فان هذه القطعة على ايجازها صورة كاملة لمظهر من المظاهر التي تنفرد بها لندن ثم تعليق اجتماعي حسن للمؤلف قال :

في ميدان ترافلجار الفسيح ، وهو الميدان الفريد في لندن ، وتحت ظل عمود نلسن الهائل وتحت اقدام الكثير من تماثيل الاسود الفرسان والقواد التي تحيط به ، تجدد مئات من الحمام الاسمر ، يطير ويحط على ارض الميدان وعلى حنايا هذه التماثيل ، ثم على اكتاف السائرين حمام اليف ، لم يعد يخاف الانسان ، ولا يهرب منه — بل يهرع الى كل سائر يرمي له بالحب وبفتات الخبز . وما اشبه هذا الميدان الفسيح بتماثله ، وما اشبه هذا الحمام الوديع بميدان سان مارك في البندقية وهذا الحمام رسول السلام ، ورمز الحب . ولكنه لم يجد مكاناً يرفرف فيه الا ميدان ترافلجار ميدان اخذ اسمه من الحرب ومن القتال . ولست ادري ماذا كان يصنع هذا الحمام لو درى بهذه الحقيقة ؟ ولكن لعله يريد ان يكون رسول السلام في ميدان بني لتخليد رجال الحرب ، ويعلم الانسان كيف الخلاص من نير الحروب

ما ارق قلب هذا الشعب الذي لا يرضى بحبس الحمام ، بل يتركه طليقاً ، ولكن بين تماثيل
الفرسان والقواد الذين خلدتهم الحرب والنيران
وتمر السيدة الزينية بميدان ترافلجار ومعها اطفالها ، وتشير بأصبعها من نافذة عربة الامنيوس
الى عمود نلسن الهائل ، تذكر أباءها بموقعة الطرف الاغر التي احالت مياه المحيط الى حمرة قانية
تذكرهم بنلسن العظيم : لتذكي في دماهم حرارة الفروسية وتنسى تلك المئات من الحمام الاسمر
الذي يطير ويحط على حنايا هذه التماثيل ، وعلى اكتاف السائرين ، تنسى ان هذا الحمام رسول
السلام ورمز الأئاء على الارض ...

وكذلك تنتقل مع المؤلف من ميدان ترافلجار الى دار البرلمان الى السقي حي الاعمال الى معرض
الشمع (معرض مدام توسو) الى سراديب لندن التي تسير فيها قطارات الانفاق الى عالم المسارح الى
مقبرة العظماء في دير وستمنستر الى مدرسة اللغات الشرقية الخ ... الخ ...
وكل فصل يحتوي على الحقيقة البارزة في الموضوع الذي يعالجه المؤلف ، فتخرج من قراءة
الكتاب وفي ذهنك صورة عامة للندن كما هي الآن ، وصورة لأهم منشآتها وأساليب معيشتها
وطبائع سكانها وآدابهم ، ولو تعذر عليك ان تقول انك تملك صورة واضحة لناحية بعينها من
حياة هذه المدينة العظيمة لان عناصر الصورة التامة قد تكون موزعة في فصول متفرقة
وقد تخلل الفصول الكثيرة التي وضعها المؤلف ، فصول قليلة ولكنها مختارة مترجمة عن طائفة من
ابرع كتاب الانكليزي في وصف نواح من حياة لندن فئمة فصول لروبرت لند والكاتب اديسن
وجيمس ملن ورنير وغيرهم

والكتاب في ٣٧٠ صفحة من قطع المقتطف وفيه طائفتان من الصور مبثوثة في صفحاته ،
الواحدة فوتوغرافية والاخرى كاريكاتورية مرحة . اما وقد طبع بمطبعة عيسى البابي الحاي بمصر
فشهادة له بمجودة الطبع

رسائل في النقد

تأليف رمزي مفتاح

لو برز هذا الكتاب في عهد صفت فيه الانفس لنبد . الا ان مصر قد اصبحت اليوم ميدان
سباب وقبح ، ومن اسوأ ما يترتب على هذا ان السباب يقابل بمثله والقبح بما هو اشد منه ،
فتضطرب المقاييس ويصيب مصر وادباءها ما يجرس بها وبهم في الخارج
اما هذا الكتاب فالاعتساف في سطور مستفيض والتحامل فيما بينها مستكن . وفيه اخطاء
تاريخية لا ندري وروحه ما ذكرنا اغفوا جاءت ام عمداً . وجل ما يقال فيه انه لولا هذا التحامل
وذلك الاعتساف لاخذ الناقد به واستخرج منه آراء ربما كان لها شأن في نقد الادب العربي الحديث

ليالي باريس

بقلم نزيه مسعد — صفحاته ٢٠٠ مصورة — ثمته ١٥ قرشاً

يختلف هذا الكتاب عن سائر الكتب التي وضعت حديثاً باللغة العربية عن بعض العواصم الأوروبية في أن مؤلف هذا الكتاب ، يروي مغامراته الصحافية ، في باريس وجنيف فتمتخلل روايته الخلاقة ، صفحات يصف فيها من مشاهد باريس ومظاهرها حياتها ما له صلة بتلك المغامرات والمؤلف شاب متوقد الذهن ، ذهب الى باريس طالباً للعلم ، فأنشأ مكتباً لتزويد الصحافة العربية في الشرق والغرب ، بالانباء البرقية والمقالات الدولية ، ودعي لحضور اجتماع جمعية الامم ، ممثلاً لهذا المكتب ، فسافر في القطار الذي أقل بران وهندرسن وغيرهما من اقطاب السياسة ومراسلي الصحف العالمية ، فخصه البوليس الفرنسي والبوليس السويسري بعناية خاصة لاشتباهم فيه . وحادث زوجتي كوست وبيولوت الطيارين الفرنسيين اللذين عبرا المحيط الاطلنطيكي طيراناً من باريس الى نيويورك . وفي حديثه مع مدام كوست عرف انها من جمهورية جورجيا الواقعة على حدود القوقاز ، وهي البلاد التي انحبت ستالين طاغية روسيا الآن . ومن أحاديثه مع مشهورى باريس حديث مع موريس شفالیه وآخر مع جوزفين بيكر . والجانب الاخير من الكتاب موقوف على مباريات الجمال واحاديث مع بعض ملكاتها . وفيه فصول كثيرة تتناول نواحي من حياة الطلاب وحياة الهمو في عاصمة الدنيا . فالكتاب تلمذة مطالعته ، لانه يأخذ كل رواية . ولو تداركه والد المؤلف — الشيخ بولس مسعد — بشيء من التنقيح اللغوي لكان قطعة جيدة من الادب الصحافي العربي

تاجر البندقية

تأليف شكسبير — تلخيص كامل كيلاني — صفحاته ٦٨ قطع وسط — مطبعة المعارف بمصر
هذه هي القصة الثانية من قصص شكسبير ، التي يلخصها الاستاذ كيلاني ، ليضيفها الى مكتبة الاطفال العربية . اما القصة ، واما مؤلفها ، فاشهر من ان يذكر . وانما يهتّمنا ان نقول في هذا الصدد ، ان الاستاذ كيلاني ، قد اجاد كل الاجادة في التلخيص ، وافراغه في قالب ، يغري الطفل ويستهو به ، يحسن سرد المخلص القصة ، وسهولة التعبير واستقراره في آن واحد

خذ مثلاً على ذلك وصف شيلوك صفحة ١٤ قال : — «عرفت ايها القارئ الصغير ان باسانيو وانطونيو كانها مثالين من مُسَلِّ الوفاء والحب والاخلاص . واحب ان اعرض عليك رجلاً آخر هو على العكس من صاحبيننا هذين ، في اخلاقه وصفاته ، فقد عرفه الناس شحيحاً بخيلاً قاسي القلب شريراً ، اجتمعت له كل اسباب الخبث والنوم والشره حتى اصبح مثلاً من امثلة النذالة والخسة والضعف . الا ترى صورته وهي تمثله في ثوبه الذي اكسبه القيد بريقه . الا ترى ظهره المقوس واصابعه اليابسة النحيفة التي تشبه المخالب ، وابتسامته الخبيثة التي تنم على مكر ودهاء ، ونظراته الحادة الساخرة التي لا تفكر الا في المال الخ » ومما وفق في ترجمته قوله صفحة ٤٦ في شطر

واحد من الشعر « ما كل ما يبرق لمساعاً : ذهب » وهو ترجمة All that glitters is not gold وكذلك يقدم المصنف اشخاص الرواية الى قرائه الصغار ثم يعرض لهم مشاهدتها مشهداً مشهداً بأيجاز ووضوح . اما طبع الكتاب فهو من الجودة والاتقان بحيث يتمنى كاتب هذه السطور مثلها لا أحد مؤلفاته !
القاهرة

الجزء الاول — تأليف الملازم عبد الرحمن زكي — ثمنه ٨ قروش

القاهرة هو الكتاب الاول — فيما نعتقد — من نوعه . وقد احسن الملازم الاول عبد الرحمن زكي كل الاحسان في اختيار موضوع هذا الكتاب ميداناً لاستغلال مواهبه العلمية الادبية وترويض قلمه المدقق الاديبي . ولقد كان من حق المكتبات العربية ان لا تحرم كل هذا الزمن من كتاب يوضع عن القاهرة خصيصاً ولا سيما بعد ان زينت تلك المكتبات بالمؤلفات عن بعض عواصم الغرب . فالقاهرة في معاملها وفي عظمتها التاريخية لا يمكن ان تكون اقل من تلك العواصم التي حظيت من ناحية كتابنا بعناية كبيرة ، علاوة على ما في الكتابة عن مصر وتاريخ عاصمتها التاريخية من استلقات تدعو له النهضة القومية المصرية . والحق انه فرض كان يجب على الكتاب المصريين ان يقوموا به ولكنهم اهملوه ليقوم به هذا الضابط المصري الكريم فكان له فضل سبق في هذه الناحية من خدمة وطنه اما طريقة المؤلف فهو يجري على اسلوب المؤرخين الاقدمين في رسم الصور للحوادث كما وصلت الى علمه من مطالعته الواسعة النطاق من غير ان يضيف اليها الوانه الخاصة بترجيحاته او بتحقيقاته اللهم الا في مواضع قليلة جداً فانه يعتمد الى ترجيح بعض ما قيل . لذلك رأينا ان يرجع قصة الغراب الذي هز الاجراس فبنيت القاهرة في غير ساعة سعيدة . على ان الكتاب في اسلوبه وفي معروضاته ممتع شائق حتى ليكاد يحبس قارئه على استيعابه حبساً . وناهيك بكتاب تطلع فيه على القاهرة المعز لدين الله الفاطمي وقاهرة صلاح الدين وقاهرة المماليك البحرية والجراكسة اجل تطلع فيه على القاهرة في كل هذه العصور كما تطلع فيه على مصر في فسطاط عمرو وقطائع بن طولون فلا ترى شيئاً يهتمك الاطلاع عليه كعورخ او كسأخ الا وفي هذا الكتاب منه المامة تغنيك عن الرجوع الى عشرات من كتب التاريخ

وكأننا بالمؤلف قد طالع كل ما وصلت اليه يده من المؤلفات عن معالم القاهرة ومعيشة سكانها في كل دور من ادوارها ثم رسم لنا في كل فصل من فصول كتابه صورة حية ناطقة لتلك الدور ، حتى لكأنك وانت تقرأ ، تردُّ على جناح الذاكرة والخيال والحقيقة التاريخية المدونة فترى المباني والجوامع والمنشآت العامة والخاصة والناس يروحون ويحيئون ، ويحبون ويبغضون ، ويتصافون ويتنازعون

فالمقتطف يهنيء المؤلف ويتمنى له الاقبال على مؤلفه لكي ينفج قراء العربية — والمصريين بوجه خاص — بالجزئين الباقيين من كتابه « القاهرة »

اركان التدريس

وضع احمد سامح الخالدي

للمرة الثانية تتاح لي الفرصة لأعرض على قراء المقتطف مؤلفاً جديداً من مؤلفات الاستاذ احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية بالقدس واستاذ التربية بها وربما كان عنوان الكتاب لا يرسم صورة صحيحة لموضوعه ، فالمقصود بركان التدريس ، القواعد والمبادئ التي يبنى عليها التدريس كفن ، وهذا ما يعبر عنه بقولنا Fundamentals of Teaching ، ولكن هذا الكتاب لا يقتصر على دراسة هذه المبادئ بل يتعداها الى طريقة التدريس العامة ، ثم يخصص اكثر من نصف الكتاب لبحث طرق تدريس اللغة والجغرافيا والتاريخ والحساب ودروس الطبيعة

لذلك كان لزاماً علينا ان نعرض الكتاب على قسمين (الاول) ويشمل اركان التدريس ، (والثاني) طرق التدريس العامة والخاصة

مهد الاستاذ لكتابه بمقدمة عن فن التدريس وعن مهمة المعلم وواجباته والشروط التي تتوافر في المعلم الذي يصح ان يكون مثلاً أعلى للمعلمين . ثم انتقل الى دراسة عوامل التدريس ، فذكر طرق اختيار مادة الدرس ، وطرق كتابة المذكرات الخ

وفي هذا الفصل ذكر المؤلف شيئاً من تجاربه الخاصة عن الطرق الاصطناعية التي يسير عليها المعلمون الناشئون في اعداد دروسهم وكتابة مذكرات هذه الدروس ، لاسيما في اختيار المقدمات الملققة للتمهيد لكل درس دون اعتبار لمادة الدروس من حيث بساطتها او تشويقها الطبيعي للطفل هذه الملاحظات الشخصية ، ضرورية في مثل الكتب الخاصة بالتربية حتى لا يشعر المعلم الناشئ ان قضايا التعليم ومبادئه نظريات ليس الا . وذكر مثلاً طريفاً لمدرس للحساب مهد لدرسه بالاسئلة عن اسماء الشوارع لكي يقود التلميذ الى ذكر تاجر الاقشة الذي يستعمل الاطوال والمقاييس

ومثل هذه الملاحظات هامة جداً للمفتشين في مدارس المعلمين لدينا في مصر كذلك ، وسبب هذا كله يرجع الى عدم تفهم المعلم فيها ان نظريات التربية والتعليم قابلة للتشكيل بحسب ظروف الطالب والدرس . ثم انتقل المؤلف الى دراسة عوامل التدريس الاخرى الخاصة بطبيعة الطفولة فعدد انواع الغرائز التي لها اثر في استعداد الطفل للتعلم : الا ان بعض المصطلحات التي استخدمها المؤلف فيها شيء من الغرابة ومثال ذلك قوله فعالية الانسان ص ٤٣ بدلاً من قوله الميل للحركة

كما ان المؤلف قد تصرف بعض التصرف في ترجمة بعض مصطلحات علم النفس فترجم Curiosity غريزة الاستغراب لا غريزة حب الاستطلاع ، اذ ان الاستغراب هو الانفعال النفساني المصاحب لهذه الغريزة ، واسماء الغرائز تطلق عادة على المظهر الزوغي لا الوجداني للغريزة ، فندعو gregarious

Instinct غريزة حب الاجتماع لاغريزة الحنين . كما انه ترجم Awe بـ «دهشة» مع ان الدهشة Wonder انفعال نفسي بسيط يصاحب غريزة حب الاستطلاع ، اما Awe فهو انفعال مركب خليط من الخوف والدهشة والشعور بالانقياد . كما ان المؤلف دعى هذا الانفعال غريزة ، فلا انفعالات كما رأينا ليست غريزة بل هي مظهر الغرائز ، كما ان الانفعالات البسيطة هي وحدها التي تصاحب الغرائز أما الانفعالات المركبة فهي مظهر لسلوكنا الارادي

ثم ان المؤلف ذكر في ص ٩٤ ما دعاه دروس التربية الوجدان او الذوق الى التدقيق ان يدعوها بدروس تربية الوجدان او الذوق

ومن المباحث التي لم ينظر المؤلف الى دراستها بعين شرقية محلية مسألة الغذاء في المدارس . اذ ان عوامل شتى تجعل مسألة الغذاء في بلاد كمصر او فلسطين من الخطورة بمكان . خذ مثلاً نوع الطهي الشرقي الذي يحتاج الى وقت طويل لهضمه اطول من الفترة المقررة في المدارس لهذا الغرض . او خذ ثانياً حرارة الصيف التي تجعل العمل بعد تناول هذا الغذاء عسيراً ، فالمؤلف كان عليه ان يتناول في بحثه هذه العوامل معتمداً على مشاهدات خاصة او احصائيات ويقترح في نهاية بحثه حلاً موفقاً ، كتجديد في اساليب الطهي ولو في غذاء المدارس ، او السماح للتلاميذ بانهاء العمل المدرسي قبل الغذاء (الساعة الواحدة مثلاً) كما هي الحال في المدارس الالمانية ، على ان تخصص مدة بعد الغذاء لاعمال التلاميذ الحرة

اما دراسة المؤلف لموضوع المناهج ووضعها ، فكان يستلزم الشيء الكثير من الاطالة لا سيما في نقط هامة صار لها اليوم شأن خاص ، لاهتمام كثير من البلدان الشرقية باصلاح مناهج مدارسها مع استقائها عن الغرب الاصول في وضع هذه المناهج . فكان على المؤلف ان يذكر لنا علاقة المناهج الدراسية العامة بالبيئات الاجتماعية ، وما لتطور المناهج من الشأن ، ولجان وضع المناهج وكيف تشكل ، واتصال المناهج الدراسية المختلفة الخ الخ

(ثانياً) وينتقل المؤلف من هذا الجزء الى الجزء الخاص بطرق التدريس ، وافتتحه بمقدمة متفرعة عن اهمية دراسة اللغة القومية ووجوب اهتمام المعلمين بها اهتماماً شاملاً ، ثم عن النطق وكيفية اجادته . وكل هذا كتبه المؤلف بطريقة شائقة تسترعي الانظار

هنا يجوز لي ان اذكر نقداً عاماً لهذا الجزء من الكتاب ، وذلك اعتماد المؤلف اعتماداً كبيراً على كتاب « ارشادات للمعلمين » Handbook of Suggestion to Teachers ولست ادري ضرورة واضحة تحمده المؤلف الفاضل لمثل هذا الاعتماد المطلق ، على ان هنالك من عشرات الكتب الحديثة في طرق التدريس ، يستطيع المؤلف ان يراجعها لكي يوفق بين وجهات النظر . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ، فاننا نعلم ان طرق التدريس يجب ان يعتمد الكاتب فيها على تجاربه الشخصية

كمعلم او كمشرف على التعليم ، لا على النظريات العامة التي لا يمكن تطبيقها مباشرة في كل بيئة . فلو ان الاستاذ قد عدد لنا من ملاحظاته الخاصة او ضرب لنا الامثلة من مشاهداته ، لكان هذا القسم من الكتاب اكثر تشويقاً واعظم فائدة

وكان من ضرر التمشي مع كتاب ارشادات المعلمين ان تناسى المؤلف او نسي نواحي هامة في المواضيع التي بحثها ، كانت جديرة بالدراسة والبحث ، بل انها جعلت الكثير من الطرق التي بحثها المؤلف بعيدة التطبيق على النظم المدرسية التي نسير عليها في الشرق العربي . فمثال ذلك انه قسم طريقة تدريس المادة الواحدة الى قسمين صفوف دنيا و صفوف عليا تمشياً مع النظام الانكليزي Senior and Junior مع انه كان من الاجدر ان تمشى طرق التدريس اما مع نوع المدرسة (اولية او ابتدائية او ثانوية مثلاً) وإما بحسب سن الاطفال

ونتيجة اخرى لذلك انه ترك في بحث تدريس اللغة العربية نقطاً لها شأن كبير جداً لم يتعرض لها تعرضاً ما ، مع انها موضع اختلاف المشتغلين بالتعليم في الوقت الحاضر ومثال ذلك انه لم يذكر متى وكيف يدرس التشكيل او ربط الحروف او قواعد اللغة وانواع الخط العربي وطرق المحادثة والانشيد الخ . .

كما اننا نشاهد نتيجة الاعتماد على كتاب « ارشادات المعلمين » واضحاً كثيراً عند الكلام على تدريس التاريخ ، اذ المؤلف لم يجد امثلة لتوضيح نظرياته غير الامثلة الانجليزية فذكر اسماء الشوارع الانجليزية التي لها اساس تاريخي ولم يحاول ان يسار الفكرة فيذكر شيئاً من الامثلة المحلية فبدلاً من ذكر Wailing St. يذكر المبكى مثلاً ، وبدلاً من ذكر Grey Friars يذكر باب الخليل ، والاستاذ اعرف مني بذلك

كما انه في تدريس الحساب لم يذكر ولو تلميحاً طريقة منتسوري في تدريس الحساب (وهو لم يذكر هذه الطريقة في تدريس اللغة للاطفال) مع ان هذه الطريقة من انسب الطرق الحديثة لتدريس الصغار ، وهي منتشرة انتشاراً واسع المدى في جميع رياض الاطفال حتى تلك التي لا تسير على طريقة منتسوري . وبعد كل ذلك اراني عاجزاً عن تقدير هذا الكتاب القيم ، الذي ولا شك اننا في كبير حاجة الى امثاله في اللغة العربية . وانني اهنيء الاستاذ الخالدي بمجهوداته المشكورة في سبيل تزويد المكتبة العربية من حين الى حين بمثل هذه المؤلفات الجديرة بكل تقدير واعجاب

القاهرة

احمد عطية الله

المحفوظات

الجزء الاول لمدارس البنات تأليف مهدي احمد خليل
هو مجموعة وافية من الحكم والنصائح والحكايات الادبية مما يلزم مطالعته لمدارس البنات
الابتدائية فنثني على مؤلفه الذشيط . طبع بمطبعة مصر

وتقع بين حبين وتتصارع بين طافتين ولكنها
تمضي في طريقها اذ لا بد من الانتقام — ترجمها
الاديب عبد المنعم حسن ونشرها فهمي يوسف
في مجلدين وتطلب من مطبعة التقدم التجارية
ومكتبتها وثمنها ٤ غروش

﴿سعادة الاسرة﴾ قصة اديبة تأليف
الفيلسوف الروسي ليوتولستوي ترجمها الى العربية
الاديب مختار الوكيل وهذه القصة جامعة ما بين
الترجمة الشخصية والرغبة الفنية الى درجة ما
وفيهما تصوير لاهلامه وامانيه الزوجية . وقد

كتبها قبل زواجه
بثلاث سنوات فهي ذات
صبغة خاصة تستحق
عنايتنا لانها تتناول
موضوعاً يشغل في الوقت
الحاضر جميع الاذهان .
وعنيت بنشرها المطبعة
السلفية ومكتبتها

﴿فن طبع الاصابع﴾
تأليف عبد الجبار فهمي —
وهو كتاب مفيد نافع لكل
من ينتسب لاسرة القانون
حاوياً كل ما يتعاقب بهذا الفن
من النظريات والتطبيقات
فلا يستغني عنه كل من
قام بعبء التحقيق كبيراً
كان او صغيراً ، وادارة
البوليس في حاجة ماسة اليه

كما يحتاج اليه كبار المحامين واساطين القضاء ففيه
تاريخ طبع الاصابع وشرح واف في فن طبعها .
طبع بمطبعة النجاح في بغداد

﴿القائلة﴾ رواية مخزنة حيث يقضي الحبيب
ضحية لغرامه وتهض المرأة لتنتقم لحبها الضائع
فتكون المعركة واذا بالحب يصيب قلبها من جديد

مطبوعات هجرية



وراء الغمام

نظم الدكتور ابراهيم ناحي

ملوك الطوائف

تأليف دوزي — ترجمة كامل كيلاني

ديوان عبد المطلب

غاندي والحركة الهندية

لسلامه موسى

دراسة القانون

للاستاذين مصطفى رضا بك والدكتور

نحمود احمد الحفني

المحوضة والقلوية

للدكتور محمد صلاح الدين الكواكي

حياة وحياء

للدكتور محمد كامل الصبي

﴿طريقة منسي﴾ جريدة

فرنسية نصف شهرية لصاحبها

ومحررها الاستاذ احمد ابو

الخضر منسي وهي خاصة

بتعليم المبتدئين اللغة

الفرنسية بأسلوب بسيط

سهل اخاذ . وفيها من

الحكايات الطريفة والمحادثات

والمصطلحات مما يساعد

طلبة الكفاءة والبيكالوريا

(اضافي)

﴿الذئب﴾ رواية اديبة

ترجمها الاديب عبد المنعم

حسن نشرت تباعاً بجريدة

الاهرام . ونشرها فهمي

يوسف في مجلدين وتطلب

من مطبعة التقدم التجارية

ومكتبتها وثمنها ٤ غروش

﴿تقويم الاتحاد الفلكي المصري لسنة

١٣٥٣ هـ﴾

يشمل الاوقات الشرعية لجميع الاقطار

الاسلامية واحوال الكواكب والتوقعات

ومواقيت الزراعة وغير ذلك . طبع بمطبعة

الوفاق ببلقاس

بَابُ أَخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

علاج خطر الصداع

من العقاقير المستعملة في معالجة الصداع ،
عُقَّار يدعى «بيراميدون» Pyramidon وهو
يستعمل أحياناً لازالة الألم بالتخدير في حالات
عرق النساء والالتهاب المفصلي . والمرجح الآن
ان هذا العقار وما هو من قبيله يضر بنخاع

العظم حيث تتولد بعض كريات

الدم . وهذه حالة مرضية

تعرف باسماء مختلفة في عالم

الطب ، وتبدأ عادة بحرارة

والتهاب الحلق فيُظن ان

البرد سببهما . ثم تظهر قرح

على اللوزتين واللسان واللثة ،

وتنتشر انتشاراً سريعاً .

ولعل اهم اعراضها نقص كبير

في عدد كريات الدم البيض .

ففي المامتر المربع من الدم

نحو ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ كرية

بيضاء فينقص هذا العدد الى

الفين . اما عدد الكريات الحمراء والهيموغلوبين

في الدم فيظللان على حالتها السوية ، وبلي ذلك

ان المصاب بهذه الحالة يلقي حتفه في الغالب

رغم العلاج

اكتشف هذا الداء سنة ١٩٢٢ اذ راقبه

طائفة من الاطباء الالمان ولكن العلاقة بينه
وبين البيراميدون لم تكشف الا هذه السنة .
فقد لاحظ الطبيبان ماديسن وسكوير من اطباء
مدينة ملووكي الاميركية ، ان اعراض هذا الداء
تشتد بزيادة ما يتناول من البيراميدون وعقاقير

اخرى تحموي على مادة

Barbiturate فدرسا ثلاث

عشرة حالة من هذا القليل

توالت توالياً يدعو الى

الاستغراب فوجدا ان

جميع هؤلاء المصابين تناولوا

احد هذه العقاقير ، مدداً

مختلفة الطول ، قبل ظهور

اعراض الداء عليهم . فحاولوا

حينئذ تجربة هذه العقاقير

في غذاء الارانب فلم تلبث

حتى ظهرت في احدها اُمم

اعراض هذا الداء وهو

نقص عدد الكريات البيض وظهر في ثلاثة ارانب

اخرى حؤول في نخاع العظم

وكان الدكتور كراك Kracke من جامعة

اموري Emory قد اشار سنة ١٩٣١ الى امكان

وجود علاقة بين العقاقير المستخرجة من قطران

في مقنطف يوليوي القادم

الطب المصري القديم

القضاء الجنائي في السودان

الكهارب وعجائب افعالها

الدكتور رضا توفيق

آراؤه في الحكومة والحرية والنن والشعر

غريبة الماء الثقيل !

من القمحة ذهباً ، فكتب بعد ذلك ما مؤداه أنه
يرجح استحالة استخراج الذهب من ماء البحر

تبغ خال من النيكوتين

في انباء المانيا ان معهد فور شهرينمير للبحث
في التبغ بمدينة فرانكفورت قد توصّل الى
تأصيل اصناف جديدة من التبغ بعضها خال من
النيكوتين خلواً تاماً وبعضها مقدار النيكوتين
الذي فيه قليل . وقد شرع الدكتور بول كوينج
مدير المعهد يوزّع فساءل التبغ الحديد على
طائفة من الفلاحين لزراعته وجنيه

الطيارات وابادة الجراد

جاء من دربان في جنوب افريقية ان
الحكومة تعد حملة جوية على الجراد ، فأعدت
طائرتين تحمل احدهما طناً من « زرنیخات
الصوديوم » وسوف لا يهاجم الجراد وهو في
الجو اذ يحتمل ان يعرقل آلات الطائرة ويسبب
سقوطها ، بل سيفاجأ الجراد عند هجوعه وقت
الفجر فتطير الطائرات على ارتفاع منخفض فوق
حقول البنجر ثم ترش المادة السامة من مضخات
فيها فوق المناطق التي حطت فيها اسراب الجراد
وهذه المناطق تميز بواسطة رايات تنصب قبل
العملية . ويلبس الطيارون كمامات واقية اثناء
قيامهم بمهمتهم هذه . وفي الاستطاعة ان تعمل
الطائرات عملها خلال الليل وفي هذه الحالة توقد
مشاعل لارشادها الى مواقع الجراد . والمعتقد
ان هذه الطريقة الجديدة ستقلب الطريقة المتبعة
في جنوب افريقيا رأساً على عقب وهي استخدام
المواد الملتببة في ابادة الجراد

الفحم الحجري واحد الاشكال التي يظهر فيها
هذا الداء . وقرّر في سنة ١٩٣٢ ان ثمانية من
تسعة مصابين به كانوا يتناولون عقاقير تحتوي على
المواد الكيماوية القائمة في تركيبها على ما يعرف
« بحلقة البنزين » . والبيراميدون احد هذه المواد
فاستعمل البيراميدون وحده او مختلطاً
بعقاقير اخرى ، يجب ان يكون باشراف
الطبيب ولا بد لهذا ، من احصاء كريات الدم
البیض في الجسم مراراً كل اسبوع لكي يتمكن
من معرفة اثر هذا العقار في الدم ونخاع العظم
الذهب في ماء البحر

في ماء البحر ذهبٌ ، ولكن ما مقداره ؟
كان العلماء قد قدروا ان كل طن من ماء البحر
يحتوي على قمحة من الذهب . فلما وضعت الحرب
اوزارها ، وفرضت على المانيا تلك الغرامة
الباهظة ، ظن العالم الكيماوي فرتز هابر ، انه
يستطيع ان يغنم لوطنه من ماء البحر قدراً من
الذهب ، يساعده في تسديد مال التعويض
المفروض عليه . فخرّب التجارب الكيماوية ووجد
انه يستطيع ان يستخرج الذهب من ماء البحر
اذا استعمل وسائل معينة للترسيب والتصفية
والتكثيل . وكان العلماء من قبل قد حاولوا ذلك
فأبوا بالخيبة ولكنه ظن انه قد يفلح حيث
اخفقوا هم . فسافر في سفينة خاصة اعد له فيها
معمل كيماوي تام الاجهزة ، وجعل في خلال
سفره ، يتناول نماذج من مياه البحار التي
يجتازها ، ويحسّلها ليعلم مقدار ما فيها من الذهب
فثبت له ان تقدير العلماء مبالغ فيه وان الطن
من ماء البحر لا يحتوي على اكثر من ١.٢٤٠

الاشعة المستحدثة وبناء الذرة

اقوى الاشعة التي تنطلق من المادة اشعة غمّا التي تنطلق من الراديوم والثوريوم. وطاقاتها من رتبة ٢٥٠٠.٠٠٠ فولط. ولكن العالمين الاميركيين لورتنز وكران من معهد كاليفورنيا الذي يرأسه العلامة ملكن قد صنعوا اشعة غمّا اقوى من اشعة غمّا الطبيعية التي تنطلق من العناصر المشعة لان طاقة الاشعة التي استحدثوها من رتبة ٣٥٠٠.٠٠٠ فولط. وكان قد سبقهما الى عمل من هذا القبيل الاستاذ جوليو وقرينته (وهي ابنة مدام كوري) والدكتور لورنس من اساتذة جامعة كاليفورنيا. فالاستاذ جوليو ومدامته وجهّا دقائق الفا المنطلقة من الراديوم بسرعة ١٢ الف ميل في الثانية الى المادة غير المشعة فأصبحت مشعة. اما لورتنز وكران فوجهّا نوى الايدروجين الثقيل (وتعرف في اميركا باسم دوتونات) الى الكربون والبورون والليثيوم او البريليوم. فخرج منها نوع من النتروجين يطلق اشعة غمّا. ولكن هذه المقدرة على الاشعاع المستحدث بوسائل صناعية لا يطول اكثر من عشر دقائق ثم يتحول النتروجين بعد عشر دقائق اخرى الى كربون. وقد يكون لهذه الاشعة المستحدثة — اشعة غمّا — فائدة في معالجة السرطان مع قصر حياتها، لان طاقتها اقوى من طاقة اشعة غمّا الطبيعية. واهم من ذلك ان هذه الاشعة حملت العلماء على اقتراح آراء جديدة مؤداها ان بناء الذرة قد يكون ابسط جدّا مما يُظنّ الآن

اشعة اكس والمواليد

في الاجتماع الذي عقدته الجمعية الفلسفية الاميركية في اواسط ابريل تلا الدكتور جون غون Gowen احد علماء معهد ركفلر الطبي في برلن، رسالة بيّن فيها ان التجارب التي اجراها بتعريض الخلايا التناسلية في ذباب الفاكهة لاشعة اكس اسفرت عن زيادة المواليد الذكر في نسلها

مدير مرصد حلوان

قرأنا في مجلة نايتشر ان الدكتور محمد رضا مدّور الفلكي المقيم بمرصد حلوان قد عين مديراً خلفاً لمستر كري. والدكتور مدور من علماء الفلك المتفوقين، وهو عضو في الجمعية الفلكية الملكية والمجمع المصري للثقافة العلمية. ونشر نبأ تعيينه في مجلة نايتشر دليل على ما يتمتع به من المقام في الدوائر العلمية الاجنبية

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يلتئم مجمع تقدم العلوم البريطاني هذه السنة في مدينة ابردين باسكتلندا في الاسبوع الواقع بين ٥ سبتمبر و ١٢ منه، برئاسة السير جيمز جينز الفلكي الرياضي المعروف وصاحب المؤلفات العلمية الدقيقة والمبسطة في الآراء الكونية الحديثة ومن اشهرها « الكون الذي حولنا » و« النجوم في مسالكها » و« الكون المحجّب بالاسرار ». وينتظر ان تدور خطبته على نظريات علم الطبيعة الحديث

الجزء السادس من المجلد الرابع والثمانين

صفحة	
٦٥٧	أيام الخليقة
٦٦٠	في ربيع اليأس : لامين الريحاني
٦٦٦	الري في مصر : لحسين بك سري وكيل وزارة الاشغال
٦٧٨	مصطلحات علم النفس : لمحمد مظهر سعيد
٦٨١	بماذا تتفوق السلالات
٦٨٦	البحث عن الثروة المعدنية : للدكتور حسن بك صادق
٦٩٣	عتاب واستصراخ (قصيدة) لخليل مطران
٦٩٤	الكريم والفتى والسيد : للدكتور امين باشا المعلوف
٧٠١	توريث الصفات المكتسبة : للدكتور شريف عسيران
٧٠٥	هل العرب بربر : لمحمد سعيد الزاهري
٧١٠	هل الانسان آلة
٧١٦	فاجنر واوپرة لونيجرين : لحليم متري
٧٢١	السيكولوجية الحديثة . ليعقوب فام
٧٢٥	زهده الخلفاء الراشدين
٧٢٦	العناصر المشعة وتركيب الذرة : لمحمد عاطف البرقوقي
٧٣١	سير الزمان : اسبانيا ومشكلاتها . الوطنية في الشرق الادنى : للدكتور عبد الرحمن شهندر . سياسة بريطانيا الخارجية
٧٤٥	حديقة المقتطف : لمجد الرواد : لالفرد نويز . ترجمة شيطان : رأي الدكتور طه حسين . الشيطان امام الله : للاستاذ العقاد . مختارات من يرون : لماذا تحبني . لمسز برونغ . قبرة شلي : لتوماس هاردي
٧٥٣	ملكة المرأة : المرأة الفرنسية . الزوجة ام الولد . الاكنة او حب الصبا . عقل الطفل : لاحمد عطية الله . الامراض النفسية : للدكتور شكري جرجس

٧٧٦	باب المراسلة والمناظرة * العرض عند عرب الجاهلية : لبشر فارس
٨٦٩	مكتبة المقتطف * الملاح التائه . شهر زاد . استشارات الطبيب الممارس . هوامش الصحفي العجوز . لندن . رسائل النقد . ليالي باريس . تاجر البندقية . القاهرة . اركان التدريس
٧٨٥	باب الاخبار العلمية * وفيه ٨ نبد

٧٨٥